حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة ا

مؤيد الد

٤٧٧ - ٤٩١ / ١٠٩ م

جما

الكويت

الحولية ١٤١٧ هـ

الرسالة ١٩٩٧ - م

١٢٦

حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية الثامنة عشرة   الرسالة السادسة والعشرون بعد المئة
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر في

حوليات كلية الآداب

١ - حوليات كلية الآداب دورية علمية محكمة تنشر مجموعة من الرسائل في الموضوعات التي تدخل في مجالات اختصاص الأقسام العلمية بكلية الآداب.

٢ - تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصيلة باللغتين العربية والإنجليزية ويراعى ألا يتجاوزعدد صفحات أي بحث ١٣٠ صفحة ولا يقل عن ٤٠ صفحة.

٣ - تقدم البحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة على مسافتين من ثلاث نسخ على ورق مقاس ٢١×٢٩سم(A 4) وعلى وجه واحد فقط وترقم جميع الصفحات بما في ذلك الجداول والصور التوضيحية، وينبغي مراعاة التصحيح الدقيق للطباعة على الآلة الكاتبة في جميع النسخ.

٤ - يرفق الباحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ٢٠٠ «مائتي» كلمة تتصدر البحث.

٥ - ترسم الخرائط والأشكال والرسم بالحبر الصيني على ورق «شفاف» حتى تكون صالحة للطباعة. أما الصور الفوتوغرافية فيراعى أن تكون مطبوعة على ورق لماع، وإذا كانت ملونة فلابد من تقديم الشريحة الأصلية.

٦ - يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية، وكذلك الألفاظ والعبارات التي يراد طبعها ببنط ثقيل.

٧ - تكتب في قائمة المصادر كل التفاصيل المتعلقة بكل مصنف من حيث اسم المؤلف كاملاً مبتدأ بالكنية أو الاسم الأخير، وعنوان المصنف تحت خط متعرج وذكر الأجزاء أو المجلدات واسم المحقق أو المترجم ورقم الطبعة، ومكان النشر ثم اسم المطبعة أو دار النشر، ثم سنة النشر ويتبع في قائمة المصادر النظام الآتي: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، مصر، دار المعارف، د. ت.
- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر، ط٢، دار المعارف بمصر. د. ت.
- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٨ـ تثبت الهوامش على النحو التالي :
يذكر لقب المؤلف ثم الجزء ثم رقم الصفحة، وإذا كان للمؤلف أكثر من مصنف في البحث فيذكر لقب المؤلف ثم عنوان المصنف، ثم يليه الجزء، ثم رقم الصفحة، ويتبع في الحواشي النظام الآتي :

ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٩١
ـ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢، ص١٢٠ .
ـ الشايب، ص ٤٠ .

٩ـ توضع أرقام التوثيق بين قوسين وترتب متسلسلة حتى نهاية البحث، فإذا انتهت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى عند الرقم (٦) يبدأ التوثيق في الصفحة الثانية بالرقم (٧) وهكذا .
١٠ـ أصول البحوث التي تصل للحوليات لا ترد ولا تسترجع سواء نشرت أو لم تنشر .
١١ـ لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها، كما لا يجوز نشر البحوث في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في الحوليات إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من رئيس تحرير الحوليات .
١٢ـ عند طباعة البحث المقبول للنشر على المؤلف أن يقوم بمراجعة تجربة الطبعة الأخيرة بمطابقتها على الأصل، مع مراعاة عدم إجراء أي تغييرات فيها تختلف عما ورد في الأصل، سواء بالإضافة أو الحذف .
١٣ـ تمنح إدارة الحوليات لمؤلف كل بحث منشور ثلاثين نسخة مجانية من بحثه .
١٤ـ ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى :

رئيس تحرير حوليات كلية الآداب

كلية الآداب ـ جامعة الكويت

ص . ب : ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي : 72454

الكويت

الرسالة السادسة والعشرون بعد المئة

مؤيد الدين ياغي سيان

صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى

٤٧٧ - ٤٩١هـ / ١٠٨٥ - ١٠٩٨م

د. جمال محمد الزنكي
قسم التاريخ - جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب - الحولية الثامنة عشرة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

المؤلف

- د. جمال محمد الزنكي

- دكتوراه في التاريخ الإسلامي والوسيط من جامعة سانت اندروز بالمملكة المتحدة عام ١٩٨٩م
- مدرس التاريخ الوسيط والإسلامي بجامعة الكويت.

الإنتاج العلمي

١- كتاب «إمارة دمشق في المرحلة المبكرة للحروب الصليبية» باللغة العربية عام ١٩٩٣م وبالإنجليزية عام ١٩٩٤م.

٢- دراسة بعنوان «الأمن الاجتماعي بدولة الكويت/ مرحلة إعادة البناء ١٩٩٥م».

٣- شارك في توثيق كتاب لشهداء الكويت. مكتب الشهيد التابع للديوان الأميري عام ٩٣-٩٤م.

المشاركات العلمية :

- عضو في لجنة تقويم مناهج الاجتماعيات للمرحلة المتوسطة في دولة الكويت في عامي ٩٦-١٩٩٧م و٩٧-١٩٩٨م.

المحتوى

ملخص

شهد أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تحولات كبيرة في كل من المنطقة الإسلامية والمنطقة النصرانية الكاثوليكية في أوروبا الغربية، والدولة البيزنطية. فقد برزت قوة السلاجقة قوة فتية سيطرت على الخلافة العباسية منذ ٤٤٧هـ وحتى ٥٩٠هـ، وأخذت تبسط سيادتها على أراض شاسعة حتى ضمت أغلب آسيا الصغرى التابعة سابقاً إلى الدولة البيزنطية، كما أخذت قوة السلاجقة تتوسع على حساب الفاطميين في بلاد الشام منذ أيام حكم ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ) عندما أقطع أخاه تتش كل ماسيستولي عليه من أملاك الفاطميين هناك.

كما تعرضت الامبراطورية البيزنطية لتحولات كبيرة وأخذت بالتراجع خاصة في آسيا الصغرى، فبعد الهزيمة الساحقة في ملاذكرد عام ٤٧١هـ للقوات البيزنطية على أيدي السلاجقة المسلمين انفتح للسلاجقة الطريق للتوسع في آسيا الصغرى حتى لم يتبق للبيزنطيين فيها إلا بعض المواقع الضعيفة المتناثرة. وهكذا أضحت الدولة البيزنطية أمام خطر السقوط بأيدي السلاجقة بعد أن كانت حصناً ضد توسع القوة الإسلامية في أوروبا.

وفي خضم هذا التدهور البيزنطي استولى القائد السلجوقي المسلم سليمان بن قُتُلْمش على أنطاكية من واليها البيزنطي عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م، وأنطاكية هذه سيتولى أمرها ياغي سيان - موضوع هذا البحث - حتى سقوطها بيد قواد الحملة الصليبية الأولى في يونيو ١٠٩٨م بعد حصار طويل امتد تسعة أشهر.

وشهدت أوروبا الغربية كذلك تحولات في كثير من المجالات من أهمها بروز الصراع الديني الزمني بين السلطة البابوية والامبراطورية منذ أن فجرّ الصراع كلٌّ من

البابا جريجوري السابع (١٠٧١ - ١٠٨٥م) والامبراطور الألماني هنري الرابع. وقد تمخضت تلك التحولات التي شهدتها أوروبا الغربية عن ولادة «المشروع الصليبي» في [illegible] عام [illegible]م، فكان هذا المشروع بداية حلقة طويلة من الصراع الإسلامي الكاثوليكي ربما امتدت آثاره حتى يومنا. وكان من قدر مدينة أنطاكية وصاحبها ياغي سيان أن يكونا من أوائل من اصطدمت به الحملة الصليبية الأولى لتحقيق أهداف المشروع الصليبي.

إن هذه التحولات الكثيرة في تنوعها والكبيرة في تأثيراتها أثرت كثيراً لاسيما في منطقة بلاد الشام التي كانت المسرح الرئيسي لهذه التحولات والمنافسات بين قوى مختلفة، فكانت بداية مسرح للتنافس بين قوتين مسلمتين هما السلاجقة والفاطميون، ثم دخل طرف آخر هم الصليبيون بمشروعهم الاستيطاني الجديد الذي عرف بالمشروع الصليبي، وكانت أنطاكية إحدى أهم المناطق التي شهدت هذا التنافس الذي تفاقم ووصل إلى حد التنافس بين السلاجقة أنفسهم خاصة قبل قدوم الصليبيين لحصارها عام ١٠٩٧م.

وتتناول هذه الدراسة شخصية حكمت أنطاكية مابين سنتي (٤٧٧هـ-٤٩١هـ/ ١٠٨٥ - ١٠٩٨م) وهي ياغي سيان صاحب أنطاكية. إن اختياري لهذا الموضوع له أهمية خاصة، لأن الشخصية المذكورة حكمت في فترة تعتبر قمة الصراع الذي وصل أوجه في حصار الصليبيين لأنطاكية لمدة تسعة أشهر من أكتوبر ١٠٩٧م حتى يونيو ١٠٩٨م. كما أنها كانت طرفاً رئيساً في فترة الصراع هذه، فقد شاركت هذه الشخصية في الصراع السلجوقي الفاطمي، كما شاركت في الصراع بين القوى السلجوقية فيما بينها وخاصة على السلطنة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه.

كما شاركت في التنافس بين ملكي حلب ودمشق الأخوين رضوان ودقاق ابني تتش الذي قتل في عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م في صراعه على السلطنة السلجوقية مع ابن

أخيه السلطان بركياروق، وكان من قدر هذه الشخصية أن تتولى مدينة أنطاكية ذات الأهمية الخاصة لتلك القوى المتصارعة، لذا أفردت جزءاً من البحث للحديث عن أهمية هذه المدينة لهذه القوى المتنافسة. كما تنبع أهمية دراسة الشخصية من كون دراستها تعطي فكرة متكاملة عن تاريخ تلك الفترة، وذلك لمشاركتها الفاعلة في صناعة أحداث المنطقة في تلك الفترة. وقد حرصت على دراسة هذه الشخصية موضوعيا لتعرّف إنجازاتها وإخفاقاتها وعدم الاكتفاء بإنجازاتها، لذا استعنت بمصادر متنوعة تمثل جميع الأطراف المتنافسة، ويبدو أنها المرة الأولى التي تفرد فيها دراسة خاصة لشخصية ياغي سيان، راجيا أن تكون إسهاما يضاف في مجال الباحثين العرب المسلمين لتاريخ جهاد المسلمين ضد الصليبيين.

المقدمة

أولاً : أهمية البحث :

تولى ياغي سيان حكم أنطاكية عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م نيابة عن السلطان السلجوقي ملك ملكشاه، واستمر في حكمها حتى استولى عليها الصليبيون خلال الحملة الأولى عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م بعد حصار طويل امتد تسعة أشهر. وأقام الصليبيون على أنقاضها إمارة لهم حتى ١٢٦٨م. وتنبع أهمية اختيار شخصية ياغي سيان لكونها حكمت أنطاكية ذات الأهمية الكبيرة سواء بالنسبة للمسلمين أو البيزنطيين أو الصليبيين، كما شاركت هذه الشخصية في تشكيل تاريخ بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، ولهذا فإن دراسة هذه الشخصية تساعد على بلورة صورة بلاد الشام قبيل ذاك الغزو، وذلك للوصول إلى استنتاجات قريبة للحقيقة عند فهم وضع هذه البلاد لاسيما أنه فيما يبدولم تخرج دراسة علمية متكاملة تعالج هذا الموضوع.

كما أن هذه الشخصية لم تحظ بعناية سواء من قبل المؤرخين المعاصرين أو المحدثين، بل إنها ذكرت باقتضاب وبصورة مشوهة عند كثير من المؤرخين المسلمين المعاصرين، ولهذا كان من الإنصاف أن ندرسها دراسة علمية موضوعية لنقف على الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه الشخصية، ولنبرز دورها في التاريخ الإسلامي عامة ودورها في مقاومة الحملة الصليبية الأولى خاصة. وقد بذلت جهدي أن أجعل من دراسة هذه الشخصية نافذة ليتعرف منها القارئ أحوال المنطقة الإسلامية خاصة في بلاد الشام قبل الحملة الصليبية. ويبدو أن هذه هي المرة الأولى التي تدرس فيها هذه الشخصية كنموذج لشخصيات مسلمة قاومت العدوان الصليبي في مرحلته الأولى، فلم تخرج دراسات تذكر تناقش دور تلك الشخصيات في تلك الفترة.

ثانياً : عناصر البحث :

وستركز الدراسة على العناصر الآتية :

(١) أهمية أنطاكية : أ) استراتيجياً ب) دينياً ج) اقتصادياً
(٢) مدخل : نظرة عامة على أوضاع المنطقة «بلاد الشام» عشية قدوم الصليبيين.
(٣) موقف ياغي سيان من الصراع بين القوى السلجوقية، وتأثيره في القوة الذاتية لإمارته.
(٤) موقف ياغي سيان من الحملة الصليبية الأولى
(٥) أسباب سقوط أنطاكية (الخيانة - التشرذم) وبحث إشكالية مايسمى بمؤامرة «فيروز».
(٦) موقف ياغي سيان من الصراع السلجوقي الفاطمي على بلاد الشام وأثر ذلك في موقف الفاطميين بالذات من التهديد الصليبي لأنطاكية.
(٧) بحث إشكالية التحالف الفاطمي الصليبي خلال الحملة الصليبية الأولى وأثره في موقف أنطاكية المحاصرة من قبل الصليبيين.
(٨) التحالف الأرمني الصليبي وأثره في أنطاكية.
(٩) موقف القوى المحلية المستقلة في بلاد الشام من التهديد الصليبي لأنطاكية، كحكام دمشق، حلب، بيت المقدس، شيزر، وطرابلس، وأثر الانقسام والتنافس بين تلك القوى في مصير أنطاكية.
(١٠) الخاتمة : وستتضمن نتائج الدراسة وبيان دور ياغي سيان في مواجهة الحملة الصليبية الأولى.

ثالثاً : مصادر البحث ومراجعه :

بذلت جهدي في الاستعانة بمصادر ومراجع تمثل وجهات نظر أكثر من طرف في تلك الفترة التاريخية التي تميزت باحتدام الصراع، فاستعنت بمصادر إسلامية

وبيزنطية وصليبية وسريانية، ولاشك في أن الاستعانة بكل هذه المصادر أمر ضروري لكي أصبح - قدر جهدي - محايداً في دراسة هذه الشخصية، وأترك هذا الحكم للقارئ الكريم، واعتمدت عند بحث هذه الشخصية بشكل رئيسى على المصادر الصليبية وهذه ميزة لها لكونها تبحث في شخصية مسلمة كان من المفترض أن تعتمد بشكل رئيسي على المصادر المسلمة، إلا أن الدراسة اعتمدت - خاصة فيما يتصل بدور ياغي سيان في مقاومة الحملة الصليبية الأولى - على المصادر اللاتينية. لذا يبدو أن المصداقية تكون أكثر احتمالاً لكوننا اعتمدنا على مصادر الخصوم، والجدير بالذكر أن المصادر الإسلامية غالباً ما أغفلت دور ياغي سيان في جهاد الصليبيين.

أرجو أن تكون هذه الدراسة إسهاماً جديداً في دراسة تاريخ عصر الحروب الصليبية وبداية لإنصاف شخصيات أغفلها التاريخ والمؤرخون.

أولاً : أهمية أنطاكية

أ - أهمية أنطاكية للنصارى لاسيما البيزنطيون

الناحية الدينية :

أورد ابن العديم، عن إدريس بن حسن بن علي الإدريسي المؤرخ، نقلا عن بعض النصارى أن أول تسمية للمؤمنين بالمسيح عليه السلام بالمسيحيين ظهرت في مدينة أنطاكية وذلك أيام حكم الملك أقلوذ نوس، ثم انتشرت التسمية في باقي البلاد. كما ينسب ابن العديم لبعض تواريخ المسيحية - دون تحديده - أن أنطاكية كانت تدعى أم المدن لأنها كانت من أول البلاد التي ظهر فيها دين المسيح. ويدعم هذا الرأي ماورد في سفر أعمال الرسل «ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً»[1].

وقد شجع موقع أنطاكية دعاة المسيحية الأوائل على اتخاذها مقراً لنشرها بعيداً عن اضطهاد اليهود. وقامت بها أول كنيسة منظمة ترعى التبشير، وسميت باسم كنيسة القديس بطرس وهو أمير حواريي المسيح عليه السلام وذلك قبل نزوحه إلى روما، وعندما دمر الرومان أورشليم «القدس» سنة ٧٠م أصبحت أنطاكية هي المتصدرة الوحيدة لزعامة الدين النصراني[2]، ولكنيسة بطرس بأنطاكية أهمية كبيرة عند النصارى فهي ثالث أهم كنيسة أسسها النصارى، وهي تقع في وسط المدينة، ويقال إن فيها كف النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام، كما أنها أجمل بناء بالرخام

(١) كمال الدين ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*. تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٠م. الجزء الأول، ص ٤٨٣ سفر أعمال الرسل [اصحاح ١١ , ٢٦].

(٢) عامرة الحمد : *الامبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون*. القاهرة، ١٩٨٠م،ص ١٤-١٥.

عرفته العصور الوسطى [٣]. والجدير بالذكر أنه كان يوجد في بلاد الشام – منذ أيام المسيحية الأولى وحتى عصر الحروب الصليبية – كرسيان بطرقيان أحدهما في بيت المقدس والآخر في أنطاكية، يتبع كلا منهما عدد من رؤساء الأساقفة، وكل واحد من هؤلاء يتبعه عدد من الأساقفة. ويشرف بطريرك أنطاكية على أربع عشرة أسقفية [٤].

ومن أهم كنائس أنطاكية – إضافة إلى كنيسة القديس بطرس الواقعة بدير البراغيث عنه باب الفارس – كنيسة أشمونيت خارج سور أنطاكية، وكنيسة مريم وهي على هيئة مدورة وفخمة البناء حتى إنها كانت تدعى آنذاك إحدى عجائب العالم في العمارة [٥].

وعلى الرغم من فتح المسلمين لأنطاكية عام ١٥هـ/ ٦٣٨م، فإن الحماية الدينية البيزنطية «الأرثوذكسية» على نصارى بلاد الشام ومن ضمنها أنطاكية قد استمرت حتى استولى البيزنطيون عليها ثانية سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، فقد بسط البيزنطيون حمايتهم الدينية حتى على غير الأرثوذكس من رعاياهم السابقين في بلاد الشام كالأرمن والسريان واليعاقبة. وكانت الكنيسة الشرقية «كنيسة القسطنطينية» ترى وجوب وحدة النصارى في العالم حتى ممن يخالفون مذهب الدولة الأرثوذكسي، وكان هذا الأمر محور الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية (كنيسة روما) حول زعامة العالم المسيحي، واستعاد المسلمون أنطاكية عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م من

---

(٣) ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*. تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م. الجزء الأول، ص ٨٦ – ٨٨.

(٤) وليم الصوري : *الأعمال المنجزة فيما وراء البحار*. ترجمة د.حسن حبشي، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ٢٧٢.

(٥) فتحي عثمان : *الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري* – القاهرة، ١٩٦٦، الجزء الأول. ص ٢٢٩ – ٢٣٠.

البيزنطيين بقيادة سليمان بن قتلمش قائد سلاجقة الروم، ثم تسلمها السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان من نائب ابن قتلمش. وقد أبقى المسلمون سكان أنطاكية على وضعهم ولم يتم طردهم، لذا كان معظم سكان أنطاكية عندما احتلها الصليبيون سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م من النصارى وخاصة الأرثوذكس، كما كان بها مجموعة من الأرمن والسريان واليعاقبة وقلة من النساطرة ورحبت هذه الأقليات باحتلال الصليبيين لأنهم رأوا فيه ماسيخلصهم من ظلم البيزنطيين الأرثوذكس (٦).

الناحية الإدارية :

انقسمت الامبراطورية الرومانية إداريا أواخر القرن الرابع الميلادي سنة ٣٩٥م إلى قسمين شرقي وغربي. وقد أثر بناء القسطنطينية ثم تحولها كعاصمة جديدة للقسم الشرقي تأثيراً سلبياً في أنطاكية حيث أفقدها قسما من مميزاتها، ولكن هذا الأمر لم يفقد أنطاكية كل مميزاتها، لذا نرى أن الامبراطور قسطنطين - عندما نقل عاصمته من روما إلى القسطنطينية عام ٣٣٠م - لم يوكل ولاية أنطاكية إلا لأحد أبنائه نظراً لأهميتها لديه. كما أصبحت أنطاكية مقراً لكونت الشرق وهو المسئول عن إدارة أملاك الامبراطورية الرومانية الشرقية في مناطق الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر، وقد فوض كونت الشرق هذا بصلاحيات إدارية وقضائية هي نفسها التي كان يتمتع بها نواب الحاكم العام (Vicars)، حيث أصبح لكونت الشرق اتصال مباشر مع الحاكم العام (Praeterian) وهو الذي كان مسئولاً عن إدارة القسم الشرقي للامبراطورية قبل انقسامها. والجدير بالذكر أن منصب كونت الشرق هذا حصره الأباطرة الرومان بأبنائهم فقط دون غيرهم (٧). وبالرغم من حكم المسلمين

(٦) عامرة الحمد : المرجع السابق. ص ٢٢٩.

(٧) The Alexiade of Anna Comnena, translated by E.R.A. Sewter, Penguin Classics 1969, P 329 ؛ عامرة الحمد : المرجع السابق، ص ١٧ - ١٩.

لأنطاكية منذ ١٥هـ/ ٦٣٨م حتى ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م أي مدة تصل إلى حوالي ثلاثمائة وأربعة وثلاثين عاماً فإن البيزنطيين عندما انتزعوا أنطاكية سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م من المسلمين منحوا حاكم إقليم أنطاكية اللقب القديم نفسه وهو لقب «الدوق»، وهذا اللقب الإداري هو ارفع منصب في الدولة البيزنطية (٨).

الناحية الاقتصادية :

تمتعت أنطاكية – منذ إنشائها – بموقع حيوي من الناحية التجارية، فقد كانت قاعدة تجارية للجزء الشمالي الغربي لسوريا (٩)، وغدت مركزاً تجارياً رئيسياً في شرق البحر الأبيض المتوسط، وكانت مركزا لالتقاء طرق التجارة البرية التي كانت تربط البحر المتوسط بشمال العراق، كما أصبحت أنطاكية مركزاً لالتقاء طرق التجارة القادمة من مصر إلى جنوب جبال الأناضول، وقد منحت صلاحية نهر العاصي للملاحة أهمية تجارية خاصة لأنطاكية، وبهذا أصبحت أنطاكية قاعدة لتجمع التجارة الواردة من آسيا وأوروبا، والتي يتم نقلها من أنطاكية إلى ميناءيها في سلوقية والسويدية (١٠). وقد دعم مركز أنطاكية تجاريا شبكة من الطرق البرية، ومن هذه الطرق طريق يصلها بسلوقية محاذياً للضفة اليمنى لنهر العاصي، ويلتقي هذا الطريق طريقا رئيسيا يصل مصر مع جنوب الأناضول، وهناك طريق ثان بري يصل

(٨) عامرة الحمد : المرجع السابق، ص ٢٩

(٩) عامرة الحمد : المرجع السابق . ص٢-٣.

(١٠) عامرة الحمد، ص ٧-٦؛ فولشر الشارتري. Fulcher of Chartres, Historia Hierosolymita-na, ed. H. Hagenmeyer (Heidelbery, 1913) English Translation by H.S.Fink, Ahistory of the Excpedition to Jerusalem (Knoxville,1969).

ترجمه إلى العربية د. قاسم عبده قاسم تحت عنوان الوجود الصليبي في الشرق العربي، منشورات ذات السلاسل، الكويت – ١٩٩٣م، ص ١٢١.

شمال أنطاكية بمدينة حلب حيث يتلاقى بالطرق البرية الأخرى داخل سوريا، وهناك طريق ثالث يصل جنوب أنطاكية عبر جبال النصيرية فيمتد إلى اللاذقية الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ويلتقي هذا الطريق طريقا ساحليا، أما الطريق الرابع فيمتد [illegible] أنطاكية [illegible] الجنوبية من سوريا(١١).

وقد تمتعت أنطاكية بهذه الأهمية التجارية منذ إنشائها حتى العصر البيزنطي، فقد ظلت الطرق الرومانية القديمة المشهورة التي تمر بها صالحة لمسير قوافل التجارة حتى العصر البيزنطي(١٢). وبالرغم من فتح المسلمين لأنطاكية في الفترة مابين ١٥هـ/ ٦٣٨م و ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، فإن البيزنطيين حاولوا بعد استيلائهم مرة أخرى على أنطاكية – في الفترة مابين ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م وحتى ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٥م – أن يعيدوا لأنطاكية أهميتها الاقتصادية السابقة، فعقدوا اتفاقية تجارية مع والي حلب الحمداني المدعو قرعويه نظموا بموجبها التجارة بين أنطاكية وحكام حلب الحمدانيين. ومنحت هذه الاتفاقية السلطات البيزنطية حق مشاركة حكام حلب الحمدانيين في ترتيب تحصيل الرسوم المفروضة على تجارة المرور بين حلب وأنطاكية، وغدت التجارة القادمة من أنطاكية وإليها عبر القسطنطينية قاعدة أساسية للاقتصاد البيزنطي، وأصبحت هذه التجارة وسيلة لتدعيم مركز الدولة البيزنطية اقتصادياً سواء في الشرق الإسلامي أو الغرب الأوروبي اللاتيني(١٣).

أهميتها عسكرياً :

من أهم أهداف سيليوقس بن أنطيوخوس من إنشاء أنطاكية عام ٣٠٠ق.م هو

Hitti, P.H.: Ahistory of Syria, London, 1951, Page 303. (١١)

(١٢) فولشر الشارتري ص ١٢١؛ عامرة الحمد، ص١٤.

(١٣) عامرة الحمد، ص ٢٣٤-٢٣٦.

جعلها قاعدة عسكرية لملكه في منطقة شمال غربي سوريا، وذلك لأهمية هذه المنطقة خاصة من الناحية العسكرية، فقد كانت هذه المنطقة مسرحاً لكثير من المعارك الفاصلة بين القوى المتنافسة آنذاك بهدف السيطرة على المعابر الحيوية الاستراتيجية لها (١٤) [illegible] إضافة إلى سلوقية حيث وفرا لها منفذاً مهماً في حالة طلب مساعدة عسكرية عاجلة عند محاصرتها من قبل الأعداء (١٥). ويبدو أن البيزنطيين استفادوا من هذه الميزة عند تملكهم لأنطاكية وذلك لتوافر أسطول قوي لهم. أما المسلمون - أيام الحكم السلجوقي وبالذات عند حكم ياغي سيان صاحب موضوع هذه الدراسة - فلم تتوافر لهم قوة بحرية؛ لأن السلاجقة لم يتوافر لهم أسطول بشكل عام بل كانت قوتهم الرئيسة برية، لذا عندما حاصر الصليبيون بمساعدة البيزنطيين أنطاكية عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م استفادوا من هذا الميناء «السويدية» حيث نقلوا كثيراً من المؤن والمعدات للجيش المحاصر لأنطاكية المسلحة التي كان يحكمها ياغي سيان آنذاك، والجدير بالذكر أن هذا الميناء لايبعد عن أنطاكية سوى حوالي ثمانية عشر كيلو متراً فقط.

وقد تميزت أنطاكية منذ إنشائها بموقع استراتيجي حصين، فقد منحها المجرى الأيسر «الغربي» لنهر العاصي الواقع غرب مدينة أنطاكية منفذاً يصلها بشاطئ البحر الأبيض المتوسط والاتصال بالعالم الخارجي بحرياً، خاصة إذا علمنا أهمية ميناء السويدية لمدينة أنطاكية تجارياً كان أو عسكرياً (١٦). كما منح الله أنطاكية جبالاً شكلت لها مناعة طبيعية تقيها - بإذن الله - خطر الأعداء، ومن هذه الجبال جبل سيلبيوس الممتد إلى الجنوب والجنوب الشرقي للمدينة، ويعتبر هذا الجبل نقطة التقاء

(١٤) عامرة الحمد: ص٢-٣.

(١٥) عامرة الحمد: ص٤-٦؛ Hitti, P.H.: Ahistory of Syria, London, 1951, Hitti, OP. cit, PP 337,351,

(١٦) Hitti, P 303؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الأول، ص٨٥.

لسلاسل جبلية هائلة الارتفاع، كما يمتد إلى جنوب أنطاكية سلسلة جبال كاسيوس «الأقرع»، وهناك سلسلة جبلية أخرى تقع شمال المدينة تدعى جبال أمانوس «اللكام»، ويتخلل سلسلتي جبال أمانوس والأقرع ممرات طبيعية تربط أنطاكية بالجهات المحيطة بها، ومن يستطيع السيطرة على هذه الممرات يتمكن من التحكم في تلك الجهات سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وأهم تلك الممرات الوادي الذي يجري فيه نهر العاصي بين الطرف الجنوبي لجبال الأمانوس وجبل الأقرع، وبواسطة هذا الممر الذي يدعى ممر «بيلان» تمكنت أنطاكية من الإطلال على البحر الأبيض المتوسط عبر منفذ الاسكندرونة، ومن أهم الممرات أيضا الممر الذي يقع جنوب جبل الأمانوس ويصل أنطاكية بإقليم قليقية الواقع جنوب آسيا الصغرى، وكان يدعى هذا الممر عند المسلمين درب أنطاكية لوقوعه على مدخل بلاد الشام أو يدعى باسم أبواب سوريا، ويقع هذا الممر بالقرب من شمال أنطاكية[17].

ومن المعروف أن الامبراطور أغسطس (٢٧ق.م حتى ١٤م) جعل من أنطاكية ولاية عسكرية بدرجة مستعمرة، حيث أصبحت قاعدة عسكرية لإرسال حملات ضد القبائل المناهضة للسلطة الرومانية في منطقة جبال طوروس بآسيا الصغرى[18]. وكانت أنطاكية ضمن أربع قواعد عسكرية رئيسة للامبراطورية الرومانية في شمال سوريا وهي أنطاكية واللاذقية وكيرهوس (قورس) والاسكندرونة Alexann-drette.[19] واستمرت عناية الدولة البيزنطية بأنطاكية عسكرياً بعد انقسام الامبراطورية الرومانية – في سنة ٣٩٥م – إلى قسمين شرقي «اغريقي» وآخر غربي «لاتيني»، فقد عُني الامبراطور جستنيان بالمناطق التي تعتبر مناطق احتكاك بين بيزنطة ومنافستها المملكة الفارسية الساسانية، فدعم دفاعات تلك المناطق كأنطاكية

(١٧) عامرة الحمد ص ٨-٩؛ فولشر الشارتري ص ١٢٢؛ وليم الصوري، الجزء الاول ص ٢٧١-٢٧٧.

(١٨) فتحي عثمان : جـ١،ص٢٠.

(١٩) فتحي عثمان : جـ١،ص٨٥.

وسبسطية وملطية والرها وحران وهيرابولس Hieropolis «منبج» وزجما Zeugma[٢٠]، وعندما تمكن الفرس من نهب أنطاكية وحرقها سنة ٥٤٠ م قام الامبراطور جستنيان بعمل تحصنات جديدة لمدن قريبة من أنطاكية خوفا من وقوع مدن مهمة كأنطاكية وحلب بأيدي الفرس[٢١]. وعندما انتزع البيزنطيون أنطاكية في ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م من المسلمين، أوكل الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس لحاكم أنطاكية البيزنطي الملقب بالدوق مهمة الدفاع عن إقليم آسيا الصغرى خاصة من توسع إسلامي متوقع، كما أنشأ نقفور فوكاس قلعة لأنطاكية وجدد أسوارها[٢٢].

إن الحديث عن أهمية أنطاكية للدولة البيزنطية سواءً من الناحية العسكرية أو الاقتصادية أو الإدارية لايعني أن تلك المميزات التي تمتعت بها خلال الحكم البيزنطي لها قد افتقدتها خلال حكم المسلمين لها، فكثير من هذه المميزات استمرت خلال حكم الدولة الإسلامية لها. ولذلك لن نعيد ذكر هذه المميزات عند الحديث عن أهمية أنطاكية للمسلمين.

ب -أهمية أنطاكية للمسلمين

وردت آثار توضح أهمية أنطاكية وتحث على المرابطة بها خاصة في آخر الزمان[٢٣]، لذا لانستغرب تطوع كثير من المسلمين لمناصرة إخوانهم الذين حاصرهم الصليبيون في هذه المدينة عند حصارهم لها عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٨م وهو موضوع هذا البحث، فقد أورد المؤرخ الصليبي «اللاتيني» وليم الصوري خبراً ذكر فيه أنه بعد

(٢٠) فتحي عثمان : جـ١، ص٨٧.

(٢١) فتحي عثمان : جـ١، ص٨٩.

(٢٢) رنسيمان (ستيفن) : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة د. السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨١، الجزء الأول ص٣٢٤؛ عامرة الحمد ص ٢٩-٣٠.

(٢٣) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الأول ص ٤٠.

استيلاء الصليبيين على أنطاكية وجدوا كثيراً من المقاتلين في أنطاكية من غير أهل أنطاكية[٢٤]، وهذا يؤكد مدى حرص هؤلاء على الدفاع عن هذه المدينة المهمة.

- قد فتح المسلمون أنطاكية صلحاً عام ١٦هـ/ ٦٣٨م، وقاد فتحها الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح [٢٥]، وقد جعلوا منها مركزاً لانطلاق الجيوش المسلمة المطاردة لفلول البيزنطيين التي غادرت أنطاكية مع امبراطورهم المهزوم «هرقل»[٢٦].

أهمية أنطاكية أيام الأمويين :

أورد ابن العديم عن أبي الخطاب الأزدي أن أول من بنى حصن المصيصة في الإسلام هو عبد الملك بن مروان عام ٨٤هـ على أساسه القديم، فكانت الطوالع «فرق دفاعية» تخرج من أنطاكية تطلع عليها كل عام، فتمضي الشتاء هناك ثم تعود، ويقدر عدد هذه الطوالع مابين ألف وخمسمائة إلى ألفي رجل [٢٧]، وهذه إشارة توضح أهمية أنطاكية في توفير تلك الطوالع بهذا العدد الكبير، كما توضح أهمية ثغر المصيصة للدفاع عن أنطاكية خاصة في فترة الشتاء خوفاً من مباغتة القوات البيزنطية.
كما أورد ابن العديم خبراً يفيد أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز هم بهدم حصن المصيصة هذا وكل الحصون الواقعة بينه وبين أنطاكية خوفاً من أن يحاصر البيزنطيون أهلها، فأعلمه أهالي هذه الحصون إنما عمره من سبقه، ليدافعوا عن أنطاكية من خطر البيزنطيين، وأنه إذا هدمت سيصبح من السهل على البيزنطيين محاصرة أنطاكية والاستيلاء عليها، فاقتنع عمر بن عبد العزيز بهذا الرأي وزاد من دعم تحصينات هذه

---

(٢٤) وليم الصوري، ص٣٦١.

(٢٥) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الأول، ص ٨٨.

(٢٦) عامرة الحمد : ص ٢٣-٢٦.

(٢٧) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الأول، ص ١٥٧.

الحصون لتزيد من حصانة أنطاكية بعد حماية الله [٢٨]، وهذه إشارة جديدة إلى أهمية أنطاكية للأمويين فهي معقل وثغر مهم لهم. كما أوجد المسلمون أشبه مايكون بوسائل الإنذار المبكر خوفاً من مباغتة البيزنطيين لأنطاكية، فأنشأوا على موضع جبل داخل أنطاكية «مرقبا» لينذرهم من خطر هجوم مباغت سواء من البر أو البحر [٢٩].

أهمية أنطاكية كقصبة لإقليم العواصم :

كانت الحدود بين الدولة الإسلامية والامبراطورية البيزنطية حتى أوائل الخلافة العباسية تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus، وكانت تدعى هذه المنطقة الفاصلة بين حدود الدولتين منطقة الثغور، وتشكل هذه المنطقة عند الطرف المسلم امتداداً من الحصون يحمي هذه المنطقة من هجمات البيزنطيين. وكان هذا الامتداد يمتد من ملطية على الفرات الأعلى حتى طرسوس غرباً بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكان المسلمون والبيزنطيون يتنافسون للسيطرة على حصون هذه المنطقة، فتارة ترى حصناً تحت السيادة الإسلامية ثم يسقط تارة أخرى تحت سيادة البيزنطيين، وهكذا كان التنافس شديداً بين كلا الطرفين وكانت المنطقة الخاضعة للمسلمين - بين حدود الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية - تقسم إلى منطقتين هما الثغورالجزرية والثغور الشامية، فالثغور الجزرية هي المنطقة الواقعة شمال شرقي هذه المنطقة ومنها ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة، أما الثغور الشامية فهي المنطقة القريبة من الساحل الشمالي لخليج الاسكندرونة كالمصيصة وأذنة وطرسوس، أما منطقة العواصم - وهي التي تهمنا في هذا البحث - فهي سلسلة حصون داخلية للمسلمين تقع جنوب منطقة الثغور الشامية، وسميت بهذه التسمية

(٢٨) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الأول، ص ١٥٧.

(٢٩) فتحي عثمان : الجزء الأول، ص ٢٣٠.

لأنها كانت تعصم الحدود الإسلامية بإذن الله وتعينها على صد غارات البيزنطيين(٣٠). ويضم إقليم العواصم - وفقاً لما ذكره ابن الفقيه المتوفى حوالي ٢٩٠هـ، والذي ذكره مؤلف كتاب «الحدود الإسلامية البيزنطية» - مدينة أنطاكية [illegible](٣١).

والجدير بالذكر أن هذا التقسيم الذي ذكرته لإقليم الثغور والعواصم غير ثابت بمعنى أنك قد ترى في فترة تاريخية ما حصنا تابعاً للثغور وفي فترة أخرى تابعاً للعواصم، وهناك اختلاف كبير بين الجغرافيين المسلمين المعاصرين حول التحديد الجغرافي لإقليم العواصم، ويمكن إرجاع هذا التداخل والاختلاف إلى كون إقليم الثغور والعواصم ليس إقليماً طبيعياً متميزاً من الوجهة الجغرافية ولكنه تقسيم إداري نتج عن مصالح الدولة الإسلامية ولاسيما المصلحة العسكرية، فالإقليم من الوجهة الجغرافية يتداخل في شمال الشام والجزيرة الفراتية وأرمينية(٣٢)، كما أن هذا التقسيم الإداري نفسه تأخر إنشاؤه فلربما أُنشئ عام ١٧٠هـ أيام خلافة هارون الرشيد. ذكر أبو الفداء صاحب حماة في تاريخه المعروف:

«إن هارون الرشيد عزل في عام ١٧٠هـ الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وسماها العواصم» (٣٣).

وقد تمتع ولاة مدن وحصون العواصم بسلطة كبيرة، فقد منحتهم الحكومة المركزية - سواء كانت هذه الحكومة الخلافة أو حكومة استيلاء - تفويضاً يعطيهم حق الاستفادة من مواردهم الذاتية لحماية أقاليمهم من الأخطار الخارجية، ولم يكن هؤلاء يستعينون بالحكومة المركزية إلا في الحالات الطارئة، ويتواءم مدى السلطة الممنوحة لوالي المدينة أو الحصن من الحكومة المركزية عسكرياً مع عدد قوات السلطة

---

(٣٠) فتحي عثمان: ج١، ص١٣٢-١٣٣.

(٣١) فتحي عثمان: ج١، ص٢١٣.

(٣٢) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية. الجزء الأول، ص٢١٧.

(٣٣) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية. الجزء الأول، ص٢١٦-٢١٧.

المركزية المرابطة في مدينته أو حصنه، بمعنى كلما كثرت قوات الحكومة المركزية في إقليمه ضعفت استقلاليته فيه. وكما أن استقلالية هؤلاء الولاة تزداد كلما بعدت أقاليمهم عن مقر الحكومة المركزية (٣٤).

ويُذكر أن الخليفة العباسي هارون الرشيد دخل أنطاكية، فأعجبته كثيراً، فعزم على أن يجعلها إحدى عواصم دولته، فقام أحد مشايخ المدينة فثبطه عن هذا العزم مبرراً أن جوّها لن يساعده على ذلك نظراً لرطوبتها الشديدة، وذكر له مانصه «لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لاينتفع به، والسلاح يصدأ ولو كان من قلعي الهند»، فاقتنع الرشيد بهذا الرأي وغير عزمه (٣٥)، ويبدوأن حب أهل أنطاكية للاستقلال وكرههم للسيطرة المباشرة عليهم من قبل الحكومة المركزية دفعا هذا الشيخ لإثناء الرشيد عن عزمه.

ويبدو أن مدينة أنطاكية استفادت كثيراً من هذا النوع من الاستقلالية، واستمر هذا الوضع حتى ولاية ياغي سيان لها منذ عام ٤٧٧هـ حتى سقوطها بيد قادة الحملة الصليبية الأولى عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م وهي موضوع هذه الدراسة. لذا لانستغرب عندما نرى أن ياغي سيان يحاول أن يستقل في إمارته التي ضمت أنطاكية وكورها إضافة إلى تل باشر وشيخ الدين ومعرة النعمان واللاذقية. وسنرى عند الحديث عن دور ياغي سيان في الصراع بين القوى السلجوقية أن ياغي سيان كان يتقلب في تحالفه بين كل من مملكتي حلب ودمشق رغبة منه في الحصول من أحدهما على امتيازات أكثر من الآخر في إدارة أمور إمارته «أنطاكية» باستقلالية أكثر.

---

(٣٤) فتحي عثمان : الجزء الأول ص ٢٥؛ ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب. الجزء الثامن، ص ٣٦٦١؛ أبو يعلى حمزة ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمدروز، ليدن ١٩٠٨م، ص ١٢٤؛ ابن العديم : زبدة الحلب، ص١١١-١١٣.

(٣٥) فتحي عثمان، الجزء الأول، ص ٢٢٩.

أهمية أنطاكية للدولة السلجوقية :

من المعروف أن سلطان سلاجقة الروم سليمان بن قُتُلْمُش تمكن من استعادة أنطاكية للسيادة الإسلامية عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م، وقد استغل خلافاً عائليا بين حكامها البيزنطيين فاستعان به أحد الطرفين المتنافسين ضد الآخر، وبعد استيلائه على أنطاكية حاول ابن قتلمش التوجه إلى مدينة حلب للاستيلاء عليها، فتصدى له منافسه تاج الدولة تتش الذي هزم جيش ابن قتلمش واستولى على حلب من المرداسيين الذين كانوا آنذاك تابعين اسمياً للسلاجقة. وعندما رأى السلطان السلجوقي ملكشاه تمكن أخيه تاج الدولة من حلب قام شخصياً بقيادة جيشه واستطاع استعادة حلب صلحاً من جيش تاج الدولة، ثم ذهب وأخذ أنطاكية صلحاً من الحسن بن طاهر وزير ابن قتلمش، ثم توجه نحو السويدية وتسلمها من نواب ابن قتلمش، وحمد الله على ماأنعم عليه من تملك بحر المشرق إلى بحر المغرب [٣٦]. إن خروج السلطان السلجوقي بنفسه ليتسلم أنطاكية وكورها لهو دليل واضح على أهمية هذه المدينة للسلطان السلجوقي، لذا سنراه يوليها لقائد يعتمد عليه وهو ياغي سيان موضوع هذه الدراسة.

---

(٣٦) عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير : *الكامل في التاريخ*، تحقيق مجموعة من المؤرخين، القاهرة، ١٩٢٩، المجلد الثامن ص١٤٠؛ عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير : *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية*، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، ١٩٦٣، ص٦-٧؛ ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*، الجزء الأول، ص٨٧.

ثانياً : موجز لتاريخ أنطاكية

أسست مدينة أنطاكية سنة ٣٠٠ق.م على يد سليوقس بن أنطيوخوس الملقب بـ«ناكتور» اي المنتصر، واسماها انطاكية نسبة لوالده أنطيوخوس وهو من أشهر قادة الاسكندر المقدوني الذي سيطر على أغلب العالم القديم حتى ضمت مملكته الصين وفارس وسوريا والجزيرة العربية.

وبعد وفاة الاسكندر المقدوني اقتسم قواده امبراطوريته بعد حروب طاحنة بينهم، ففاز كل واحد منهم بجزء منها، واستطاع سيليوقس الفوز ببابل والجزء الشرقي من آسيا الصغرى وشمال سوريا حتى ساحلَ البحر الأبيض المتوسط، وكان ضمن هذه المنطقة منطقة شمال سوريا التي يقع فيها موقع أنطاكية وقد أقام عليه هذا القائد مدينة أنطاكية التي سيكون لها دور مهم في التاريخ سواء الهلينستي أو البيزنطي أو الإسلامي أو الصليبي. والفترتان الأخيرتان هما اللتان سنركز عليهما في هذه الدراسة (٣٧).

وعرفت الدولة التي أقامها سيليوقس بالدولة السلوقية، وهدف سيليوقس - من تأسيس أنطاكية - أن تصبح قاعدة جديدة له في الجزء الشمالي الغربي من سوريا نظراً لأهمية هذه المنطقة كمعبر حيوي للشرق سواء من الناحية التجارية أو العسكرية. فقد دارت عند هذا المعبر كثير من المعارك الفاصلة بين القوى المتنافسة آنذاك - بهدف السيطرة على المعابر الحيوية الاستراتيجية، كما هدف سيليوقس من إنشاء أنطاكية أن تصبح مركزاً حضارياً تنال به دولته الجديدة التفوق الحضاري على جاراتها المنافسة لها من الممالك التي تأسست على أنقاض امبراطورية الاسكندر المقدوني.

---

(٣٧) فولشر الشارتري، ترجمة قاسم عبده قاسم، ص ١٢١.

وقبل أن يشرع سيليوقس بتأسيس أنطاكية درس جغرافية منطقة شمال غربي سوريا فوجدها ذات سلاسل جبلية شاهقة تنحدر سفوحها جهة شاطئ البحر المتوسط، فاتضح له أن المدينة المقترحة يجب أن تتكون من جزأين أحدهما خارجي (بحري) مجاور لجهة البحر والجزء الآخر داخلي (بري) جهة البر، واتضح له أن أنسب مكان مقترح هو الركن الغربي من سهل العمق الواقع شمال سوريا حيث يوجد موقع ممتاز يرتبط فيه البر بالبحر عند مجرى نهر العاصي «أورينت». فعند هذا الموقع يغير هذا النهر مجراه فيستدير على الحدود الجنوبية لسهل العمق حيث يشق له وادياً في سلسلة جبال واقعة شمال غربي سوريا بين جنوب جبل اللكام (أمانوس) وجبل الأقرع (كاسيوس)، وهناك يتابع النهر مجراه فيصب في البحر المتوسط. وهكذا أقام سيليوقس مدينة على ساحل البحر عند منطقة تبعد خمسة أميال من مصب نهر العاصي أسماها «سلوقية» نسبة له شخصياً، فأصبحت الجزء البحري لعاصمة ملكه، وأقام شرقي هذه المدينة على بعد ثمانية عشر ميلاً منها حيث يلتقي الشاطئ الأيسر لنهر العاصي مع جبل سيلبيوس (حبيب النجار) أقام الجزء الثاني من عاصمة ملكه وهي الجزء الداخلي (البري) وأطلق على هذه المدينة «أنطاكية» تخليداً لاسم والده أنطيوخوس. وقد وفر نهر العاصي إضافة إلى عيون كثيرة تأتي من الجبال الماء اللازم للشرب ولري زراعة أهالي أنطاكية. ويصفها الاصطخري صاحب كتاب «صفة الأقاليم» بأنها أنزه بلد في بلاد الشام بعد دمشق. كما أسس سيليوقس مدناً أخرى أهمها مدينة (لادوسيا التي تعرف الآن باللاذقية) نسبة إلى أمه، وأقام مدينة برية أخرى أسماها «أفامية» نسبة إلى زوجته(٣٨).

وتميزت أنطاكية – عند بنائها – عن جاراتها المدن الأخرى اللواتي عاصرنها بمزايا عديدة، فقد منحت موقعاً استراتيجياً حصيناً، كما أن موقع المدينة المستطيل

(٣٨) عامرة الحمد، ص٢-٦؛ بغية الطلب، الجزء الأول، ٤٨، ٨٣، ٨٦، ٨٨. Hitti,P.H: Ahistory of Syria, London, 1951, PP 237,351.

الشكل يسمح لها بالامتداد مستقبلاً وهو ماحدث فعلاً، ففي خلال الحكم الإسلامي للمدينة ضُمت لها كور «قرى» ومدن صغيرة، ومنها تيزين - الجومة - ارتاح - الدقسي - قرصلي - بدايا - السويدية والقرشية، كما منحها المجرى الغربي لنهر العاصي الواقع غرب المدينة منفذاً يصلها بشاطئ البحر الأبيض المتوسط والاتصال بالعالم الخارجي بحرياً، كما أعطاها جبل سلبيوس الممتد في الجنوب والجنوب الشرقي للمدينة - حصانة طبيعية تمنع عنها بإذن الله غارات الأعداء من جهة الجنوب والجنوب الشرقي، وأكمل مناعة هذا الجبل المنيع بناء سور عند منافذ هذا الجبل، فقد قام بتصميم هذا السور وكذلك شوارع المدينة بدقة كبيرة المهندس زيناريوس، حيث راعى هذا المهندس في بناء السور زوايا الظل وحرارة الشمس في الشتاء إضافة إلى إمكانية الاستفادة من نسيمي البحر المتوسط ونهر العاصي اللذين يهبان صيفا. ويبدو أن هذا السور استمر قائماً لم ينقض منذ بنائه الأول، ولم يتوافر لدي مايثبت أن هذا السور قد هدم وأعيد بناؤه في فترة لاحقة.

وقد منحت مدينة أنطاكية نظراً لموقعها وتخطيط بنائها أهمية كبيرة في التجارة العالمية، فقد أصبحت مركزاً تجارياً رئيساً في شرق البحر المتوسط، فكانت مركزاً لالتقاء طرق التجارة البرية آنذاك، التي تمر في سهل «العمق» نحو شمال إقليم الجزيرة الفراتية شمال العراق والعائدة منها بالطريق نفسه نحو البحر المتوسط. وكانت كذلك مركزاً لالتقاء طرق التجارة القادمة من مصر إلى جنوب جبال الأناضول، كما أن صلاحية نهر العاصي عند مجراه الأدنى للملاحة زادت من أهمية أنطاكية تجارياً، وهكذا أصبحت أنطاكية مركزاً لتجمع التجارة الواردة من آسيا وأوروبا، والتي يتم نقلها منها إلى ميناءي سلوقية والسويدية بواسطة القوارب (٣٩).

---

(٣٩) عامرة الحمد، ص ٦-٧؛ فولشر الشارتري ص ١٢١؛ *بغية الطلب في تاريخ حلب* لابن العديم، الجزء الأول ص٤٨، ص٨٣، ص٨٦، ص٨٨. بغية الطلب، ج١، ص٨٩.

ودعم نشاط أنطاكية التجاري شبكة من الطرق البرية، ومن هذه الطرق الطريق الأولُ الذي يصلها بسلوقية محاذياً للضفة اليمنى لنهر العاصي، ويلتقي هذا الطريق مع طريق رئيسي يصل مصر مع جنوب الأناضول، وهناك طريق بري ثان يصل شمال أنطاكية مع مدينة حلب حيث يتلاقى بالطرق البرية الأخرى داخل سوريا. ويورد ابن العديم عن ابن بطلان الطبيب أن الطريق بين حلب وأنطاكية أرض عامرة بالزراعة خاصة زراعة الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون، وطريق ثالث يصل جنوب مدينة أنطاكية عند إحدى ضواحي أنطاكية وتدعى ضاحية «دفنة» على بعد حوالي خمسة أميال من أنطاكية نفسها، فيمتد عبر الجبال حتى يصل إلى اللاذقية الواقعة على ساحل البحر المتوسط حيث يلتقي هذا الطريق هناك مع الطريق الساحلي، والطريق الرابع يمتد من قرب أخدود نهر العاصي ويصلها بمدينة أفامية والجهات الشرقية والجنوبية من سوريا (٤٠).

وقد منح موقع أنطاكية لها أهمية استراتيجية لكونها تقع على جبل سيلبيوس كنقطة التقاء لسلاسل جبلية هائلة الارتفاع، فيمتد على جنوب أنطاكية سلسلة جبل كاسيوس (الأقرع) الممتد على الساحل الشمالي الأوسط لنهر العاصي، وهناك سلسلة أخرى من الجبال تقع شمال مدينة أنطاكية تدعى جبال أمانوس وهي شمال نهر العاصي، يتخلل هاتين السلسلتين الجبليتين (كاسيوس والأمانوس) ممرات طبيعية تربط أنطاكية بالجهات المحيطة بها، ومن يستطع التحكم في تلك الممرات يمكنه التحكم في تلك الجهات سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. وأهم تلك الممرات الوادي الذي يجري فيه نهر العاصي بين الطرف الجنوبي لجبال أمانوس (اللكام) وجبل كاسيوس (الأقرع)، وبواسطة هذا الممر تمكنت أنطاكية من الإطلال على البحر المتوسط لتحصل على منفذ بحري، ويعرف هذا المنفذ بميناء السويدية، ويدعى هذا الممر درب أنطاكية أو ممر بيلان.

(٤٠) Hitti, P 303 ؛ ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*، الجزء الأول، ص٨٥.

وقد مثل جبل الأمانوس حاجزاً بين شمال الشام وآسيا الصغرى، كما أنه فصل بين ثغور الجزيرة والثغور الشامية، وجعل موقع هذا الجبل من إقليم قليقية الواقع جنوب آسيا الصغرى في وحدة إقليمية مع إقليم أنطاكية إذ نالت أنطاكية السيطرة على تلك الوحدة الإقليمية، ذلك أن الممر الرئيس في جنوب جبل اللكام والمؤدي إلى قليقية كان يخضع لأنطاكية وهو قريب من مدينة أنطاكية نفسها وقد عرف باسم أبواب سوريا ويعرف عند المؤرخين المسلمين بدرب أنطاكية لوقوعه على مدخل شمال بلادالشام (٤١)، واحتفظت أنطاكية بتلك المزايا حتى قيام الحروب الصليبية.

ويصف المؤرخ المسعودي - (ت : ٣٣٣هـ/ ٩٤٣م) - سور مدينة أنطاكية بأنه إحدى عجائب العالم في البناء الذي يمتد على السهل والجبل، ويبلغ طول هذا السور اثني عشر ميلا، ويعلوه مائة وستون برجاً، ويعلو هذه الأبراج حوالي أربعة وعشرون ألف شرفة، وهو عدد كبير جداً، ويتكفل بحراسة كل برج قائد عسكري يدعى بطريقاً ومعه رجال وفيلة للدفاع عنه. ويقدر مجموع المدافعين عن المدينة في أبراجها جميعاً بأربعة آلاف مدافع (٤٢)، ويذكر ابن العديم أن هؤلاء المدافعين كان يرسلهم الامبراطور البيزنطي من جيشه النظامي المقيم في القسطنطينية ويستبدلهم سنوياً.

---

(٤١) عامرة الحمد، ص٨-٩؛ فولشر الشارتري، ص١٢٢؛ ابن العديم : بغية الطلب ص٤٤٩؛ وليم الصوري : الجزء الأول، ص٨٩.

Historia rerum in partibus transmarinis gestarum, R.H.C Oc.1 وقد قام بترجمته English tr. E. Bobcock; إلى اللغة العربية من الترجمة الانجليزية الدكتور حسن حبشي وهي and A.C. Krey, A History of Deeds Done Beyond the Sea, Colombia, Records of Civilization, 35 (New York, 1943).

وأسماه المترجم «*الحروب الصليبية* (١٠٩٤-١١٨٤م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.

(٤٢) المسعودي : *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤، الجزء الأول، ص٣٥١؛ ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*، الجزء الأول، ص٨٦.

ولمدينة أنطاكية أهمية دينية ولاسيما بالنسبة إلى النصارى الأرثوذكس، وكان يشرف بطريرك كنيسة أنطاكية على أربع عشرة أسقفية (٤٣).

أهمية أنطاكية قبل قيام الامبراطورية البيزنطية :

حول خلفاء سيليوقس عاصمتهم إلى أنطاكيه بعد أن كانت سلوقيه. وقد نالت أنطاكية هذه الأهمية نظراً لموقعها الاستراتيجي وتزايد العناية بها من قبل الملوك السلوقيين، وهكذا غدت أنطاكية مركزاً حضارياً مهماً للحضارة الهلنستية التي وضع قواعدها الاسكندر المقدوني، بل تبوأت الزعامة لهذه الحضارة في بلاد الشام، وأصبحت قبلة العلماء الإغريق (٤٤). وازدهرت أنطاكية أكثر أيام حكم الرومان خاصة من الناحية التجارية نظراً لمزايا طرقها التجارية التي شكلت شبكة متكاملة ربطت أنطاكية بمدن قليقية وبلاد الرافدين وجنوب فلسطين، وظلت الطرق الرومانية - المشهورة في التاريخ القديم - صالحة حتى العصر البيزنطي (٤٥).

كما شجع موقع أنطاكية دعاة المسيحية الأوائل على اتخاذها مركزاً لهم ينطلقون منه لنشر المسيحية في العالم بعيداً عن اضطهاد اليهود لهم. وقامت بها أول كنيسة منظمة تتولى الإشراف على المهام التبشيرية وهي كنيسة القديس بطرس الرسول وهو أمير حواريي المسيح عليه السلام. وأصبحت أنطاكية العاصمة الوحيدة للعالم المسيحي عندما دمر الرومان أورشليم «القدس» سنة ٧٠م التي كانت تنافس أنطاكية في زعامة الدين المسيحي الجديد، ومن أهم كنائس أنطاكية كنيسة القسيان الواقعة في وسط المدينة. ويذكر ابن العديم أنه يقال إن فيها كف النبي يحيى بن زكريا عليه

(٤٣) وليم الصوري : *الأعمال المنجزة فيما وراء البحار*، الجزء الأول، ترجمة د.حسن حبشي. ص٢٧٢.
(٤٤) عامرة الحمد. ص١٢-١٣.
(٤٥) فولشر الشارتري ص١٢١؛ عامرة الحمد، ص١٤.

السلام، وهذه الكنيسة أجمل كنيسة من حيث بناؤها بالرخام في تلك العصور التاريخية (٤٦).

انطاكية تحت السيادة البيزنطية (٣٣٣-٦٣٨م) :

إن انقسام الامبراطورية الرومانية إدارياً إلى قسمين شرقي وغربي سنة ٣٣٧م أثر سلباً في مدينة أنطاكية سياسياً وحضارياً، ذلك أن بناء القسطنطينية كعاصمة للجزء الشرقي للامبراطورية - والتي ستعرف فيما بعد بالدولة البيزنطية - بالقرب من أنطاكية أفقد أنطاكية جزءاً من المميزات السابقة التي نالتها، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً فقد أخذ أباطرة الامبراطورية الرومانية فيما بعد يُعنون بأنطاكية عناية كبيرة، حتى إن الامبراطور قسطنطين - عندما نقل عاصمته من روما إلى القسطنطينية عام ٣٣٠م - أوكل ولاية أنطاكية لأحد أبنائه المدعو القيصر قسطنطيوس ولم يولها لغير أبنائه تأكيداً لعنايته بالمدينة (٤٧).

وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي (بيزنطي) وغربي (لاتيني)، حظيت أنطاكية بميزة إدارية كبيرة لكونها أصبحت مقراً لكونت الشرق المسؤول عن إدارة حكم أملاك الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) في الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر. وقد مُنح صاحب هذا المنصب الصلاحيات الإدارية والقضائية التي كان يتمتع بها نواب الحاكم العام (Vicars) حيث صار له اتصال مباشر بالحاكم العام (Praeterian) وهو المسؤول عن إدارة القسم الشرقي للامبراطورية قبل انقسامها. واستمرت أهمية منصب «كونت الشرق» حتى قدوم

---

(٤٦) وليم الصوري : ص٢٧٢؛ عامرة الحمد. ص١٤-١٥؛ فولشر الشارتري ص١٢١؛ ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*، الجزء الأول ص٨٦-٨٨.

(٤٧) عامرة الحمد . ص١٦-١٧.

الصليبيين في حملتهم الأولى، حيث طلب أحد زعمائهم وهو بوهيموند النورماندي من الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين الأول أن يمنحه هذا المنصب، ومن الجدير بالذكر أن بوهيموند سيصبح أول أمير صليبي لإمارة أنطاكية الصليبية عام ٤٩١هـ/١٠٩٨م. وقد حرص الأباطرة الروم على حصر تقليد منصب «دوق الشرقية» بأحد أبناء البيت الامبراطوري دون غيرهم (٤٨).

أنطاكية تحت سيادة الدولة الإسلامية (٦٣٨ - ٩٦٩م) :

فتح المسلمون أنطاكية عام ١٥ / ٦٣٨م صلحاً، وقد افتتحها الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح (٤٩)، وعُنوا بها كثيراً وجعلوها مركزا لانطلاق الجيوش المسلمة لمهاجمة البيزنطيين ومطاردة فلولهم التي غادرت مدينة أنطاكية مع امبراطورهم المهزوم هرقل. وجعل الخلفاء العباسيون من أنطاكية قصبة إقليم العواصم والثغور حيث كانت الثغور هي المواضع التي ينفذ منها البيزنطيون لشن حملاتهم العسكرية ضد الدولة الإسلامية، أما العواصم فهي مدن وقلاع تقع بعد منطقة الثغور بشمال الشام وعلى الفرات وكان يعتصم بها جند الإسلام لصد هجمات البيزنطيين تلك، وبهذا أصبحت أنطاكية ولاية عسكرية يحكمها قادة عسكريون للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية.

وازدهرت أنطاكية آنذاك حضارياً وحفلت بنشاط فكري إلى جانب نشاطها العسكري، كما تميزت بالحرية الدينية التي حث عليها الدين الإسلامي، فاحتفظ

---

(٤٨) عامرة الحمد : ص١٧-١٩؛ The Alexiad of Anna Comnena, P 329

(٤٩) ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*. الجزء الأول، ص٨٨.

النصارى فيها بطقوسهم وعبادتهم في ظل محافظتهم على مواثيقهم مع المسلمين(٥٠).

أنطاكية تحت السيادة البيزنطية للمرة الثانية (٩٦٩ - ١٠٨٤م):

قامت الأسرة المقدونية - التي تولت عرش الامبراطورية البيزنطية سنة ٨٦٧م - بالتوسع على حساب الدولة الإسلامية، فقام الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس بحملة عسكرية كبيرة ضد الدولة الإسلامية نجحت في السيطرة على شمال بلاد الشام من الدولة الحمدانية. وكانت أنطاكية من ضمن ماستولت عليه الحملة حيث تمكن القائد البيزنطي بطرس فوقاس (الطربازي) - وهو ابن أخ الامبراطور نقفور فوكاس - عن طريق تآمره مع نصارى أنطاكية من الاستيلاء على مدينة أنطاكية في ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، حيث نكل البيزنطيون بالمسلمين، وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا عشرين ألفا منهم (٥١).

وغدت أنطاكية عاصمة لإقليم إداري يحكمها قائد يلقب «بالدوق» أو القبطان كما عرف عند المسلمين، ويعتبر هذا المنصب من أعلى المناصب الإدارية في الدولة البيزنطية، وقد أوكل الامبراطور البيزنطي لأنطاكية مهمة الدفاع عن إقليم آسيا الصغرى، فأنشأ الامبراطور نقفور فوكاس قلعة لأنطاكية، كما جدد أسوارها (٥٢).

(٥٠) ابن الأثير الجزري: *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل*. تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، ١٩٦٢ن، ص٦؛ عامرة الحمد ص٢٣-٢٦؛ فتحي عثمان: *الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري*. الجزء الأول، ص٢٢٩.

(٥١) عمر كمال توفيق: مقدمات العدوان الصليبي، ص١٧-١٨، وص٣٠؛ ابن العديم: *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، الجزء الأول، تحقيق سامي دهان، ص١٦٠-١٦٢.

(٥٢) عامرة الحمد، ص٢٩-٣٠؛ History of the Crusades, Steven Runciman, vol I ترجمه إلى اللغة العربية السيد الباز العريني، ص٣٢٤.

ثالثاً : أوضاع بلاد الشام عشية قدوم الصليبيين ودور ياغي سيان في صراع القوى السلجوقية

السلطان ألب أرسلان السلجوقي والامبراطور رومانوس الرابع البيزنطي :

يرى المؤرخ وليم الصوري « **أن غضب الرب قد فاض على المؤمنين «أي النصارى»في أرض الميعاد (فلسطين). حيث قاسوا من الشدائد الكثيرة، وكان أشدها عندما سلط الله عليهم أحد حكام فارس وسوريا ويدعى ألب أرسلان (أي السلطان السلجوقي الذي كان قد استبد بالخلافة العباسية كما شاء) فقد هزم ألب أرسلان (١٠٦٣ - ١٠٧٢م) بجيوشه الكثيفة الجيش البيزنطي (الإغريقي) الذي قاده الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في معركة ملاذكرد عام ١٠٧١م**». ويبدو أن الجيش السلجوقي كان يقل كثيراً عن الجيش البيزنطي. فقد تمكن ألب أرسلان من إثارة الرعب في نفوس الأباطرة البيزنطيين فلم يجرؤوا على مواجهته، ويشير وليم الصوري إلى أن كل الأباطرة البيزنطيين، الذين سبقوا رومانوس الرابع، كان لايعنيهم سوى سلامتهم، ولاتثور في نفوسهم الحمية للدفاع حتى عن نسائهم وأطفالهم.

وعندما علم الامبراطور رومانوس الرابع (١٠٦٨ - ١٠٧١م) بزحف جيش ألب أرسلان نحو آسيا الصغرى دفعته الحمية للدفاع عن النصرانية إلى استدعاء قواته من مشاة وفرسان، وحشد ألب أرسلان حشداً كبيراً قدره بعض المؤرخين بحوالي مائة ألف مقاتل، ويبدو أن هذا الجيش لم يتجاوز الخمسين ألف مقاتل، بينما لم يعطنا وليم الصوري تقديراً للجيش البيزنطي، إلا أنه ذكر أن الجيش البيزنطي كان مكافئاً للجيش السلجوقي، كما أردف قائلاً إن الرب لم يكن راضياً عن الامبراطور، إلا أنه لم يذكر السبب. وعموماً فإنه في حالة هزيمة أي جيش نصراني يذكر المؤرخ

الصليبي المعاصر أن الرب كان غير راض عن النصارى. ويبدو أن الجيش البيزنطي كان يتفوق على الجيش السلجوقي عددياً بمرتين أو يزيد. والتقى الجيشان في «ملاذكرد» شمالي بحيرة فان في ١٩ أغسطس سنة ١٠٧١م، فأبيد الجيش البيزنطي وحقق السلاجقة نصراً كبيراً على البيزنطيين لم يسبق لغيرهم من المسلمين من قبل [illegible] نكبة ملاذكرد [illegible] البيزنطيين أسوأ نكبة حاقت بالامبراطورية فلم [illegible] بمثلها من قبل، حتى إن الامبراطور أُسر وهو مالم يحدث من قبل لأي امبراطور بيزنطي في تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي. وعادت القلة ممن نجت من نكبة ملاذكرد تندب حظها العاثر وتروي تفاصيل الكارثة، ثم فرض السلطان ألب أرسلان على الامبراطور المأسور شروطاً - ذكرها مؤرخونا المسلمون ولم يذكرها المؤرخون اللاتين - نظراً لكونها فيما يبدو شروطا مخزية في حق الدولة البيزنطية التي كادت أن تفقد استقلالها في حالة تطبيق تلك الشروط، إلا أن هذه الشروط لم تطبق لأن البيزنطيين خلعوا امبراطورهم المأسور وأقاموا أحدهم المدعو ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨م) امبراطوراً جديداً، وهكذا لم يلتزموا بشروط الصلح التي فُرضت على امبراطورهم المخلوع (٥٣). وساعد نصر «ملاذكرد» السلاجقة على الاستيلاء على آسيا الصغرى ولم تحتفظ الدولة البيزنطية منها إلا بمدن قليلة على ساحل بحر مرمرة. كما وقع خلاف كبير بين القوى البيزنطية حول شرعية حكم ميخائيل السابع وشُغل البيزنطيون في حروب أهلية طويلة تدخل فيها الأتراك بمن فيهم السلاجقة بطلب من القوى البيزنطية. وحدث أثناء مواجهة الامبراطور ألكسيوس كومنين خطر الكومان المتحالفين مع المتمرد التركي المدعو زاخاس (Tzachas) - صاحب سميرنا Smyrna - (أزمير الحالية) أن طلب الامبراطور

(٥٣) وليم الصوري، ص٨٣-٨٥؛ فولشر الشارتري ص١٠٨؛ ميخائيل زابوروف: *الصليبيون في الشرق*. ترجمة الياس شاهين إلى اللغة الروسية، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص٣٢٩.

John France, Victory in the East, Cambridge University Press, First Edition, 1994 PP 109 - 110.

البيزنطي المساعدة من سلاجقة الروم وهم أقارب السلاجقة الذين استبدوا بالخلافة العباسية منذ ٤٤٧هـ، وأعطى التحالف السلجوقي البيزنطي سلاجقة الروم استقلالية في آسيا الصغرى ووطد نفوذهم حتى أصبحوا مسيطرين على أغلب آسيا الصغرى، بينما سيطر بنو الدانشمند على الأجزاء الوسطى والشرقية من هضبة الأناضول، واستقل أمراء سميرنا الأتراك بأغلب الساحل الغربى لآسيا الصغرى، بينما استمرت أنطاكية -موضوع هذا البحث- تحت السيادة البيزنطية حتى سقوطها بأيدي سلاجقة الروم عام ١٠٨٥م.

ثم استنجد ميخائيل السابع بالبابا جريجوري السابع (١٠٧١ - ١٠٨٥م) لإنقاذ الامبراطورية البيزنطية من التهديد السلجوقي، ولقيت هذه الدعوة استجابة عند البابا ومن ثم عند خليفته البابا أربان الثاني الذي سيتبنىَ الدعوة للحروب الصليبية عام ١٠٩٥م.

فتوحات السلاجقة في الدولة البيزنطية واستعادة أنطاكية للسيادة الإسلامية :

وخلف ملكشاه والده ألب أرسلان بعد وفاته سنة ٤٦٥ هجرية، ولم تواجهه عقبات كبيرة تعيقه عن استئناف الفتوحات داخل الدولة البيزنطية، فتمكن هو وقوى تركية أخرى كسلاجقة الروم وأمراء سميرنا وبنو دَانْشْمَنْد من الاستيلاء على جميع البلاد الممتدة من اللاذقية إلى مضيق البسفور المجاور للعاصمة البيزنطية (القسطنطينية) نفسها، وتقدر هذه الأراضي التي فتحوها برحلة مسيرة ثلاثين يوما طولا، ومسيرة خمسة عشر يوما عرضا. وبالرغم من هذه الفتوحات الكبيرة لملكشاه فإن أنطاكية لم تفتح إلا في عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م من قبل أبناء عمومته وهم سلاجقة الروم. فقد استعادها سليمان بن قُتُلْمُش سلطان سلاجقة الروم (٥٤).

(٥٤) وليم الصوري : ص٨٥-٨٧؛ John France, PP 155 - 166 .

ومدينة أنطاكية – كما سبق ذكره – من أهم البلاد عند النصارى، فقد كانت أول مركز لأمير الحواريين «بطرس»، وهاهي تعود من جديد تحت السيادة الإسلامية السلجوقية (سلاجقة الروم)، ولم يستغرق فتح هذه المناطق البيزنطية وقتاً طويلاً، بل تم في فترة وجيزة، فانضوت هذه البلاد (كوليسيريا) بما فيها من ولايات فيليميه، أيسوريا (Taurus)، وقيليقية، كبادوكيا (Cappadocia)، غلاطية (Galatia)، بونتروس، بيسيديا (Pisidia) وقسم من آسيا الصغرى تحت سيادة الدولة السلجوقية المسلمة، وسكان هذه البلاد جميعاً نصارى.

وهذه البلاد بما فيها أنطاكية من أغنى المناطق التابعة للدولة البيزنطية التي خسرتها للسلاجقة، كما أنه لو توافر للسلاجقة القوة البحرية الكافية لقاموا بالاستيلاء على عاصمة الدولة البيزنطية ذاتها، بل إن البيزنطيين فزعوا من انتصارات السلاجقة، واحتموا بأسوار عاصمتهم خوفاً من سقوطها، كما سيطر السلاجقة آنذاك على بيت المقدس. وهكذا أصبحت كلتا المدينتين المقدستين للنصارى (بيت المقدس وأنطاكية) خاضعتين للسلاجقة وكأنهما تنتظران من يخلصهما من السلاجقة، فكأنما بدت الدعوة للحروب الصليبية جواباً عن هذا الأمر (٥٥).

انتهز سليمان بن قُتُلْمُش فرصة وفاة السلطان السلجوقي ألب أرسلان محمد بن داود في عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، ثم تولي ابنه ملكشاه السلطنة السلجوقية الذي انشغل بتوحيد سلطته حيث ثار عليه كثير من ولاة الأقاليم ومن ضمنهم سليمان بن قتلمش نفسه، استغل هذه الفرصة ابن قتلمش فتمكن من الاستيلاء على مدينة أنطاكية من واليها الأرمني فيلارتوس الذي يسميه المؤرخون المسلمون بالفردوس الرومي، وقد كان فيلارتوس هذا والياً على الرها منذ ٤٧٢هـ/ ١٠٧٧م من قبل

(٥٥) وليم الصوري : ص٨٥-٨٧؛ فولشر الشارتري، ص٩٢-٩٣.

شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وحلب، وكان يدفع الجزية له، وفي عام ٤٧٣هـ/ ١٠٧٨م قتل أهل أنطاكية حاكمهم البيزنطي الدوق اسحاق كومنين وراسلوا فيلارتوس حيث تسلم منهم أنطاكية. وعندما تولى نقفور بوتانياتيس عرش [illegible] أنطاكية. وكان [illegible] المسلمين مما أثار عليه ابنه، فراسل سليمان بن قتلمش صاحب قونية ونيقية، وسهل له دخول أنطاكية عندما كان والده خارج المدينة، فدخل ابن قتلمش أنطاكية عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م بقوات قليلة يقدرها ابن العديم بمائتين وثمانية فرسان.

وباستيلاء ابن قتلمش على أنطاكية دخل في صراع شديد مع شرف الدولة مسلم بن عقيل - صاحب الموصل - الذي طالبه بأن يدفع الجزية التي كان يدفعها فيلارتوس الأرمني صاحب أنطاكية له، وهنا استشاط ابن قتلمش غضباً لأن شرف الدولة عامله وكأنه غير مسلم، ودارت بينهما معركة شديدة في موضع يقال له قُرزاحل على نهر سفين، فهُزم شرف الدولة وقتل، وسار جيش ابن قتلمش للاستيلاء على حلب من ابن عم شرف الدولة وهو سالم بن مالك بن عقيل.

وعندما علم تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان - شقيق السلطان ملكشاه - بهزيمة شرف الدولة ومحاولة ابن قتلمش الاستيلاء على حلب، سارع للتصدي لابن قتلمش مبررا قدومه بمساعدة أهل حلب ضد أطماع ابن قتلمش. ودارت رحى معركة شرسة بين الطرفين هُزم فيها ابن قتلمش هزيمة منكرة وسقط ابن قتلمش صريعاً في ساحة القتال سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٥م.

ياغي سيان يتولى أنطاكية :

وتخوف السلطان ملكشاه من زيادة شقة الصراع بين أبناء البيت السلجوقي فأسرع بقواته لوقف هذا الصراع وربما لوقف أطماع أخيه تتش الذي أخذ يتوسع على حسابه، فخرج السلطان ملكشاه بنفسه بقواته ليتسلم حلب في

٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م التي وقعت قبل وصوله بفترة وجيزة بيد أخيه تاج الدولة تتش، إلا أن الأخير ترك حلب لأخيه ملكشاه عندما علم بزحفه نحوها ليتسلمها من صاحبها تجنبا لمواجهة بينهما، وعاد إلى دمشق. ويذكر ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» أن [illegible] جيش تتش [illegible] جيش أخيه [illegible] الجيش كان [illegible] [illegible] الانقضاض عليه، إلا أن تتش [illegible] الرأي وقال «لن أقوض سلطان أخي الذي أستظل به، فإن ذلك سيصيبني بالوهن أولاً»(٥٦).

وقدمت في تلك الأثناء القوات السلطانية ومعها مقدمون مشهورون منهم بُرسقُ بن بُرسق صاحب همذان، بوزان (صاحب الرها) وياغي سيان الذي سيكافئه السلطان بمنحه أنطاكية بعد أيام من تملكه حلب.

ياغي سيان وصراع القوى السلجوقية :

ومنح السلطان - عندما كان مقيماً في حلب - ابن عمته محمد بن مسلم بن قريش الرحبَة، الرَّقَة، حَرَّان، سَرُوج، والخابور كإقطاع. وفي عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٧م منح أشهر قواد جيشه آق سنقر الحاجب - والد عماد الدين زنكي - حلب كإقطاع ثم ستكتمل خطة السلطان للحد من طموحات أخيه تتش عندما يذهب بعد أيام إلى أنطاكية فيتسلمها من الحسن بن طاهر - وزير سليمان بن قتلمش - ويمنحها لياغي سيان بن محمد التركماني أحد أشهر قواده. وهكذا اتضح لنا المغزى من منح هؤلاء القواد الكبار هذه الإقطاعات لتشكل حلقة وسوراً يمنع أي محاولة يقوم بها تتش مستقبلاً للتوسع على حساب إقطاعات وممتلكات هؤلاء القادة (حلفاء السلطان).

(٥٦) ابن الأثير : *الكامل في التاريخ*، المجلد الثامن ص١٤٠؛ ابن الأثير : *التاريخ الباهر*. ص٦-٧؛ ابن العديم : *بغية الطلب في تاريخ حلب*، الجزء الأول، ص٨٧؛ Anna Comnena P 173، راجع ابن العديم : *زبدة الحلب*، جـ٢، ص٩٥.

وهكذا وجد ياغي سيان نفسه منذ هذا التاريخ، في دوامة صراع البيت السلجوقي، التي سبقت وصول الحملات الصليبية ضد بلاد الشام. وسنرى أن تورطه في هذا الصراع سيجرفه في صراعات طويلة سيتجرع مرارتها عندما ستحاصره القوات الصليبية عام ١٠٩٧م بجحافلها الكبيرة التي تقدر بثلاثمائة ألف مقاتل وتفوق قوته بنحو الى عشرين مرة (٥٧). وقد حققت هذه الحملة السلطانية التي قادها ملكشاه نجاحاً أكثر مما حققته حملة والده السلطان ألب أرسلان عام (١٠٧٣م)، وتمكن من بسط سيادة السلاجقة على أراض كانوا يتطلعون للاستيلاء عليها منذ فترة وخاصة أنطاكية وحلب التي استبد بحكمها المرداسيون منذ سقوط حكم بني حمدان. وكانت فترة حكم المرداسيين فترة اضطراب وفوضى استحسنها شيوخ القبائل أنفسهم.

إن عودة حلب للدولة العباسية هذه المرة أكدت أن بلاد الشام ستتحول جميعها إن آجلاً أو عاجلاً للعباسيين أو أتباعهم السلاجقة. وعموماً أثبت آق سنقر كفاءة كبيرة في فترة حكمه لحلب، التي امتدت ثماني سنين، فنشر العدل وأرهب قطاع الطرق فازدهرت تجارة المدينة وعمرت بعد خراب واستتب فيها الأمن بعد انعدامه. هذا بالنسبة لحلب أما أنطاكية وصاحبها - موضوع دراستنا هذه - فلاتسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات تشفي غليلنا لمعرفة أحوالها في تلك الفترة سوى مايتصل بمساهمات ياغي سيان في عقد التحالفات التي ستشهدها بلاد الشام آنذاك وكذلك السلطنة السلجوقية بشكل عام. ويظهر أن انتعاش حلب أثر إيجابياً في ازدهار أنطاكية وأقاليمها التابعة لها، لكون هذه المدينة على طريق التجارة الرئيسة (٥٨).

(٥٧) الكامل لابن الأثير. الجزء العاشر ص٩٦-٩٨؛ *زبدة الحلب لابن العديم*، الجزء الثاني، ص١٠١؛ مفرج الكروب. الجزء الأول ص٨-١٩.

(٥٨) الكامل، الجزء العاشر، ص٩٨، ١٠٧؛ زبدة الحلب، الجزء الثاني ص١٠١-١٠٢؛ مفرج الكروب، الجـــزء الأول، ص٨، The First and Secand Crusades from an Anonymous Syria Chronicle, A.S. Tritton with notes by H.R.Gibb, from the Journal of the Royal Asiatic Society, January, 1993, p 69.

وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام هنا، وهي أن علاقة ياغي سيان بآق سنقر ستنمو سريعاً بل ستصل إلى درجة التحالف في المستقبل لتحقيق أهداف محددة لكليهما. وربما كانت أهدافاً شخصية أكثر منها أهدافاً عامة تخدم البلدين اللذين حكماهما [illegible] رغم قصرها حيث لم تتجاوز ثماني سنين من ٤٧٩ –٤٨٧ هـ/ ١٠٩٥م فانتعشت منطقة حلب وشمال بلاد الشام ومن ضمنها أنطاكية انتعاشاً كبيراً ارتبط بكبح آق سنقر قطاع الطرق ومخيفي السبيل حيث «تتبع اللصوص والحرامية في كل موضع، فاستأصل شأفتهم، وكتب إلى الأطراف أن يفعلوا مثل فعله لتأمين الطرق وتسلك السبيل، فشكر بذلك الفعل وأمنت الطرق والمسالك، وسار الناس في كل جهة بعد امتناعهم لخوفهم من القطاع والأشرار، وعمرت حلب في أيامه بسبب ذلك بورود التجار إليها والجلابين من جميع الجهات، ورغب الناس في الإقامة بها للعدل الذي أظهره فيهم، ورخصت الأسعار في أيامه الرخص الزائد عن الحد، وقرّب الحلبيين وأحيا أحكام الإسلام وعمر الأطراف، وأمن السبل، وقتل قطاع الطرقات وطاردهم في كل فج، وشنق منهم الكثير، وكان كلما سمع بقاطع طريق في موضع قصده، وأخذه وصلبه على أبواب المدينة، وكثرت في أيامه الأمطار وتفجرت العيون والأنهار، وعامل أهل حلب من الجميل بما أحوجهم أن يتوارثوا الرحمة عليه إلى آخر الدهر »(٥٩). إن هذه الإصلاحات التي أجراها آق سُنقُر في حلب أثرت إيجابياً في الاستقرار وعودة الأمن والرخاء لحلب، ولايستبعد أنها أثرت إيجابياً في منطقة شمال بلاد الشام وخاصة في جارتها أنطاكية وحاكمها ياغي سيان، علماً بأن المصادر لاتمدنا بمعلومات وافية حول هذه المسألة.

إن ظهور شخصية قوية كشخصية آق سُنقُر على رأس الحكم في حلب آنذاك

(٥٩) ابن القلانسي : *ذيل تاريخ دمشق*، ص١١٩–١٢٠؛ *زبدة الحلب* لابن العديم، الجزء الثاني ص١٠٢–١٠٣، مفرج الكروب، الجزء الأول، ص١٩؛ سهيل زكار : *مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية* ص ٢٦٩–٢٧٠، ص٢٠٩.

أوضح أهمية ظهور قيادة مركزية تتركز بيدها صلاحيات كبيرة تعوض ضعف السلطة التي كانت سمة العصرين السابقين (الحمداني والمرداسي حتى ٤٠٢هـ/ ١٠١٣م، فقد استولى المرداسيون على حلب عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م). ولا نستبعد أن ياغي سيان الذي سيصبح حليفاً رئيسياً لآق سنقر الحاجب صاحب حلب - قد استحوذ على سلطات كبيرة في أنطاكية كطبيعة الحكم السلجوقي الذي يركز السيادة والسلطة بيد قائد عسكري كبير، وسيكون ياغي سيان ذلك القائد الذي سيتبوأ هذه المكانة، فهو قائد مقرب إلى السلطان ملكشاه كحليفه آق سنقر الحاجب صاحب حلب.

سبق أن أوضحت هدف السلطان ملكشاه من منح آق سنقر حلب كإقطاع ليكبح به طموحات أخيه الأصغر تاج الدولة تتش - صاحب دمشق - الذي بدت منه بوادر واضحة للاستقلال عن أخيه السلطان ملكشاه، والانفراد في البداية بحكم بلاد الشام جميعها، وكذلك الجزيرة الفراتية ليتقوى بهما لإسقاط سلطنة أخيه ملكشاه، ولايستبعد أن يكون هذا المشروع قد اختمر في عقل تتش إلا أنه لم يصرح به. وبدأ احتكاك تتش بآق سنقر، عندما قام الأخير في رجب ٤٨١هـ/ ١٠٨٩م بفرض سيادة حلب على إمارة شيزر التي كانت اسمياً تحت سيادة تتش صاحب دمشق، فقد اضطر عز الدولة ناصر بن منقذ - أمير شيزر - إلى إعلان ولائه وتبعيته لآق سنقر. ولايستبعد أن يكون آق سنقر فعل هذا بناء على أوامر من السلطان نفسه، لذا لم نر تتش يحاول وقف هذا الأمر.

وبعث الفاطميون في عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م حملة بقيادة منير الدولة الجيوشي تمكنت من تحقيق نجاحات كبيرة على حساب السلاجقة والقوى المستقلة عن الدولة الفاطمية خاصة ضد حكام صور الذين ينتمون للشيعة الاثني عشرية وهم أبناء القاضي عين الدولة محمد بن عقيل الذي أعلن استقلاله عن الفاطميين منذ حوالي سبعة وعشرين عاماً (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، كما نجح الفاطميون آنذاك في السيطرة على مدينتين تابعتين لإمارة طرابلس المستقلة هما عرقة وجبيل اللتان تبعدان عشرين

ميلاً شمالي مدينة بيروت. وقد استقل بحكم طرابلس قاضيها أمين الدولة بن عمار منذ بداية عام ٤٥٧هـ/ ديسمبر ١٠٦٤م، وقد ضمت إمارة طرابلس آنذاك كلا من طرسوس وعرقة وجبيل ثم ضمت لها جبلة عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م (٦٠).

تدخل ياغي سيان في صراعات القوى السلجوقية :

ولا شك في أن هذه الإنجازات التي حققها الفاطميون كشفت لتتش خطورة التهديد الفاطمي لطموحاته في بلاد الشام، لذا نراه يحاول جاهدا كسب ود أخيه السلطان ملكشاه. وقد نجحت مساعيه التي بذلها لتحسين صورته أمامه، فقام ذاك العام أي عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م بزيارة للسلطان في مدينة بغداد وأظهر خضوعه له، وآتت هذه الزيارة ثمارها، حيث نرى السلطان يأمر أتباعه مثل آق سُنقُر الحاجب صاحب حلب ومجاهد الدين بوزان صاحب الرها وياغي سيان صاحب أنطاكية بطاعة تاج الدولة تتش والمسير جميعا بقواتهم لإخضاع حاكم حمص خلف بن ملاعب الذي تمرّد على السلاجقة وأظهر ولاءه للفاطميين مع أنه ليس اسماعيلياً بل اثنا عشرياً، وتمكنت الحملة المشتركة من تحقيق أهدافها وأخضعت حمص للسلاجقة، وأعطي الأمان لخلف بن ملاعب الذي طلب الإذن له للذهاب إلى أسياده الفاطميين. ثم كتب هؤلاء القواد الأربعة المتحالفون - كل على حدة - للسلطان طالبا منحه حمص، فأمر السلطان ملكشاه بمنحها لتتش. إن مشاركة ياغي سيان في هذه الحملة المشتركة تؤكد أن صاحب أنطاكية لن يقف موقف المتفرج أمام التحولات السريعة التي طرأت وستطرأ على بلاد الشام خلال فترة التنافس السلجوقي الفاطمي للسيطرة على بلاد الشام، وهذا ماستؤكده الأحداث القادمة، ويظهر أن مشاركة ياغي سيان وحليفه التقليدي آق سنقر وكذلك بوزان صاحب الرها في هذه الحملة المشتركة ضد حمص أكدت لهم جميعا أن النجاحات التي سيحققها هذا

(٦٠) عز الدين بن شداد : *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، المجلد الأول، تحقيق سامي دهان، ١٩٦٣م، ص١٥٥-١٥٦؛ ابن القلانسي، ص١٢٠.

التحالف ستؤول لصالح تتش وليس لهم، أي إنها ستصب في بوتقة تقوية تتش –خاصة في بلاد الشام– على حساب كياناتهم الصغيرة بالنسبة لدولة تتش الكبيرة التي تسيطر على جنوب بلاد الشام وأجزاء من الجزيرة الفراتية لاسيما في منطقة ديار بكر وآمد وميافارقين وحصن كيفا(٦١).

إننا نستغرب أن نرى حلفاء تتش يتخلون عنه عندما كانوا يشاركون قواته في حصار مدينة طرابلس التي كان يستقل بها آنذاك أميرها جلال الملك بن عمار. والجدير بالذكر أن بني عمار استقلوا عن الدولة الفاطمية منذ عام ٤٥٧هـ/ ١٠٦٦م. ويورد المؤرخون المسلمون – أنه أثناء حصار القوات المتحالفة لطرابلس – قام جلال الملك بن عمار بإطلاع آق سنقر الحاجب على مرسوم من السلطان ملكشاه نفسه يمنحه بمقتضاه حكم طرابلس نيابة عنه، فاقتنع آق سنقر بهذا الزعم، وانسحب بقوات حلب، وعندما حاول تتش ثنيه عن عزمه الانسحاب، وذكره أنه يجب عليه أن يطيع أوامره لكونه – أي تتش – نائباً للسلطان وكون آق سنقر نفسه تحت إمرته، أجابه آق سنقر بأنه ملتزم بأوامر تتش إلا إذا خالف بها أوامر السلطان. ثم انسحب آق سنقر بقواته، فتبعه مجاهد الدين بوزان – صاحب الرها – بقواته كذلك، فاضطر تتش لفك الحصار بعد أن خذله هذان القائدان (٦٢). ولاتذكر المصادرما إذا شارك ياغي سيان في هذه الحملة ضد طرابلس أم لا، ويبدو أنه شارك في الحملة ولكنه لم يخذل تتش كما فعل صاحباه آق سنقر وبوزان.

إن تردي العلاقات بين تتش – صاحب دمشق – وآق سنقر – صاحب حلب – أوقع ياغي سيان في موقف حرج، ويبدو أنه وقف في بداية هذا الصراع – كما حدث في حالة حصار طرابلس – موقفا محايدا. على أية حال إن فشل تتش في الاستيلاء

---

(٦١) ابن القلانسي ص١٢٠؛ *زبدة الحلب* لابن العديم، ص١٠٦؛ *بغية الطلب في تاريخ حلب*، لابن العديم. المجلد السابع، ص٣٣٥٥.

(٦٢) *الكامل* لابن الأثير، المجلد الثامن، ص١٦٠-١٦١.

على طرابلس وكذلك خذلان آق سنقر وبوزان له أضعف موقفه في بلاد الشام، كما أظهرت هذه الحملة مدى شدة التنافس بين تتش وآق سنقر، وسيدفع هذا التنافس ياغي سيان فيما بعد إلى الدخول في صف تتش بدلا من موقفه المحايد السابق الذكر.

تحالف ياغي سيان مع السلطان تتش :

حاول تتش جاهداً أن ينزع فتيل الخلاف بينه وبين السلطان ملكشاه من ناحية وحليفه آق سنقر من ناحية أخرى، فقرر زيارة أخيه السلطان في بغداد لكسب وده، وفي طريقه إلى بغداد ورد إليه خبر وفاة أخيه السلطان في منتصف شوال ٤٨٥هـ عن عمر يناهز ٣٨ سنة، فانتهز تتش هذه الفرصة، ورجع إلى عاصمته دمشق ليعد نفسه لنيل السلطنة السلجوقية التي طالما حلم بها خاصة أنه علم بوقوع خلاف بين أبناء السلطان الراحل. وأخذ تتش يتودد إلى كثير من القواد الذين كانوا سابقا أعداءً له وأتباعا وحلفاء للسلطان الراحل. كآق سنقر الحاجب - صاحب حلب - وبوزان (صاحب الرها) إضافة إلى ياغي سيان صاحب أنطاكية. وانضم هؤلاء جميعاً إلى أحقية تتش في السلطنة، وقد برروا تحالفهم الجديد مع تتش لاختلاف أبناء ملكشاه وعدم اتفاقهم على خلافة أبيهم. فقد أعلن بركيارُوق - أكبر أبناء السلطان الراحل الذي لم يتجاوز سنه ثلاثَ عشرةَ سنة - نفسه سلطاناً للسلاجقة، وكان خاله وصيا عليه واتخذ أصفهان مقرا لحكمه، بينما نصبت تركان خاتون بنت طفغاج خان - التي كانت أثيرة عند السلطان الراحل - نصبت ابنها محموداً - الذي لم يتجاوز سنه أربع سنوات - سلطانا خلفا لوالده، وجعلت نفسها وصية عليه (٦٣)، ولايستبعد وقوف ياغي سيان إلى جانب تتش لأن تتش كان آنذاك هو الأقوى، لذا وجد في دعم تتش فرصة للحصول على مكاسب بضم مناطق جديدة لإمارته أنطاكية.

(٦٣) غريغوريوس الملطي بن العبري : *تاريخ مختصر الدول*، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨، ص١٩٤؛ الكامل لابن الأثير، المجلد الثامن، ص١٦٦-١٦٧؛ القلقشندي :*مآثر الأنافة في معالم الخلافة*. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. الجزء الثاني، ص٣-٤.

بدأ تتش مع حلفائه خطوات عملية للفوز بالسلطنة، فسارت قواتهم جميعا -التي قدرت بعشرة آلاف رجل- للاستيلاء على الموصل، ولاشك في أن السيطرة على الموصل تعني إضعاف موقف بركياروق ومحاولته الاستئثار بالسلطنة، ودعما [illegible] في تفصيلات تلك الصراعات ولكن إعطاء القارئ صورة عن مدى شدة تلك الصراعات وتأثيرها في المنطقة قبل قدوم القوات الصليبية الغازية بحوالي أربع سنوات فقط من تلك الحوادث المؤسفة، وكيف أثرت هذه الصراعات في من سيقوم بمواجهة تلك القوات الغازية ولاسيما ياغي سيان، فسوف نرى كيف سيدفع ياغي سيان الثمن غاليا عندما ستهدد تلك القوات الجرارة الغازية عاصمته أنطاكية، وعموما تمكنت القوات المتحالفة من هزيمة قوات الموصل بقيادة إبراهيم بن قريش بن بدران قرب الموصل والتي كانت تفوقها عدديا بثلاثة أضعاف، وأعدم تتش إبراهيم بن قريش، ونصب أخا إبراهيم المدعو علياً والياً للموصل نيابة عنه. وبعد تمكنه من الموصل أرسل تتش للخليفة العباسي المقتدي بالله (المتوفى في الخامس عشر من المحرم ٤٨٧هـ في بغداد) يدعوه للاعتراف به سلطانا على السلاجقة، وكانت دعوته تلك فيها نوع من عدم اللياقة مع الخلفاء، ولكن الخليفة نفسه لم يكن في وضع قوي حتى يعنف تتش أو يرفض طلبه، وكان رده سياسياً حيث أمره بأن يخضع أولا المنافسين له على السلطنة خاصة بركياروق حتى يخلو الجو له فيعترف به سلطانا للسلاجقة جميعا دون منافس.

وفي تلك الأثناء تمكن تتش من استعادة نفوذه على أهم مدينتين في ديار بكر هما آمد من أبي الحسن بن جهير وميافارقين من ابن مروان اللتان كانتا تابعتين له، ويبدو أنهما استعصتا عليه في تلك الفترة. رأت تركان خاتون - بعد هذه الانتصارات لتتش - أنها غدت في وضع ضعيف لذا رأت أن ترسل له رسالة تعرض عليه الزواج بها، ويبدو أنه اتضح لتركان خاتون أنها ستخسر مطالبتها بسلطنة ابنها محمود

ووصاياتها على هذا السلطان القاصر، لذا رأت أنه من الأفضل أن تتزوج السلطان المتوقع الأقوى وهو تتش وهو في وضع أفضل كثيراً من ابنها محمود الذي تواجه مطالبته بالسلطنة مخاطر جمة خاصة من قبل أخيه الأكبر بركياروق. وعموما قبل تم هذا الزواج السياسي الذي [illegible] يكسب تركان خاتون وقواتها، التي تقدر بعشرة آلاف مقاتل، لتقف إلى جانبه في صراعه ضد منافسه بركياروق وقواته (٦٤).

وسار تتش بقواته المتحالفة معه لإخضاع بركياروق والسيطرة على أملاكه وحاضرته التي يبدو أنها كانت الري، وزحفت القوات المتحالفة نحو خراسان تجاه تبريز قادمة من ديار بكر. وحدث هناك مالم يكن بالحسبان، حيث تخاذل آق سنقر وبوزان عن حليفهما تتش وانفصلا عنه وتحالفا مع منافسه بركياروق الذي اتخذ مركز قيادته قرب مدينة الري. ويرجع ابن العديم هذا التحول من جانب هذين الحليفين إلى عدم رضاهما لتقريب تتش لياغي سيان وتفضيله عليهما، كما أن تتش لم يولهما أي بلد من البلاد التي فتحها. وهنا نوضح أن ياغي سيان وطد علاقته آنذاك مع تتش رغم مايعني هذا من تخليه عن حليفه القوي آق سنقر المنافس الرئيس لتتش في بلاد الشام. إن هذا التحول في تحالف ياغي سيان يؤكد الزعم بأن ياغي سيان لايحالف إلا الطرف القوي وهو مستعد للتخلي عن حليفه الضعيف لجني مكاسب سريعة المنال من الحليف القوي الجديد.

واضطر تتش إلى العودة بقواته ناحية ديار بكر ليعيد تأهيلها من جديد للقضاء على منافسيه لاسيما آق سنقر وبوزان اللّذين خذلاه وتحالفا مع منافسه السلطان بركياروق، وفي طريقه لديار بكر قام تتش بالاستيلاء على سروج القريبة من حران في ديار مضر.

---

(٦٤) ابن القلانسي، ص١٢٧؛ سهيل زكار: *مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية*، دمشق، ١٩٨١، ص١٢٣-١٢٤.

ويبدو أن تتش قام بهذا الإجراء لإضعاف بوزان صاحب الرها وحران لذا نرى آق سنقر وبوزان يطلبان مساندة بركياروق ضد أطماع تتش، بل إنهما خافا أن يرجعا إلى بلادهما دون مصاحبة قوات بركياروق لهما حتى توصلهما لبلادهما سالمين، [illegible] أطماع تتش وأن يقفا حاجزين أمام توسع ممتلكاته. لذا نرى المؤرخ ابن العديم يذكر في شأن آق سنقر وبوزان (وضمنا له «أي بركياروق» أن يكونا بينه وبين تاج الدولة) وبهذا استأنفا تحالفهما السابق مع والد السلطان ملكشاه الذي ولاهما هذه البلاد ليقفا في وجه أطماع أخيه تتش. وسار السلطان بركياروق بعسكره بصحبة قوات قسيم الدولة آق سنقر وبوزان نحو الرحبة، وهناك التقوا علياً بن شرف الدولة مسلماً بن قريش الذي خذل سيده تتش كما فعل صاحباه من قبل قسيم الدولة وبوزان وتحالفا مع السلطان بركياروق. وعقد بركياروق بينهم جميعا حلفا لمواجهة أطماع تتش، ثم صحب علياً بن شرف الدولة بقواته وجزء من قوات بركياروق قوات قسيم الدولة وبوزان، وعادا بقواتهما سالمين لبلادهما في شوال ٤٨٦هـ(٦٥).

وعندما وصلت أخبار تحالف قوات بركياروق وآق سنقر وبوزان وعلي بن شرف الدولة بن قريش - صاحب الموصل - إلى تتش، زحف بقواته من الرحبة وعبر الفرات ناحية أنطاكية، ويبدو أن تتش تخوف من تقدم بركياروق بقواته ناحية الرحبة للقاء قواته، لذا أراد أن يتحصن بأنطاكية خوفا من القوات المتحالفة ضده. ويبدو أن أنطاكية كانت في ذلك الحين أحصن مدينة يملكها تتش بل كانت أحصن من عاصمته دمشق نفسها، وقد أرهق وجود قوات تتش سكان أنطاكية نظراً لاشتداد الغلاء بسبب قلة الأقوات، فطلب ياغي سيان منه العودة إلى دمشق، ويبدو أن ضعف تهديد الحلفاء لقوات تتش أقنعه برأي ياغي سيان، فعاد إلى دمشق أواخر ذي الحجة من ذاك العام.

---

(٦٥) زبدة الحلب لابن العديم، ص١١٠؛ ابن القلانسي، ص١٢٤؛ زكار، ص٢٢٤-٢٢٦.

ويبدو أن ياغي سيان حاول هذه المرة أن لايزج بقوته كلها في صف تتش خوفا من انهزامه أمام بركياروق ثم احتمال أن يخسر ولاية أنطاكية، لذا نراه يتحجج بالغلاء حتى تضطر قوات تتش لمغادرة أنطاكية.

وإكراماً لموقف ياغي سيان وتعزيزاً للتحالف القائم بينه وبين تتش، قام الأخير بتزويج ابنه الملك فخر الملوك رضوان بابنة ياغي سيان المدعوة خاتون «جيجك»، عندما التقوا جميعاً عند حماة في ربيع الأول عام ٤٨٧هـ(٦٦). ثم زحفت قوات تتش وقوات ياغي سيان وتقدر بعشرة آلاف رجل نحو حلب لنهب الأراضي الزراعية الواقعة حولها.

ويبدو أن هذا الفعل سوف يجبر آق سنقر على الخروج من حلب لعقد مصاف، لذا نرى آق سنقر يخرج بقواته وقوات بوزان صاحب الرها وقوات الموصل بقيادة كربوقا وجماعة من بني كلاب وأحداث حلب، وكذلك قوات يوسف بن آبق صاحب الرحبة، وكانت تقدر بعشرين ألف مقاتل. وتم اللقاء في ٨ جمادى الأولى ٤٨٤هـ/ ٣ سبتمبر ١٠٩٥م عند قرية «سبعين» على بعد عدة أميال من تل السلطان، وحققت قوات تتش وياغي سيان نصرا على القوات المنافسة التي يزيد عددها على ضعف قواتها. وقد أسر في المعركة كل من آق سنقر الحاجب وبوزان اللذين أعدمهما تتش وأبقى بقية الأسرى بمن فيهم كربوقا أسيرا عنده، ثم عفا تتش عن يوسف بن آبق. ثم زحف الجيش المنتصر فأخذ حلب سلما، ثم أقطع تتش ياغي سيان معرة النعمان وميناء اللاذقية اللذين استولى عليهما من آق سنقر الحاجب صاحب حلب. ومن دون شك فإن هذه المكافأة لياغي سيان كانت لاستمرار تحالفه مع تتش(٦٧).

---

(٦٦) *زبدة الحلب* لابن العديم، ص١١٠ وكذلك *بغية الطلب في تاريخ حلب*، ص٣٦٦١ المجلد الثامن؛ ابن القلانسي، ص١٢٤؛ زكار؛ ص٢٢٤-٢٢٦.

(٦٧) ابن القلانسي ص١٢٤؛ ابن العديم : *زبدة الحلب* ص١١-١١٣، ص١١٨ وكذلك *بغية الطلب*، المجلد الرابع ص١٩٥٦-١٩٥٧.

وهكذا جنى ياغي سيان مكسباً جديداً لتحالفه مع تتش فتوسعت حدود إمارته بإقطاعه مناطق بعيدة نوعا ما عن عاصمته أنطاكية.

وبهذا النصر الذي حققه تتش خضعت له جميع بلاد الشام عدا الساحل الذي مازال معظمه يتبع للدولة الفاطمية أو إمارات مستقلة كبني عمار في طرابلس، وبني منقذ في شيزر منذ عام [illegible] / [illegible] م ثم بعد أن أخضع تتش أجزاء كبيرة من ديار مضر كالرها وسروج اللتين كانتا تابعتين لبوزان الذي أعدمه تتش، ثم سار لإخضاع ديار بكر، وقد تجنب المرور عبر الموصل حتى لا يشغل نفسه بلقاء قوات بركياروق التي كانت تحاصر آنذاك قوات أخيه محمود - الذي اعترف الخليفة العباسي المقتدي بسلطنته على السلاجقة في ١٥ شوال ٤٨٥هـ/ ١٧ يونيو ١٠٩٣م بعد وفاة السلطان ملكشاه - بالرغم من صغر سنه ووصاية والدته تَركان خاتون عليه، ثم عدل المقتدي عن هذا الاعتراف ببركياروق سلطاناً على السلاجقة في ٢٤ من شوال٤٨٧هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٠٩٤م. وفي هذه المرحلة بدأ تتش المرحلة الأخيرة لأخذ السلطنة بالقوة؛ السلطنة التي رفض منحه إياها الخليفة العباسي المقتدي بالتراضي، حيث تحالف مع تركان خاتون - عن طريق زواجه السياسي بها - بحيث يقومان بقواتهما بإسقاط السلطان بركياروق، وفعلا زحفت تركان خاتون بقواتها التي تقدر بعشرة آلاف في رمضان ٤٨٧هـ/ ١٥ سبتمبر ١٠٩٤م نحو ديار بكر لتنضم إلى قوات تتش، وحدث آنذاك أن توفيت تركان خاتون وتفرق عسكرها هذا بين معسكري بركياروق وعمه تتش المتنافسين على السلطنة. كما توفي بعد شهر محمود بن ملكشاه. وبهذا أصبح هناك اثنان فقط يتنافسان على السلطنة هما تتش وبركياروق.

وفي تلك الأثناء مرض بركياروق وضعف موقفه، فانفصلت أعداد كبيرة من عسكره عنه وانضمت إلى تتش، ودعم هذا الأمر موقف تتش فاعترف الخليفة العباسي المستظهر بالله بتتش سلطاناً على السلاجقة وتخلى عن اعترافه ببركياروق. ثم كتب السلطان تتش لابنه الأكبر فخر الملوك رضوان - نائبه في حلب - يستدعيه

لجمع ما تبقى من قوات بلاد الشام لإخضاع بركياروق، ثم زحف تتش بقواته نحو الري قرب قرية تدعى «داشيلو» على بعد ستة وثلاثين ميلاً من الري، وتحسن موقف بركياروق عندما شفي من مرضه «الجدري» حيث انضمت إليه قوات جديدة وعادت [illegible] المتنافسين في صفر ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م عند داشلو، حيث انتصر عسكر بركياروق على قوات تتش التي تقدر بثلاثين ألف مقاتل، وقد قتل تتش نفسه في المعركة من قبل بعض مماليكه الذين كانوا سابقاً مماليك منافسه قسيم الدولة آق سنقر الحاجب صاحب حلب(٦٨).

موقف ياغي سيان من تنافس رضوان ودقاق :

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام هي أن بركياروق لم يقم بمحاولة الاستيلاء على أملاك تتش بل تركها لأبنائه. ويظهر من سير الأحداث أن ياغي سيان شارك تتش في تلك المعركة ولكنه نجا من الوقوع في الأسر، فبينما كانت قوات الشام بقيادة رضوان تسير لمساعدة والده تتش عند الأنبار وصله خبر هزيمة تتش ومقتله، فعادت قافلة نحو حلب، وتسلم رضوان حلب من وزير أبيه أبي القاسم بن بديع وتولى أتابك رضوان المدعو جناح الدولة حسين تسيير أمر رضوان نظراً لصغر سنه. وعاد ياغي سيان مسرعا إلى حلب مع من نجا من قوات تتش، وحاول جاهدا كغيره من قواد تتش أن ينفرد بالوصاية على رضوان أكبر أبناء تتش، إلا أن الأمور سارت في غير صالحه. وهدف ياغي سيان من الانفراد بالوصاية على رضوان إلى السيطرة على ممتلكات تتش الكبيرة في الشام والجزيرة الفراتية.

ولن أدخل في تفصيلات كثيرة حدثت بعد مقتل تتش، ولكن أوضح هنا أن مقتل تتش فتح مجالا للخلاف بين ولديه الكبيرين رضوان ودقاق(٦٩). فقد تمكن

(٦٨) ابن الأثير : الكامل، ص١٧٥؛ ابن القلانسي ص١٢٩-١٣٠؛ صدر الدين الحسيني : *أخبار الدولة السلجوقية*، تحقيق محمد إقبال، بيروت، ١٩٨٤، ص٧٦؛ ابن العديم ص١١٨-١١٩.

(٦٩) زكار، ص١٣٢.

دقاق من الهروب من حلب - التي اتخذها رضوان عاصمة لمملكته الجديدة - واتجه نحو دمشق بالتعاون مع النائب المستناب على حفظها المدعو ساوتكين الخادم، وأعلن استقلاله عن أخيه رضوان وكان ذلك بداية صراع بين الأخوين سيدخل ياغي سيان [illegible] أن يحرز من هذا الخلاف مكاسب جديدة، كما حدث سابقا عندما تحالف مع تتش ضد منافسيه السابقين آق سنقر الحاجب [illegible] صاحب حلب - والسلطان بركياروق. وبينما كانت تلك الصراعات تستنزف المسلمين خاصة في بلاد الشام كانت أوروبا الغربية الكاثوليكية تتهيأ للزحف على العالم الإسلامي وخاصة بلاد الشام وانتزاعها من المسلمين المتخاصمين، حيث دعا البابا أربان الثاني في عام ١٠٩٥م في كليرمون إلى حملة صليبية ضد العالم الإسلامي(٧٠).

وحري بنا أن نعطي القارئ هنا فكرة عن الحدود الجغرافية لمملكتي دمشق وحلب وعلاقة ياغي سيان بهذا الأمر، فقد استقل الملك دقاق في حكم مملكة دمشق التي ضمت دمشق وماجاورها من مناطق تمثل جنوب بلاد الشام كحوران وسهل البقاع والشراة ومدن عديدة كبعلبك وحماة وبصرى وصرخد والبلقاء وعمان والصلت وغيرها، بل دخل ضمن ممتلكاتها بعض ماكان يملكه تتش في الجزيرة الفراتية كالرحبة وميافارقين. بينما ضمت مملكة حلب مدينة حلب وأجزاء كبيرة من شمال بلاد الشام بما فيها القلاع والحصون والمدن القريبة من حلب كالأثارب وحمص وتل السلطان وكفر طاب ...الخ.

وكان منطقيا أن يتبع ياغي سيان ملك حلب لكون ممتلكاته كأنطاكية ومعرة النعمان واللاذقية وتل باشر وأرتاح وشيخ الدير والسويدية تقع شمال بلاد الشام مجاورة لممتلكات حلب. ولكن الذي حدث غير ذلك، فيبدو أن ياغي سيان وجد أنه بتبعيته لرضوان سيفقد كثيراً من استقلاله خاصة أن رضوان كان في وضع أفضل من دقاق، كما أن رضوان شخصية تحب فرض الحكم المركزي على إقطاعاتها بما فيها

(٧٠) ابن العديم : *زبدة الحلب* ص١١٩-١٢٠؛ ابن القلانسي ص١٣٠؛ الكامل لابن الأثير ص١٧٦.

أنطاكية، لذا نرى ياغي سيان يفضل التحالف هذه المرة مع حليف أضعف بعيد وهو دقاق مقابل رضوان الحازم القريب، كما أن ياغي سيان قد ضيّع فرصة الانفراد بالوصاية على رضوان كما سبق ذكره، لذا نراه يبعد عن رضوان ويتقرب إلى دقاق. [illegible] أرتق صاحب القدس – معرة النعمان التي كانت اقطاعا سابقا لياغي سيان منذ أيام أبيه تتش (٧١). كما يذكر المؤرخ الحلبي ابن العديم في كتابه «بغية الطلب في تاريخ حلب»، أن رضوان وأتابكه جناح الدولة حسين قاما بقواتهما بمحاصرة تل باشر وشيخ الدير التابعتين لياغي سيان، فاستسلمتا لهما، وبهذا تبقى لياغي سيان آنذاك أي تحت سيطرته مدينة أنطاكية واللاذقية وأرتاح والسويدية (٧٢).

وأراد ياغي سيان من التحالف مع ملك دمشق دقاق الحصول على الوصاية أو «الأتابكية» على الملك دقاق في بداية فترة التنافس بين الأخوين رضوان ودقاق، إلا أن إطلاق سراح ظهير الدين طغتكين من الأسر من قبل السلطان بركياروق، ثم عودته إلى دمشق، ثم تمكنه من التخلص من ساوتكين الخادم الذي ربما كان يتطلع لمنصب الأتابكية على الملك دقاق، ثم استحواذ طغتكين على أتابكية دمشق بزواجه من صفوة الملك والدة دقاق في السنة نفسها أي عام ٤٨٨هـ، كل هذه الأمور أفقدت ياغي سيان فرصة الوصاية على دقاق كما أفقدته الوصاية من قبل على أخيه الأكبر رضوان(٧٣). وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أهمية هذا النوع من الزواج السياسي لاكتساب منصب الأتابكية وهو عبارة عن منصب استحدثه السلاجقة وينتج عندما يُطلّق السلطان إحدى زوجاته، ثم يُزوجها بأحد كبار قادته ليقوم برعاية

(٧١) ابن القلانسي ص١١٢، ١٢٩، ١٢٩-١٣٠؛ ابن شداد : *الأعلاق الخطيرة* ص١٦٦، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٤٣، ٢٥٠-٢٥٦؛ سهيل زكار ص٢٣٤؛ ابن العديم : *زبدة الحلب* ص١١٩-١٢١ وكذلك *بغية الطلب في تاريخ حلب*، المجلد الثامن، ص٣٦٦٠.

(٧٢) *بغية الطلب في تاريخ حلب*، لابن العديم، المجلد الثامن، ص٣٦٦٠.

(٧٣) ابن القلانسي ص١٣٠.

ابنه من هذه المراة المطلقة، ثم يقوم هذا الآتابك (المربي) بتربية هذا الابن وإعداده لتولي الحكم من بعد وفاة والده وربما لتولي إمارة إحدى الولايات إذا لم يحز السلطنة السلجوقية.

وبالرغم من أن هذا الوضع الذي كان في غير صالح ياغي سيان - خاصة بعد تولي طغتكين أتابكية الملك دقاق - فإنه فضل أن ينضم إلى تحالف دقاق وأتابكه طغتكين ضد رضوان وأتابكه جناح الدولة. لذا نراه يشارك دقاق في أعماله العسكرية عندما زحف رضوان ومعه أتابكه جناح الدولة حسين - صاحب حمص - بقواتهما لمباغتة مدينة دمشق عام ٤٨٨ هـ، إلا أن ياغي سيان أسرع بقواته لنجدة حليفه دقاق. لذا عادت تلك القوات خائبة، وفي أثناء انسحاب هذه القوات، طاردتها قوات دمشق مع قوات ياغي سيان - صاحب أنطاكية - فأسرعت هاربة لبلادها في حلب وحمص (٧٤).

وقامت قوات رضوان وأتابكه في العام نفسه بمحاولة هجوم مباغت على أنطاكية انتقاما من مساعدة ياغي سيان للملك دقاق، إلا أن قواتهما عادت خائبة نظراً لسرعة دقاق وأتابكه طغتكين في نجدة حليفهما ياغي سيان. واستعان رضوان هذه المرة بحليف جديد هو سليمان بن آيل غازي بن أرتق - صاحب ساموساته - إضافة إلى حليفه المعتاد سقمان بن أرتق صاحب بيت المقدس، وزحفوا جميعا نحو قوات دمشق وأنطاكية المتجهة نحو حلب للهجوم عليها، وتوقفت القوات المتنافسة عند نهر القويق بالقرب من حلب للتفاوض لحسم هذا الصراع بين الأخوين رضوان ودقاق سلميا، وفشلت تلك المفاوضات، والتقى الفريقان في ذي الحجة ٤٨٨هـ/ ٣ ديسمبر ١٠٩٥م، ومنيت قوات دمشق وأنطاكية بهزيمة وعادت مسرعة لبلادها (٧٥).

---

(٧٤) ابن العديم ص١٢٥.

(٧٥) ابن العديم، *زبدة الحلب*، ص١٢٥-١٢٦، وكذلك *بغية الطلب في تاريخ حلب*، المجلد الثامن. ص٣٦٦.

ياغي سيان يصبح أتابكا لرضوان :

وحدث في شعبان ٤٩٠هـ أن ساءت العلاقة بين رضوان وأتابكه جناح الدولة حسين صاحب حمص، ففر جناح الدولة لاقطاعه في حمص، متحصنا بها خوفا من بطش الملك رضوان، فاغتنم ياغي سيان هذه الفرصة فاسرع لمساعدة رضوان ضد أتابكه جناح الدولة حسين، فأوكل إليه رضوان تسيير أمور مملكته بدلا من أتابكه بالرغم من أن جناح الدولة مازال يحتفظ بمنصب الأتابكية لكونه زوجا لوالدة رضوان (٧٦). وزوج ياغي سيان آنذاك ابنته المدعوة حيجك لرضوان، ويبدو أنه فعل ذلك ليوطد علاقته به (٧٧).

موقف ياغي سيان من الاعتراف بالسلطة الفاطمية :

وبينما كان رضوان منشغلاً في إخضاع أخيه دقاق - صاحب دمشق - وأتابكه جناح الدولة، جاءه رسول من الخليفة الفاطمي المستعلي أبي القاسم بن المستنصر أبي تميم يعرض عليه تحالفا يخطب بموجبه رضوان للفاطميين «الاسماعيلية» اعترافا بسيادتهم على مملكته، ويحصل مقابل ذلك على مساعدة لإخضاع منافسيه. فقبل رضوان هذا العرض، فأمر بالخطبة للخليفة الفاطمي ولوزيره الأفضل بن بدر الجمالي. ويبدو أن ياغي سيان وسقمان بن أرتق لم يحاطا علما بأمر الدعوة للفاطميين تلك، فأسرعا للقاء رضوان وأوضحا له خطورة التبعية لدولة إسماعيلية تنافس الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية السنية، وربما أوضحا له أن معظم أهل

---

(٧٦) ابن القلانسي ص١٣١-١٣٣.

(٧٧) *بغية الطلب في تاريخ حلب*، لابن العديم، المجلد الثامن، ص٣٦٦١. سبق أن ذكرت أنه في ربيع أول عام ٤٨٧هـ تزوج رضوان ابنة ياغي سيان - خلال حياة والده تتش. وقد أعدت الحديث عن موضوع الزواج لعدم تمكني من ترجيح أي من كلتا الروايتين.

حلب - بالرغم من كونهم شيعة إمامية - فإنهم لن يقبلوا بالتبعية للإسماعيلية. وعموما اقتنع رضوان برأي حليفيه فألغى الخطبة للفاطميين وأعاد الخطبة للعباسيين والسلاجقة. وهذه الإشارة توضح مدى نفوذ ياغي سيان وتأثيره في سيده رضوان(٧٨).

انشغال ياغي سيان عن تهديد الصليبيين :

وبينما كانت جحافل قوى الحملة الصليبية الأولى تزحف بأعداد كبيرة قدرها وليم الصوري بأكثر من ثلاثمائة ألف مقاتل للاستيلاء على بلاد الشام، كانت القوى الإسلامية في بلاد الشام، بمن فيهم ياغي سيان - صاحب أنطاكية - تتصارع بعنف لم يسبق له مثيل. فقد حقق الصليبيون في تلك الأثناء نصراً كبيراً على المسلمين (سلاجقة الروم) واستولوا في عام ١٠٩٧ على نيقية أهم المدن السلجوقية في آسيا الصغرى.

وتتابعت أخبار انتصارات الصليبيين على سلاجقة الروم وقائدهم قلج أرسلان في ضوريليوم وقونية عام ١٠٩٧م ومع هذا كله كانت القوى المتنافسة في بلاد الشام تأبى إلا الاستمرار في صراعها وكأنها لاتسمع ولاترى وكأن تهديد الصليبيين بعيد عنهم وكأن إعلان مؤتمر كليرمون سنة ١٠٩٥ - أي قبل زحفهم نحوهم بحوالي سنتين والدعوة للحملة الصليبية - كان سراً لايعلمه أحد في العالم بأسره. وبالرغم من خطورة الحملة الصليبية تلك على أنطاكية وزحفها نحوها لمحاصرتها، فإن ياغي سيان لم ييأس من الدفاع عن أنطاكية، وسيتخذ من الاستعدادات والإجراءات مافوق بها على كثير من قادة المسلمين الذين واجهوا الحملة الصليبية الأولى، وسوف نفصل في هذا الأمر.

---

(٧٨) ابن العديم، ص١٢٧-١٢٩؛ الكامل لابن الأثير، ص١٨٤؛ ابن القلانسي ص١٣٣.

رابعاً : الدعوة للحرب الصليبية والزحف على بلاد الشام

أحوال النصارى في فلسطين ولاسيما بيت المقدس :

يذكر وليم الصوري - في وصف فيه كثير من المبالغة - أن جماعة من الحجاج النصارى وصلوا بيت المقدس، وذلك أثناء حكم السلاجقة لها بعد معاناة كبيرة، فلم يسمح لهم بدخول المدينة حتى يدفعوا قطعة نقود ذهبية كضريبة لكل حاج نصراني يزور الأماكن المقدسة تلك، ولم يكن عند الحجاج تلك الأموال الكافية لدفعها للسلاجقة، فمات ألف حاج منهم عندما كانوا ينتظرون خارج أسوار المدينة المقدسة نتيجة الجوع وشدة البرد، وتمكن الآخرون من دخول المدينة بعد دفعهم تلك الإتاوة، وكان دخولهم عبئاً على إخوانهم النصارى الأصليين المقيمين في تلك المدينة المقدسة، فلم يتبق لأكثر هؤلاء الحجاج نتيجة لعظم تكلفة سفر حجهم أية أموال. والجدير بالذكر أن هذه الضريبة لم تكن كبيرة كما يذكر وليم الصوري، وعموماً كان النصارى يدفعون ضريبة لنصارى القسطنطينية (الأرثوذكس) مقابل زيارتهم للأماكن المقدسة هناك.

ويصف وليم الصوري ماكان يعانيه الحجاج النصارى تحت حكم المسلمين السلاجقة من شدة وبطش، فيزعم أن السلاجقة اعتادوا على إهانة النصارى بالبصق عليهم ولكمهم على آذانهم، بل أشد من ذلك خنقهم سرا، ثم يصف وليم الصوري ماكان يعانيه النصارى أهالي تلك المدينة المقدسة الذين كانوا تحت حكم السلاجقة من شدة وعناء كبيرين، فقد دنست كنائسهم من قبل السلاجقة، بل إن السلاجقة اعتادوا على إهانة بطريرك النصارى المعروف بسمعان Symeon، فيذكر أن البطريرك نفسه تعرض للإهانة بجذبه من شعره ولحيته وطرحه أرضاً كأنه مجرم حقير،

وتعرض للاعتقال أكثر من مرة دون أن يقترف جريمة سوى خدمته للكنيسة وأبنائها. ويضيف وليم الصوري أنه على الرغم من هذه المعاناة الطويلة التي عاناها النصارى في المدينة المقدسة فإنهم تمسكوا بدينهم حتى أتى الصليبيون فيما بعد سنة ٤٩٢هـ وأخذوا تلك المدينة المقدسة من المسلمين. وهنا تجدر الإشارة إلى أن وليم يصرح بأن هدفه من كتابه المعروف بـ«الأعمال المنجزة فيما وراء البحار» هو بيان الوسيلة التي خطط لها الصليبيون بمعاونة ربهم لإنقاذ إخوانهم نصارى بيت المقدس (٧٩)، وهذا يعني أن الهدف الرئيسي للحملة الصليبية الأولى - عند وليم الصوري - هو تخليص النصارى المقيمين تحت الحكم السلجوقي المسلم من هذا الظلم المزعوم.

بطرس الناسك ولقاؤه بطريك بيت المقدس وفكرة الحملة الصليبية :

وقدم مع جموع هؤلاء الحجاج قسيس أسقفية «أميين» في مملكة انفرنجة ويدعى بطرس الناسك من بيكاردي Picardy. وقد كان لهذا القسيس - على الرغم من نحافته وصغر جسمه - شخصية مميزة مؤثرة في الناس، وقد التقى بطرس بطريك بيت المقدس المعروف سمعان واطلع منه عما يعانيه إخوانهم نصارى بيت المقدس من المهانة والذل على يد الأتراك السلاجقة. وهنا يؤكد وليم الصوري أن البطريرك طلب من بطرس إبلاغ إخوانهم في أوروبا اللاتينية طلب نجدتهم لتخليصهم من السلاجقة. والجدير بالذكر أن نصارى آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين على مذاهب تخالف الصليبيين الكاثوليك فمنهم أرثوذكس مونوفستيين (القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة)، ومنهم على المذهب النسطوري وغيره. ويؤكد المؤرخ الروسي المحدث ميخائيل زابوروف أنهم لقوا كل أنواع التسامح من المسلمين حتى المسلمين السلاجقة، حتى إن المؤرخ الأرمني متى الرهوي (توفي سنة ١١٤٤م) وكذلك صاحب «كتاب الحوليات ميخائيل السرياني» (١١١٦ - ١١٩٦م) وغيرهما من

(٧٩) وليم الصوري، ص٨٧-٩٠؛ ميخائيل زابوروف، ص٣٥.

المؤرخين النصارى الشرقيين يؤيدون وجهة النظر هذه. وعموما أوضح سمعان في هذا اللقاء أن الامبراطورية البيزنطية لم تصبح الآن في وضع يسمح لها بنصرتهم بل وحتى الدفاع عن ممتلكاتها.

والجدير بالذكر ان سلاجقة الروم وجماعات اخرى من الاتراك تمكنوا من السيطرة على اسيا الصغرى عدا بعض الموانئ على بحر مرمرة، بل أصبح خطر السلاجقة يهدد عاصمة الامبراطورية «القسطنطينية». وهذه إشارة توضح أن بطرس أراد من لقائه بطريك بيت المقدس أن يكون له دور بارز في الدعوة للحملات الصليبية المرتقبة لأخذ الأراضي المقدسة عند النصارى من المسلمين السلاجقة. فقد ذكر وليم الصوري أن بطرس قال للبطريرك سمعان ﴿ **اعلم أيها الأب المبارك أنه إذا توفر لكنيسة روما وأمراء الغرب مُبلِّغ ألمعي ثقة يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها، فلاشك أنهم سوف يبادرون إلى بذل الجهد لتقديم العلاج بأسرع مايمكنهم قولاً وعملاً لتخليصكم من هذه المشاق، وعليك أن تثابر في الكتابة إلى قداسة البابا وإلى الكنيسة في روما، وأن تؤكد الخطاب بخاتم سيادتكم، وأما أنا فلن أتراجع من جهتي عن حمل هذه الرسالة رجاء خلاص روحي، كما أنني مستعد - مهتدياً بالله - لزيارة الجميع والتوسل إليهم، وسأكون الشاهد عندهم على معاناة إخوانهم تحت حكم المسلمين التي تجاوزت كل حد، وأدعو الجميع أفرادا وجماعات ألا يتوانوا في إسعافكم بما فيه خلاصكم** ﴾ (٨٠)، وهكذا أعطى بطرس لنفسه دوراً بارزاً كأهم داعية للحملة الصليبية تلك. وهناك أمر يحتاج إلى شيء من التقصي وهو هل طلب الامبراطور البيزنطي فعلاً من البابا أربان إرسال حملات عسكرية إلى المشرق للاستيلاء على الأراضي المقدسة عند النصارى ولتسليم آسيا الصغرى للدولة البيزنطية بعد انتزاعها من القوى التركية التي استولت عليها قبل بدء الدعوة للحملة الصليبية؟

---

(٨٠) وليم الصوري، ص٩٠-٩٢؛ ميخائيل زابوروف: *الصليبيون في الشرق*. ص٣٤-٣٥.

الصراع على البابوية بين جريجوري السابع وجيبيرت رئيس أساقفة رافنا : RAVENNA

وقع صراع كبير بين هنري الرابع الامبراطور الجرماني وبين البابا جريجوري السابع Gregory VII سلف البابا الفرنسي أربان الثاني. وكان الصراع حول «الخاتم وعباءة الأساقفة الراحلين» فقد رأى البابا جريجوري - وفقاً لرواية وليم الصوري - أن تدخل الامبراطور بأمور الكنيسة **«يخالف كل نواميس العدل لما فيه هدر لحقوق الكنيسة ووطئها بالأقدام»** ولم تفلح محاولات البابا في منع الامبراطور من التدخل في أمور الكنيسة، فاضطر البابا إلى إصدار قرار الحرمان في حق الامبراطور. فغضب الامبراطور أشد الغضب ونصب رئيس أساقفة رافنا «جيبيرت» Guibert مكان البابا جريجوري. وأوجد هذا الصراع على منصب البابوية هوة كبيرة في العالم الأوروبي الكاثوليكي، ويبدو أنها المرة الأولى التي يظهر فيها شخصان كلٌ منهما يزعم أنه البابا الشرعي والآخر مغتصب للبابوية، وقد استعان جريجوري بحماية روبرت جويسكار Robert Guiscard دوق أبوليا Apulia زعيم النورمان في إيطاليا، بينما استعان جيبيرت بالامبراطور هنري الرابع نفسه.

والجدير بالذكر أن البابا جريجوري السابع هذا كان من أول من دعا لحرب مقدسة تعلنها الكنيسة ضد المسلمين خاصة، فقد أعلن قبل صراعه مع الامبراطور الجرماني هنري الرابع - في رسالة أرسلها لهذا الامبراطور - عن استعداده لقيادة جيش قوامه خمسون ألف مقاتل لإنقاذ البيزنطيين من المسلمين السلاجقة ولتخليص مايسمى بالضريح المقدس، وتؤرخ هذه الرسالة بالسابع من ديسمبر عام ١٠٧٤م، إلا أن تفجر الخلاف بينهما أعاق هذا المشروع المبكر والذي سيمهد الطريق نحو فكرة الحرب الصليبية.

أربان يصبح بابا وبداية فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين :

وبعد أن تُوفي جيبيرت في سالرنو Salerno، خلفه في كرسي البابوية البابا فكتور الثالث، [illegible] ولم يمكث في هذا المنصب [illegible] شهور، فخلفه البابا أربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) الذي استمر فى عداوته للامبراطور الجرمانى. ورغم ماكان يعانيه البابا أربان من مضايقات ومعاناة، فقد قام باستقبال القديس بطرس الناسك بحفاوة ووعده بالمساعدة لانتزاع بيت المقدس من المسلمين السلاجقة. ولا يستبعد أن تكون دعوة البابوية بزعامة البابا أربان الثاني للحملة الصليبية تلك بمثابة سحب البساط من تحت أقدام الامبراطور الجرماني هنري الرابع حتى يكسب البابا دعم النبلاء والأمراء في أوروبا الغربية لمشروعه البابوي هذا الذي صبغ بالصبغة الدينية منذ بدايته.

وقد شجع ذلك بطرس وزاد في حماسته للدعوة لحملة صليبية لهذا الهدف، فلم يترك بلداً في جميع أرجاء إيطاليا وجبال الألب إلا ودعا فيه النصارى للانضمام إلى تلك الحملة لتخليص إخوانهم نصارى بيت المقدس من بطش السلاجقة المزعوم، ولم يكتف بدعوة عامة الناس بل تعداه للأمراء والنبلاء. وقد لاقى تجاوباً من الكثير ولاسيما أنه كان يمثل البابا نفسه في هذه المهمة (٨١).

دعوة الحرب الصليبية عند بطرس الناسك والبابا أربان :

عانت الكنيسة كثيراً بسبب الانقسام الذي وقع فيها عندما تولى كرسي البابوية اثنان في وقت واحد، وعقد البابا أربان سنة ١٠٩٥م مجمعاً كنسياً في بياكنزا Pia-cenza بإيطاليا لوقف الغلو والفوضى التي عانتها الديانة النصرانية. وقد اتضح

(٨١) وليم الصوري : ص٩٥-٩٧؛ فولشر الشارتري، ص٩٦-٩٩؛ قاسم عبده قاسم : *الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية*. دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م. الطبعة الثانية،١٩٨٨م، ذات السلاسل - الكويت ، ص٢٦ -٢٧.

لأربان مدى استخفاف الناس بتعاليم الدين النصراني وتردي الإيمان واستخفاف الناس به.

وكان هذا المجمع فرصة للدعوة لمجمع كنسي سيعقد في كليرمونت Clermont إحدى مدن «اوفيرن» Auvergne في جنوب فرنسا لطرح هذه المشكلات الخطيرة التي تواجه النصارى وطرق الخروج بحلول لها. وعقد المؤتمر في كليرمونت وحضره أمراء تلك الولايات كما حضره حوالي ثلاثمائة من الأساقفة وأربعمائة من رؤساء الأديرة، وهنا وقف البابا أربان وألقى خطاباً طويلاً ومؤثراً استعرض فيه حالة التردي التي تعانيها النصرانية آنذاك، وكثيراً مااستشهد في خطبته تلك بآيات من الإنجيل تتحدث عن أهمية بيت المقدس «أورشليم» وأوضح كذلك كيف سقطت هذه المدينة المقدسة -عند النصارى- بأيدي المسلمين الذين يسميهم البابا أربان (بالشرّيرين أو الخوارج أو الكفرة)، وبرر ذلك بابتعاد النصارى عن تعاليم الكتاب المقدس، فأحل الله غضبه عليهم بأن انتزع المسلمون الأماكن المقدسة عند النصارى. وأخذ البابا يوضح -بكثير من المبالغة- مدى معاناة النصارى في ظل الحكم الإسلامي حتى وصل الأمر إلى سجنهم وقتلهم وانتهاك حرماتهم وحرمة الأماكن المقدسة، ثم أخذ بأسلوب بليغ مؤثر يحثهم على نصرة إخوانهم في الدين في الأراضي المقدسة وتخليصهم من هذه الشدة، كما حثهم على تحرير قبر يزعمون أنه للمسيح عليه السلام. وأخذ يستحثهم على توجيه سيوفهم نحو هؤلاء الأعداء «الكفرة الخوارج» بدلا من أن تشحذ لقتل بعضهم بعضا، وهذه إشارة إلى هدف البابوية إشغال نصارى أوروبا الغربية في حرب مع أعدائهم ووقف الحروب الدائمة فيما بينهم، كما هددهم البابا من خطورة تنامي قوة المسلمين التي تهدد كيانهم، وهذه إشارة إلى ضعف الدولة البيزنطية آنذاك التي كانت حامية للنصرانية منذ بداية الإسلام حتى معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م (٨٢).

---

(٨٢) وليم الصوري، ص٩٨-١٠٤؛ فولشر الشارتري ص٩٢-٩٣؛ ميخائيل زابوروف: *الصليبيون في الشرق*، ص٤٣-٤٤.

وهنا أخذ البابا يورد لهم شهادات الشهود عن مدى خطورة وضع إخوانهم في بيت المقدس وخص بطرس بهذه الشهادات. وهذه إشارة من أربان توضح لهم أن بطرس لايقوم بالدعوة للحملة الصليبية دون أخذ موافقته. ووعدهم البابا بمنح الغفران لكل من يشارك في هذه الحملة المقدسة خدمة لكنيستهم ودينهم، كما وعدهم البابا بجزاء دنيوي عاجل وهو الأرض المقدسة التي يصفها بأنها يسيل فيها العسل واللبن أنهاراً، كما وعد كل من يشارك فيها ببسط حماية الكنيسة له ومعاقبة كل من يتعرض لماله أو شرفه، كما هدد كل من يتعرض لأموال أو شرف المشاركين في هذه الحملة «بالحرمان» وهو أخطر سلاح كانت تمتلكه الكنيسة آنذاك.

وهكذا انفض مجمع كليرمون، وأخذ الناس سواء الفرسان النبلاء أو الفلاحون البسطاء وحتى الأقنان يستعدون للخروج لقتال المسلمين، كما أمرهم البابا بوقف الحروب فيما بينهم وهو ماعرف «بسلام الرب»، وحثهم على أن يعينوا كل شخص ينوي الخروج لهذه الحملة وأن تذلل كل الصعاب أمامه. وكان لبلاغة بطرس الناسك وفصاحته تأثير كبير في سامعيه الذين تقبلوا دعوته للحرب الصليبية بحماسة كبيرة. ولم يكن هذا التأثير مقتصراً على من استمع إليه في البلاد التي جابها طولاً وعرضاً بل تعدى تأثيره لمن لم يسمع خطبه ودعوته تلك. ولبى الأساقفة الدعوة، فقاموا بالتنقل ودعوة أتباعهم للانضمام إلى هذه الحرب التي سموها «بالحج»، وانضم كثير من الرهبان إلى هذه الحملة فهجروا صوامعهم التي اعتادوا الإقامة والتنسك بها واستبدلوا حياة الزهد والتسامح بحياة القتال والمشاركة في الحياة العامة.

وكان ممن شارك في مؤتمر كليرمون أسقف «بوي» LePuy المدعو أديمار Adé-mar ، وسيختار هذا الأسقف نائباً عن البابا في هذه الحملة. واستجاب كثير من الأمراء والزعماء الغربيين لهذه الدعوة خاصة من حرم منهم من الإقطاع في أوروبا اللاتينية (الغربية)، ودفعت هذه الاستجابة كثيراً من عامة الناس إلى الانضمام إلى

جيوش الأمراء الإقطاعيين والاعتراف بسيادتهم (٨٣). ويمكن القول إن استجابة عامة الناس كانت أسرع من الأمراء الإقطاعيين وسيتضح ذلك عندما نرى أن أول قوات زحفت لتحقيق المشروع البابوي الصليبي كانت من عامة الناس وخرجت بأعداد [illegible] وإن بدا لكثير من المؤرخين المعاصرين أن دعوة البابا ركزت على الأمراء الإقطاعيين دون عامة الناس (٨٤). ويرى بعض المؤرخين المحدثين ان الدعوة للحرب الصليبية كان وراءها بواعث عديدة تمكنت البابوية أن توفق مابين بواعث الفرسان الإقطاعيين من جهة والبواعث الدينية من جهة أخرى، لذا حققت هذه الدعوة كسباً كبيراً لقبول أكثر الناس في أوروبا الغربية لهذا التوفيق «التسوية» الذي نجحت به البابوية (٨٥).

وكان أكثر الأمراء ترحيباً للمشاركة في الحملة الصليبية أمراء فرنسا نظراً لأن البابا نفسه فرنسي كما أن القديس بطرس فرنسي الأصل، ومن هؤلاء ريمون الرابع Raymond (كونت تولوز) وهيو الصغير Hugh (كونت فرماندو Vermandois -شقيق ملك فرنسا فيليب الأول) وستيفن كونت بلو Blois ، وروبرت كونت فلاندرز Flanders (وإن كان تابعاً في الوقت نفسه للامبراطور الجرماني هنري الرابع)(٨٦).

زحف جيوش الحملة الصليبية الأولى :

زحفت جيوش صليبية عديدة دون قيادة موحدة نحو المشرق الإسلامي بهدف الاستيلاء على الأراضي المقدسة في فلسطين. وعرفت بعض هذه الجيوش بحملات

(٨٣) وليم الصوري، ص١٠٥-١٠٨؛ فولشر الشارتري ص٩٢-٩٤؛ ميخائيل زابوروف،ص٥٤.

(٨٤) John France, P2.

(٨٥) John France, P7.

(٨٦) وليم الصوري ص١٠٩-١١٠، John France, PP, 83,166,

العامة نظراً لأن غالب جنودها من غير الفرسان الإقطاعيين، وعرفت الحملة الرئيسة بحملة الفرسان النظامية. ومن ضمن أمراء الحملة النظامية كلٌّ من :

١) هيو الصغير (كونت فرماندو) شقيق فيليب الأول ملك الفرنجة «فرنسا حالياً»، والجدير بالذكر أن الملك فيليب صدر في حقه قرار الحرمان من البابا بسبب زواجه من برترادا Bertrada صاحبة مانتفورت Montfort ، وقد وجد فيليب من الدعوة للحملة الصليبية فرصة للتخلص من قرار الحرمان بموافقته على اشتراك أخيه الأصغر هيو الصغير صاحب فرماندو في الحملة الصليبية.

٢) روبرت كونت فلاندرز.

٣) روبرت كونت نورمندي بن وليم الأول ملك الانجليز، وقاد جيشا يمثل أهم الجيوش الصليبية وأفراده من شمال فرنسا.

٤) ستيفن كونت شارتر وبلوا.

٥) أديمار أسقف بوي «نائباً عن البابا»، وقد رافق قوات ريمون كونت تولوز.

٦) وليم أسقف أورنج Orange .

٧) ريمون الرابع كونت تولوز وسنت جيل St.Gilles ، واصطحب قوات من جنوب فرنسا خاصة من بروفانس وبرجنديا وجاسكونيا Gascony وأوفرن.

٨) لورد جودفروي الرابع دوق اللورين الأدنى وأخواه اللوردان بلدوين - (كونت بولون Boulogne) واستاس Eustace وقريبهم بلدوين - (كونت بورج Bourcq) - وهيو - (كونت سنت بول) - وجراي - (كونت جارنييه) -وريناد Reginald -(كونت تول Toul) - وكثيرغيرهم من الأمراء والكونتات (٨٧).

٩) بوهيموند بن روبرت جويسكارد كونت تارنتو، وقاد قوات من جنوب إيطاليا وأهمها قوات أخيه رينولف وابن عمه ريتشارد البرسباتي بن روبرت جويسكارد.

---

(٨٧) وليم الصوري، ص١٠٩-١١٠؛فولشر الشارتري، ص٩٩-١٠١؛ John France, P 82.

مسير الجيوش الصليبية :

حشد بطرس الناسك أعداداً كبيرة قدرت بعشرين ألف صليبي من شمال مملكة فرنسا والامبراطورية الجرمانية، وكان بطرس من أوائل من ساهم في نشر الحملة الصليبية الأولى، وعرفت الحملة التي قادها بحملة العامة نظرا لأن أغلبها ليسوا من الفرسان والأمراء الإقطاعيين، وإنما من الفلاحين والرقيق، بينما خرجت جيوش نظامية يقودها أمراء إقطاعيون كبوهيموند أمير تارنتو بن روبرت جويسكارد دوق أبوليا وكذلك ابن أخته تانكريد اللذين حشدا قواتهما وزحفا عبر جبال الألب، وزحفت الجيوش الأخرى في أوقات مختلفة، ولكنهم حددوا موعداً واحداً لاحتشاد جيوشهم عند مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وهو الخامس عشر من شهر أغسطس عام ١٠٩٦م، والجدير بالذكر أن البابا أربان هو الذي حدد هذا الموعد والمكان، ورتبوا ذلك ترتيباً دقيقاً، وقرروا أن لاتسير الجيوش مجتمعة بل كل جيش يزحف منفرداً عن غيره حتى يتمكن الجميع من توفير المؤونة لجيوشهم العظيمة العدد التي يقدر كل واحد منها بعدة ألوف، وهذه الإشارة تؤكد ضخامة الجيوش الصليبية تلك .

وعلى الرغم من اتفاقهم السابق الذكر، فإنهم لم يتمكنوا من الاجتماع والاحتشاد في الزمان والمكان المحددين، فسوف يسير الدوق جودفروي بقواته عن طريق المجر، وسيزحف ريموند كونت «تولوز» وأديمار أسقف «بوي» Puy بقواتهما عبر طريق «دلماشيا» أما القادة الآخرون فسوف يسلكون طريق «أبوليا» حتى يصلوا جميعا إلى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية (٨٨).

---

(٨٨) وليم الصوري، ص١١٠-١١١؛ المؤرخ المجهول صاحب «الجستا» :

Gesta Franco um, The Deeds of the Franks, ed and Eng, Trans. by. Hill, London,1945. ترجمه للعربية د. حسن حبشي ص١٨-١٩؛ John France, P 88 .

حملة وولتر المفلس Walter sans Avoir :

يذكر وليم الصوري أن وولتر المفلس كان أول من سارع برحلته للأراضي المقدسة منذ شهر مارس سنة ١٠٩٦م، وقد ضمت حملته تلك طائفة كبيرة من المشاة وعدداً قليلاً من الفرسان. ولم يعطنا هذا المؤرخ تقديراً لعدد هذه الحملة، وقد عبر هذا الجيش مملكة «التيوتون» (الامبراطورية الرومانية المقدسة)، ونهب اليهود في إقليم الراين وشمال فرنسا، ثم دخل مملكة «المجر» التي تكثر بها المستنقعات والأنهار – مما يصعب الأمر على من يعبرها – فيضطر إلى المرور عبر ممرات محددة شديدة الضيق، وعندما علم كولمان الأول Coloman 1 – ملك المجر (١٠٩٥ – ١١١٤م) بوصول قوات «وولتر المفلس» – رحب بهم، وقدم لهم كل مايحتاجون إليه. وزحف وولتر نحو نهر «ماروس» وهو الحد الفاصل بين المجر والدولة البيزنطية، ثم عبر النهر وزحف بقواته تجاه بلد البلغار حيث موقع مدينة بلغراد، وطلب وولتر من دوق مدينة بلغراد السماح لقواته بعقد سوق لتشتري ماتحتاج إليه وتبيع ماعندها، ولكن الدوق رفض العرض، فنشب قتال بين طائفة من قوات وولتر وقوات دوق بلغراد – بعد أن حاولت هذه الطائفة التابعة لقوات وولتر نهب قطعان الماشية التابعة لأهل مدينة بلغراد – عند مدينة سملين Semlin (تدعى حاليا Zemun وهي في كرواتيا)، وهُزمت مجموعة وولتر تلك، وقتل منها حوالي ستين على يد البلغار، وقد نشبت هذه المعركة في منتصف يوليو ١٠٩٦م.

وعندما أيقن وولتر أنه يقود جيشا غير منضبط، زحف به بسرعة حتى وصل إلى صوفيا وهي مدينة جميلة من مدن داكيا الوسطى، وقد أحسن حاكم صوفيا استقبال قوات وولتر وأعانهم حتى بلغوا مدينة القسطنطينية حيث مقر تجمع القوات الصليبية[٨٩].

---

(٨٩) وليم الصوري، ص١١٢-١١٤.

حملة بطرس الناسك :

بعد فترة قصيرة من سير قوات وولتر المفلس، سار بطرس الناسك نفسه بجيش قدّره وليم الصوري بأربعين ألف مقاتل من أمم وأجناس مختلفة، وكانت أغلب قوات بطرس من الفرنجة وبعض الألمان. بدأت الحملة زحفها حوالي نهاية مارس ١٠٩٦م حيث نهبوا اليهود في شمال فرنسا، وعندما أشرفوا على حدود مملكة المجر، بعث بطرس برسالة لملكها يطلب الإذن له بدخول مملكته، فاشترط كولمان - ملك المجر - بأن لايحدث جيش بطرس فوضى كما فعل أتباع وولتر المفلس من قبل، فقبل بطرس ذلك الشرط ودخل بقواته حتى بلغ مدينة سملين في ١٢/٦/١٩٠٦م - حيث رأى أصحابه ماكان معلقا على أسوار سملين من أسلاب إخوانهم أصحاب وولتر المفلس، فقرروا الانتقام لإخوانهم، ونهضوا لأسلحتهم فباغتوا أهل المدينة، وحصدوا منهم أربعة آلاف رجل، بينما فقدوا هم عددا قليلاً قدر بمائة رجل فقط[٩٠].

وعندما بلغ نيكيتاس Nicetas - دوق بلغراد - خبر الكارثة التي حلت بأهل سملين خاف على نفسه وشعبه فغادر مدينته مع شعبه فراراً من بطش حملة بطرس الناسك، والتجأوا إلى الغابات. وعندما بلغت ملك المجر أخبار تلك الكارثة تأهب بقواته للثأر لأبناء شعبه من مدينة سملين. وعندما بلغ بطرس استعداد ملك المجر، هرب بقواته وعبر نهر الساف، حيث عسكر عند مدينة نيش Nish، فسمح لهم حاكم المدينة بعقد سوق بعد تسلمه رهائن منهم.

وبعد أن انصرف جيش بطرس، تبين أن جماعة من جيشه من شعب التيتون «الألمان» قاموا بحرق بعض ممتلكات أهل مدينة نيش ثم انضموا إلى بقية الجيش

---

(٩٠) ميخائيل زابوروف : ص٥٤، ٥٥؛ The Alexiad of Anna Comnena، تذكر «آنا» أن حملة العامة التي تزعمها بطرس الناسك كانت تضم ثمانين ألفاً من الفرسان ومائة ألف من المشاة.

كأنهم لم يفعلوا أية جريمة في حق أهل تلك المدينة، فقام حاكم نيش بالانتقام من الصليبيين فباغت مؤخرة جيشهم وقتل منهم أعداداً كثيرة وأسر أعداداً من الشيوخ والعجزة والنساء والصبيان الذين تأخروا عن بقية الجيش لصعوبة حركتهم، وهكذا انتقم حاكم نيش من الصليبيين [illegible] بجريرة المجريين الذين ارتكبوا [illegible] المدينة (٩١).

ولما بلغت أخبار الكارثة التي حلت بمؤخرة الجيش الصليبي قائدهم بطرس الناسك، رجع قافلاً بقواته ليتأكد من هذه الأخبار، وعاد بقواته من الطريق نفسه الذي قدم منه حيث رأوا بأعينهم جثث إخوانهم القتلى، وحاول بطرس على الرغم من شدة الكارثة أن يتعرف أسبابها، وعندما تأكد من أن الصليبيين هم الذين بدأوا بالعدوان، حاول بطرس أن يحل الخلاف وديا لكي يعود السلام بين الصليبيين والمجريين. وعلى الرغم من محاولات بطرس لتهدئة الغاضبين من الصليبيين فإن المجريين أنفسهم كانوا مغتاظين أكثر، فنشب قتال بين فئتين منهما تقدر كل فئة بألف رجل، وحاول بطرس أن لايتدخل في القتال إلا أنه تدخل عندما تدخل أهل نيش في القتال وانضموا إلى قواتهم التي تقدر بألف رجل، فخسر الصليبيون مايقرب من خمسمائة رجل، وتاه الباقون في المخاضات، فهبت قوات بطرس في تلك اللحظة لنصرة إخوانهم والثأر لقتلاهم، واحتدم القتال بين الفريقين، ولم يستطع الرعاع والعامة من الجيش الصليبي غير المنضبطين الصمود أمام المجريين، ففروا من ساحة القتال، وحلت الهزيمة بجيش بطرس وفقد عشرة آلاف رجل وتبقى من جيشه ثلاثون ألفاً، كما نهبت أموال بطرس التي اعتمد عليها لتمويل الجيش ودفع الرواتب لجنده، وسلب المجريون من الصليبيين حوالي ألفي عربة نقل ومركبة محملة بمؤنهم (٩٢).

وبعد أربعة أيام من نكبة نيش، تجمعت من جديد قوات بطرس الناسك المنهزمة

(٩١) وليم الصوري : ص ١١٥-١١٩.

(٩٢) وليم الصوري : ص١١٩-١٢٣.

المشتتة بعد أن خسرت ربع قواتها، وبينما كانت هذه القوات المنهزمة تهم بمواصلة طريقها لإتمام مشروع الحملة الصليبية في احتلال فلسطين على الرغم من الهزيمة المنكرة التي تلقتها على يد نصارى المجر، إذ جاء رسول لهم من قبل الامبراطور [illegible] المجر التابعة له، وينصحهم أن لا يمكثوا في أي مدينة في امبراطوريته أكثر من ثلاثة أيام، ويعرض عليهم الإسراع للقدوم إلى عاصمته القسطنطينية ليقدم لهم مايحتاجون إليه من مؤونة وطعام خلال رحلتهم للأراضي المقدسة، فقبل بطرس ذلك العرض ووصل إلى القسطنطينية حيث التقى وولتر المفلس وقواته التي كانت بانتظارهم. والتقى بطرس الامبراطور البيزنطي، واستطاع كسب وده، وأوضح بطرس بفصاحته المعهودة أهداف الصليبيين من حملتهم الكبيرة تلك، كما أخبر الامبراطور أن أمراء الغرب الأوروبي في طريقهم للانضمام جميعا للزحف على الأراضي المقدسة، ثم أمر الامبراطور بتزويد القوات الصليبية بالمؤن ليعبروا مضيق البسفور إلى «بيثينيا» (Bithynia) وهي أولى المناطق في آسيا الصغرى، ونزلوا موقعا يدعى «سيفيتوت» (Civitot) في ضواحي هيلنوبولس (Helenopolis)، وعسكروا هناك (٩٣).

وبعد مرور شهر من بداية إقامة جيش بطرس الناسك عند سيفيتوت، قام جماعة من الصليبيين غير المنضبطين - خاصة من الألمان والإيطاليين والفرنسيين - بنهب منطقة تابعة للبيزنطيين تبعد حوالي عشرة أميال من معسكرهم ذاك. وعندما تخوف بطرس من أن يزداد نهب الصليبيين للبلاد التابعة للبيزنطيين نظراً لارتفاع أسعار المؤن التي اشتروها من البيزنطيين، قرر الذهاب شخصياً لمقابلة الامبراطور البيزنطي في القسطنطينية حتى يحصل على تخفيض مناسب لأسعار المؤن لقواته،

(٩٣) وليم الصوري: ص ١٢٣-١٢٤؛ The First and Second Crusades From Anony mous Syriac Chronicle. Translated by A.S. Tritton from Journal Asian Society, January, 1933, P. 69.

فانتهز في تلك الأثناء جماعة تقدر بسبعة آلاف مقاتل من الفرنسيين المشاة يساندهم ثلاثمائة فارس - ممن عرفوا بعدم الانضباط - انتهزوا فرصة انشغال أمير سلاجقة الروم (قلّج أرسلاَن بن قُتُلْمُش) في قتال بعيدا عن عاصمته نيقية، فنهبوا ضواحي عاصمته، وساقوا قطعان الماشية بأعداد كبيرة.

وعندما رأى جماعة من الصليبيين «التيوتون» (الألمان) ما حصل عليه اللاتين من سلب ونهب قرروا أن يقوموا بنهب ضواحي «نيقية» كما فعل اللاتين من قبل، فزحف ثلاثة آلاف من مشاتهم وخمسمائة من فرسانهم بقيادة رينالد للنهب، إلا أنهم وقعوا في كمين أعد بإحكام من قبل السلطان قلج أرسلان وقواته، فحاصرهم جيش تابع له في قلعة أكسير يجوردن قرب نيقية فحصدهم حصداً، ويذكر وليم الصوري أنه لم ينجُ من هؤلاء التيتون أحد.

وعندما بلغت أخبار تلك الكارثة المعسكر الصليبي في سيفيتوت، تنادوا للأخذ بثأر إخوانهم من التيتون، ولم يتمكن قادة الجيش الصليبي وأهل الخبرة من كبح جماح الثائرين الذين طالبوا بالانتقام. وتزعم المطالبة بالثأر شخص صعلوك يدعى «جود فروي» يلقب بوريل، وتغلب صوت المطالبة بالثأر على صوت الانضباط، فقام خمسة عشر ألفا من المشاة ومائتان من الفرسان بالزحف نحو نيقية للثأر لإخوانهم، والتقت تلك القوات بقوات قلج أرسلان - التي كانت متوقعة ذلك الهجوم - في معركة شديدة الوطيس قرب قرية دراكون (Dracon) (يالاك حاليا)، حقق فيها المسلمون السلاجقة - في الحادي والعشرين من أكتوبر سنة ١٠٩٦م - نصراً كبيراً،وسقط معظم الجيش الصليبي بين قتيل وأسير، وأكثر من نجا كانوا من الفرسان الذي فروا من السقوط بالأسر، وعادوا إلى القسطنطينية. ويؤكد وليم الصوري أن طيش الجنود الصليبيين غير المنضبطين هؤلاء هو الذي أدى بهم إلى هذه الإبادة الشاملة، حيث قتل كبار قادتهم منهم وولتر المفلس ورينال - صاحب برويس

(Broyes) – وفولك – صاحب أورليان – وغيرهم، فهم لم يتعودوا على النظام، فجرهم ذلك للسقوط بأيدي سيوف أعدائهم (٩٤).

[illegible]

بعد رحلت قصيرة من تجمع قوات بطرس الناسك في «بيثينيا» قام قسم من شعب التيتون بقيادة شخص يُدعى جوتشالك (Gottschalk) يقود خمسة عشر ألف صليبي بدخول بلاد المجر، فأكرم ملك المجر هؤلاء الصليبيين إلا أنهم لم يردوا الإحسان بمثله، بل أخذ الصليبيون ينهبون البضائع التي جلبها المجريون لبيعها لهم. وعندما بلغت ملك المجر – تلك التجاوزات التي ارتكبها هؤلاء التيتون (الألمان) في حق شعبه – غضب غضباً شديداً وتصعدت شدة الخلاف بين الطرفين خاصة عندما نهب التيتون مدينة بلغراد. ويذكر وليم الصوري أن ملك المجر تخوف من هؤلاء التيتون وأدرك أنه لن يستطيع إخضاعهم بالقوة فأعمل الحيلة حتى يوقع بهم بالخديعة ما فشل عنه بالقوة، فأرسل لهم رُسلاً تطمئنهم وتعرض عليهم تسليم أسلحتهم والاستسلام دون قيد أو شرط حتى يقضي بشأنهم الملك بما يشاء. وعندما سلم التيتون المقيمون في قرية اشتوهلفيسنبرج أسلحتهم لجنود ملك المجر، غدروا بهم وأخذتهم سيوف المجريين ذبحا في أواخر يوليو سنة ١٠٩٦م، ولم ينج من التيتون الصليبيين سوى عدد قليل جداً، عادوا إلى أوطانهم لينقلوا لهم خبر غدر المجريين بهم، ويحذروهم من الثقة بالشعب المجري (٩٥).

(٩٤) وليم الصوري، ص١٢٣-١٣٠؛ The Alexiad of Anna Comnena, PP 312-313 . تذكر «أنا» أن النورمان قتلوا في هجماتهم تلك الكبار والأطفال الرضع دون رحمة وشوهوهم بالنار، ٣٣١. كما تذكر «أنا» أن إشاعة سرت عند قوات بطرس خاصة عند التيتون تقول إن النورمان قد استولوا على نيقية ونهبوها، فأسرعوا دون انضباط إلى المشاركة في تلك الغنيمة الكبيرة، وهناك حصدتهم قوات قلّج أرسلان ص٣١٢-٣١٣.

(٩٥) وليم الصوري : ص ١٣١-١٣٤.

حملة أخرى غير نظامية :

زحفت حملة كثيفة من المشاة الصليبيين لايحصيها العد، ولم يجعلوا لهم قائداً واحداً رغم أنهم رجال أشراف كوشامر، كونت مدينة Coucy (على بعد خمسة عشر ميلا من ليون Leon) - وكلاريبو لدوي فنديل و«وليم النجار» ودروغو - كونت نيسل (Nesle الفرنسي) - وكونت هارتمان وغيرهم، وتميزت هذه الحملة بعدم الانضباط وعدم التزام جنودها بقوانين وأخلاقيات الفرسان، فلم يمروا بمدينة أو قرية إلا نهبوا خيراتها خاصة إذا كانت تابعة لليهود، ولم يكن اليهود يتوقعون تلك الأعمال المعادية ضدهم، ولذلك لم يتخذوا الحيطة والحذر. وأشهر تلك المدن التي نهبت كانت مدينتي كولونيا وميز، حيث قاد «أميخو» Emicho كونت (Leiningen - Kyburg - الألماني) - أحد القادة الصليبيين الألمان - أعمال النهب تلك.

وصلت تلك الحملة الكبيرة - التي يقدرها وليم الصوري بحوالي مائتي ألف جندي من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان - إلى حدود مملكة المجر عند حصن يدعى وسلبورج Wieselburg، حيث وقفوا عند جسر لعبور نهر الدانوب، فمنعهم ملك المجر من دخول بلاده نظراً لما اقترفه إخوانهم من قبل فى حق رعاياه، وبخاصة أن قواته قد تسببت - قبل فترة قصيرة - في مذبحة كبيرة للصليبيين عندما كان يقودهم «جوتشالك» بعد أن أعطوهم الأمان. وحاول الصليبيون جهدهم إرسال الرسل لملك المجر ليسمح لهم بدخول مملكته ليتموا رحلتهم إلى الأراضي المقدسة، إلا أن مساعيهم تلك فشلت فقام الصليبيون بإضرام النار في ضواحي تلك البلدة ونهبها. فقامت فرقة تقدر بسبعمائة فارس مجري لوقف نهبهم، فعبرت النهر وصادفت هناك الفرقة الصليبية فلم يكن لهم خيار غير القتال، واقتتل الطرفان قتالاً عنيفاً، وهزم الفرسان المجريون وقضي عليهم ولم ينج منهم إلا عدد قليل، ثم قام الصليبيون بعمل جسور ليهاجموا عن طريقها قلعة في تلك المنطقة فعبروا من خلالها إلى بلاد المجر، وحاصروا حصن وسلبورج، وبدأوا بضربه بالمنجنيق وكادت أسوارها تتهدم ،

وفجأة أصيب الصليبيون برعب غير متوقع هلعت له قلوبهم فتخلوا عن الهجوم، وفروا تاركين وراءهم معظم متاعهم. ويرجع وليم الصوري هذا الرعب والانهزام المفاجئ عند الصليبيين نظرا لما اقترفوه من خطايا وآثام كثيرة، فأرسل الله سخطه عليهم [illegible] التي أوقعت الرعب في قلوبهم. وتعقب المجريون القوات الصليبية المنهزمة وارتوت سيوفهم بدماء الصليبيين بعد أن كانوا يهابونهم. وفر الكونت أميخو وأغلب قواته مدحورين لبلادهم، أما بقية الأمراء الصليبيين ففروا عبر كارينيسيا حتى بلغوا إيطاليا حيث عبروا نحو «أبوليا» ثم لبلاد اليونان. والتحق كثير من هؤلاء الفارين بجيوش القوات الصليبية النظامية، فالتحق الفرنسيون بقوات هيو الصغير صاحب فرماندو وهكذا فشلت تلك الحملة الصليبية فشلا ذريعا على أيدي إخوانهم المجريين وليس على يد المسلمين (٩٦).

جيوش الحملة الصليبية الأولى النظامية تزحف إلى القسطنطينية :

زحفت في الخامس عشر من أغسطس ١٠٩٦م جيوش صليبية نظامية جرارة بقيادة الدوق «جودفروي» الرابع دوق (اللورين الأدنى) بعد فشل حملات العامة غير المنظمة كحملات بطرس الناسك وولتر المفلس وحملة جوتشالك. وانضم إلى جيش جودفروي قادة كبار منهم أخوه اللورد بلدوين - كونت مونس (Mons) - والكونت بلدوين كونت «هينولت» واللورد (هيو) - كونت «سنت بول» - وابنه انكراند وكونت «جارنييه» المدعو جراي واللورد «رينال» - كونت تول - وأخوه «بطرس» وكذلك اللورد «بلدوين - كونت بورج (Bourg) » أحد أقارب الدوق جودفروي، واللورد «جودفري كونت ايش»(Esch) وأخوه «جفري» وغيرهم من القادة المشهورين الذين يصعب حصرهم كما يخبر وليم الصوري (٩٧). والجدير

(٩٦) وليم الصوري : ص ١٣٤-١٣٨؛ ستيفن رانسمان، المجلد الأول ص١٧ ، ٢١٧، John France, P 92

(٩٧) وليم الصوري : ص ١٤٥، John France, P 135.

بالذكر أن جودفروي الرابع - دوق اللورين - كان حليفا للامبراطور الجرماني هنري الرابع خلال صراع البابوية مع الامبراطور هنري الرابع والذي أدى إلى تولي شخصيتين متنافستين منصب البابوية في وقت واحد، حيث ناصر هنري البابا أربان، لذا سعد البابا كثيراً باستجابة جودفروي، وأمراء ألمانيا للحملة الصليبية على الرغم من موقف امبراطورهم المعارض للبابا (٩٨).

واقترب جيش الدوق جودفروي بقوة قوامها عشرة آلاف من الفرسان وسبعون ألفا من المشاة، وقد اغتصب جودفروي أموال اليهود في طريقه نحو الشرق حيث اغتصب خمسمائة قطعة فضية من يهود كولون ومينز، ووفقاً لرواية «أنا كومنين» زحفت قوات جودفروي نحو ولاية في النمسا تُدعى «تولينبورج» (Tollenburge) حيث يلتقي نهر «لايثا»(Leitha) وهو الحد الذي يفصل الامبراطورية الجرمانية عن بلاد مملكة المجر، وأرسل الدوق جودفروي من هناك - بتزكية من قادة الحملة - المدعو جودفري كونت ايش مع بعض القادة كمندوبين لقادة الحملة للتفاوض مع ملك المجر حول السماح لجيوشهم بعبور مملكته لإتمام حملتهم لقتال المسلمين واحتلال الأراضي المقدسة في فلسطين خاصة بيت المقدس. وهذا الاختيار لهنري يرجع إلى حنكته. وقد تمكن هذا القائد من كسب ود الملك المجري بعد تبادلهما خطابات مطولة شرح كل منهما لصاحبه أسباب النزاع بين أعوانهما سابقا، كما برر كل منهما لصاحبه موقف أعوانه. وعموماً تمخضت تلك المراسلات التى عقدت فى قلعة سليمبيريا (Selymbria) «سيلفري حاليا» إلى اتفاق يسمح بموجبه الملك المجري لجيوش الصليبيين بالمرور في بلاده نحو الامبراطورية البيزنطية، كما اتفق الطرفان على إطلاق سراح أسرى كل جانب، وطلب الملك المجري أيضاً من الصليبيين إعطاءه رهائن هم أخ الدوق المدعو بلدوين وزوجته وأبناؤه إلى أن يُنهي الصليبيون عبور بلاده إلى الدولة البيزنطية. وتم عبور الصليبيين بلاد المجر - في

(٩٨) John France, P 5.

أواخر سبتمبر عام ١٠٩٦م - دون حدوث حوادث تعكر صفو هذا الاتفاق، وعاد الرهائن بسلام، كما أتحفهم الملك المجري بهدايا قيمة (٩٩).

وعندما اقتربت الجيوش الصليبية من مدينة «فيليبوبوليس» - المأهولة بالسكان - علموا باعتقال الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين لأحد قادتهم الذي سبقهم في رغبته نحو تخفيض أعداد الحملة الصليبية وهو المدعو «هيو» الصغير أخو ملك فرنسا. ويرجع وليم الصوري أن السبب في ذلك هو رغبة الامبراطور البيزنطي في استخدامه ورقة ضغط على الصليبيين أو ربما ليستخدمه وسيلة لكسب الصليبيين عندما يمن على «هيو» الصغير بإطلاق سراحه لينضم إلى قوات الحملة الصليبية(١٠٠). والجدير بالذكر أن جيش «هيو» غرق بعاصفة هوجاء - عدا من كان على سفينة «هيو» نفسه - في منطقة بين ديراشيوم (Dyrrachium) وبالي في شرق حوض البحر الأدرياتيكي.

وعندما ماطل الامبراطور في إطلاق سراح هيو الصغير، قام الصليبيون بنهب إقليم أدرنة التابع للبيزنطيين، فاضطر الامبراطور لإطلاق سراح «هيو» ثم دعا الامبراطور قادة الصليبيين إلى الاجتماع به في العاصمة «القسطنطينية». ووصلت القوات الصليبية قرب القسطنطينية حيث التقت «هيو» الصغير ورفاقه الذين أفرج عنهم الامبراطور فشكر هؤلاء المفرج عنهم مساعدة الدوق جودفروي - دوق اللورين الأدنى - في إطلاق سراحهم. وعندما أرجأ الدوق جودفروي وبقية القادة الصليبيين مثولهم في حضرة الامبراطور البيزنطي، رفض الامبراطور السماح لهم بعقد سوق ليبتاعوا مايحتاجون إليه، ولم يجد الصليبيون خياراً سوى نهب مواش وأراض تابعة للامبراطور، ورجعوا متخمين بهذه المسلوبات الكثيرة(١٠١).

(٩٩) وليم الصوري : ص ١٤٦-١٥١؛ John France, P 84 ; Anna Comnena P318 .

(١٠٠) وليم الصوري : ص ١٥٤؛ المؤرخ المجهول صاحب «الجستا»، ص٢٣؛ Anna Comnena, P 314 - 315.

(١٠١) وليم الصوري : ص١٥٤-١٥٦.

وعندما لاحظ الامبراطور عظم الجيوش الصليبية ونهبها الشديد للأراضي التابعة له، بدأ بملاحقة الصليبيين واقترح عليهم الإقامة في ضيافته في منطقة تضم قصوراً متعددة على شاطئ مضيق البسفور، فقبل الصليبيون ذلك الاقتراح نظراً [illegible] ويرجع وليم الصوري اقتراح الامبراطور هذا الأمر لكي يضع الجيوش الصليبية الكبيرة في أرض محددة فيسهل السيطرة عليها وسحقها متى أرادت التمرد عليه(١٠٢).

وتلقى الدوق «جودفروي» عدة رسائل من الامبراطور يطلب منه القدوم إليه. ويذكر المؤرخ الصليبي المعاصر المدعو ألبرت الأكسي أن بعض الغرباء القادمين من أرض الفرنجة هم الذين حرضوا جودفروي على الامبراطور، لذا كان متخوفاً من الاجتماع بالامبراطور وربما خاف أن يغدر به، وعندما علم الامبراطور بإصرار جودفروي على عدم الاجتماع به حتى يقسم يمين الطاعة - أي يمين الولاء الذي اعتاد أن يقسمه الأتباع لسيدهم النبيل الإقطاعي - أمر بفض السوق الذي أمر بإقامته ليبتاع الصليبيون حاجتهم من المؤن، كما أمر جنوده من الرماة برشق المعسكر الصليبي، فأصابهم بأذى كبير. وهنا أمر الدوق جودفروي أخاه بلدوين بتزعم كتيبة - قدرها خمسمائة فارس - لتحتل الجسر الذي يصل أماكن معسكراتهم بالقسطنطينية عبر مضيق البسفور، وتمكن بلدوين من السيطرة على الجسر، وفي تلك الأثناءأضرم البيزنطيون النار بمعسكرات الصليبيين، وقامت بهذه المهمة قوات بيزنطية تدعى التركبولي كما يذكر ألبرت الأكسي المؤرخ الصليبي (اللاتيني) المعاصر. وتنادى كل فريق للقتال، وقد سبق الصليبيون البيزنطيين فاستولوا على ذلك الجسر الاستراتيجي الذي سبق الحديث عنه، ونشبت معركة غير فاصلة سقط فيها أعداد كبيرة من كلا الطرفين بين قتيل وجريح، إلا آن سرعة سدول الليل أوقفت القتال. وتذكر «أنا كومنين» أن البيزنطيين أخضعوا الصليبيين. وهنا اتضح للصليبيين

(١٠٢) وليم الصوري . ص١٥٧.

- وفقا لرواية وليم الصوري - غدر الامبراطور البيزنطي عندما نصحهم بالإقامة في تلك المنطقة على ساحل البسفور حتى يقعوا بالمصيدة التي نصبها لهم، ويبدو أن الصليبيين اعتادوا نهب أراضي البيزنطيين رغم مساعدة الامبراطور البيزنطي لهم في توفير [illegible]هم بأسعار مناسبة. وهنا يخبرنا وليم الصوري [illegible] أن الجيش [illegible] الأراضي البيزنطية [illegible] لاكتشافهم غدر الامبراطور [illegible] إلا أنه يذكر أن هذه الكتيبة عادت بعد ثمانية أيام من تلك المعركة، فكأن كتيبة النهب خرجت قبل نشوب القتال الذي ذكر آنفا، وعموماً رجعت الكتيبة الصليبية مثقلة جداً بما نهبته من ماشية وأغنام وحتى عربات تابعة للبيزنطيين (١٠٣).

وبينما كانت الأمور متأزمة بين الصليبيين والبيزنطيين، إذا برسول من قائد صليبي من أصل نورماندي يدعى اللورد بوهيموند بن روبرت جويسكارد أمير تارنتو (طارنت أو أترانتو) - الواقعة جنوب شرقي الجزيرة الإيطالية - يعلم قادة الصليبيين بقرب قدوم سيده مع جيشه للمشاركة في الحملة الصليبية، ويحمل رسالة مطولة من سيده بوهيموند للقادة الصليبيين يحرضهم فيها على الامبراطور البيزنطي وأتباعه الإغريق. ولم يكن جيش بوهيموند كبيراً بل قدرته أنا كومنين بحوالي بضعة آلاف فارس نظرا لعدم توافر المال عند بوهيموند. والجدير بالذكر أن بوهيموند وأباه روبرت جويسكارد خاضا سابقاً صراعاً مريراً ضد الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، وقد سعى بوهيموند نفسه - أثناء ذلك الصراع - إلى اقتطاع أراض بيزنطية لنفسه في البلقان، إلا أن الامبراطور البيزنطي هزمه في عام ١٠٨٣م قرب لاريسا.

(١٠٣) وليم الصوري : ص١٦١-١٦٣؛ Anna Comnena, P 328 R.H.C,Oc., IV, Paris 1879.
تاريخ القدس "Albert of Aix, "Historia Hierosolymitana ترجم جزءاً منه الدكتور قاسم عبده قاسم تحت عنوان «*الحروب الصليبية -نصوص ووثائق*» القاهرة ١٩٨٤م، ص١٥٨ , ١٦٠. والجدير بالذكر أن البرت الأكسي من مدينة الأكسي لاشبل (آخن) وتوفي بعد عام ١١٢٠م بقليل ولم يذهب للأراضي المقدسة إلا أنه اعتمد على روايات شهود العيان ومصادر أدبية أخرى لم تصلنا. انظر المرجع نفسه ص٣٢.

وتتهم ابنة الامبراطور المؤرخة أنا كومنين القادة الصليبيين بأنهم أتوا ليستولوا على الامبراطورية البيزنطية وخاصة العاصمة القسطنطينية. فشكر الدوق جودفروي لبوهيموند هذه المشاعر البغيضة تجاه البيزنطيين، إلا أنه أكد له أنه لن يوجه سفه ضد أي شعب مسيحي [illegible] المسلمين الذين نعتهم بصفة الكفر(١٠٤).

وعلى أية حال، تزايد نهب الصليبيين للأراضي البيزنطية، وأتت أخبار قرب قدوم بوهيموند بجيش من النورمان والفرنجة المقيمين جنوب إيطاليا للمشاركة بالحملة الصليبية. والجدير بالذكر أن بوهيموند - على الرغم من صغر جيشه الذي شارك في الحملة الأولى - كان من القادة الصليبيين القلة الذين لديهم خبرة في قيادة جيوش كبيرة. فقد اكتسب خبرة عندما قاد جيشا نورمانيا يقدر بـ١٥ ألفا ضد الامبراطورية البيزنطية أيام حكم والده روبرت جويسكارد عام ١٠٨١م، وهنا رأى الامبراطور البيزنطي أنه من الأصلح له استرضاء الدوق جودفروي، وكرر تقديم طلبه باللقاء به قبل وصول بقية جيوش الصليبيين، بما فيهم جيش بوهيموند - عدوه السابق اللدود - ليتسنى له الوصول إلى اتفاق حول إعلان تبعية قادة الحملة الصليبية للامبراطور البيزنطي، ذلك أن الامبراطور كان يعلم شدة عداء بوهيموند له شخصياً نظراً لصراع قديم وطويل بينهما، فتخوف من أن يكون انضمام بوهيموند للقادة الصليبيين مشجعا لبقية القادة وخاصة الدوق جودفروي على الإحجام عن أداء يمين الولاء للامبراطور البيزنطي. وهنا أظهر الامبراطور هذه المرة حسن نيته فوعد بإرسال ابنه «يوحنا بيرفير جنتس» كرهينة للصليبيين في أثناء فترة لقاء قائدهم

(١٠٤) وليم الصوري : ص١٦٣-١٦٤؛ المؤرخ المجهول صاحب «الجستا»، ص٢٣ , ٢٥ , ٢٨؛ ميخائيل زابوروف : الصليبيون في الشرق ص٦١. Albert of Aix, Anna Comnena P 319, 326 ص١٦٢. يذكر ألبرت الأكسي أن بوهيموند وعد الدوق جودفروي بالوصول والاجتماع بجيشه في أدرنة في شهر مارس ١٠٩٧م ليقوما بشن حرب لإسقاط الامبراطورية البيزنطية، إلا أن الدوق رفض هذا العرض.

جودفروي بالامبراطور في قصره، فوافق قادة الصليبيين على مثول قائدهم أمام الامبراطور بعد وصول ابن الامبراطور لهم.

أحسن الامبراطور استقبال الدوق جودفروي ومرافقيه في الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٠٩٦ – والقى كلمة بهذه المناسبة اظهر فيها إعجابه بجودفروي وأصحابه الذين عزموا إتمام حملتهم الصليبية ضد المسلمين. وقد سمى الامبراطور هذه الحملة بالمشروع الذي أحاطته التقوى الكريمة برعايتها، ثم أقسم جود فروي -بعد تلك الكلمة- يمين الولاء للإمبراطور. وهنا نشير إلى أن قسم جودفروي يمين الولاء للإمبراطور لايعفي بقية القادة الصليبيين من أداء يمين الولاء للإمبراطور كل على حدة، ولهذا نرى إصرار الإمبراطور على أن يقسم له جميع القادة يمين الولاء جرياً على عرف نظام الإقطاع الذي كان سائداً في أوروبا في العصور الوسطى. ثم أغدق الإمبراطور على جودفروي ومرافقيه - بعد إعلان جودفروي يمين الولاء له - الهدايا الثمينة من جواهر كثيرة وثياب حريرية. ولايستبعد أن يكون فعل ذلك ليبهرهم بما عنده من مال وملك، ثم عاد الوفد الصليبي إلى معسكره، فأعاد الصليبيون للبيزنطيين ابن الامبراطور الذي احتفظوا به رهينة (١٠٥).

بعد هذا اللقاء الودي بين الطرفين، أصدر الإمبراطور أوامره بتوفير كل مايحتاج إليه الصليبيون من مؤن بسعر مقبول، كما أمر بقتل كل من يخالف من أتباعه هذا الأمر. ومن جانبه أمر الدوق جودفروي بإعدام كل من يقترف من الصليبيين جريمة نهب أراضي الإمبراطورية البيزنطية وأتباعها، وهكذا ساد الوفاق بين الجانبين (١٠٦).

---

(١٠٥) وليم الصوري : ص١٦٥-١٦٧؛ فولشر الشارتري ص١٠٧؛ John France P 2 ؛ المؤرخ المجهول صاحب «الجستا» ص٢٤-٢٥؛ Anna Comnena, P323 ، ص١٦٢-١٦٣ Albert of Aix يذكر ألبرت الأكسي أن العلاقة توطدت بين الامبراطور البيزنطي والدوق جودفروي حتى إن الامبراطور تبنى الدوق وأعلن أن كل مايملكه تحت سلطان الدوق ليقوم بحمايته.

(١٠٦) وليم الصوري، ص١٦٧-١٦٨.

ووردت في تلك الأثناء أي منتصف شهر مارس عام ١٠٩٧م أخبار عن قدوم جيش بوهيموند للانضمام إلى الجيوش التي وصلت إلى القسطنطينية، فعرض الإمبراطور على القادة الصليبيين الانتقال بجيوشهم عبر البسفور إلى نقوميديا (Nicomedia) [illegible] الإمبراطور نفسه. ويبدو أن الإمبراطور تخوف من جديد من تجمع الجيوش الصليبية جميعاً في مكان واحد بأعدادهم الهائلة فيمثلون قوة لايستطيع ضبطها، وربما قد تهدد ملكه (١٠٧). وهذه الإشارة توضح من جديد مدى ضخامة عدد الحملة الصليبية حتى إن الإمبراطور البيزنطي تخوف من احتشاد تلك القوات الكبيرة في مكان واحد فتهدد سلامة الإمبراطورية نفسها، والجدير بالذكر أن الدولة البيزنطية كانت تمتلك آنذاك جيشاً كبيرا.

وكان خروج اللورد بوهيموند بجيشه قبل حلول شتاء عام ١٠٩٧م، حيث وصل عبر البحر الإدرياتيكي إلى «دورازو» (Durazzo) التي يحكمها يوحنا ابن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، ثم زحف عبر غابات بلغاريا والتحق بجيوش الصليبيين القادمين من إيطاليا وبلاد أخرى منهم تانكريد بن وليم مارشيسوس وهو ابن أخت بوهيموند نفسه وكان يبلغ آنذاك من العمر عشرين عاماً فقط، وسيكون له دور بارز في الحملة الصليبية الأولى. كما انضم إلى جيش بوهيموند قوات كلّ من ابن عمه المدعو ريتشارد البرسباتي بن وليم (أخ روبرت جويسكارد والد بوهيموند) وأخوه رينولف، وروبرت بن تستان وغيرهم من القادة. وعند مرور هذا الجيش بمنطقة خصبة تدعى «بيلاجونيا» (Pelagonia) الواقعة شمال غرب مقدونيا) ضربوا معسكرهم هناك، ثم باغتوا أهالي تلك المنطقة بهجوم غير متوقع فقتلوا ونهبوا كثيراً منهم، وبرر الصليبيون هذا العمل لكون أهالي هذه المنطقة

---

(١٠٧) وليم الصوري. ص١٦٨-١٦٩؛ تذكر «أنا كومنين» أن الجيوش الصليبية كانت كثيرة ككثرة أوراق الشجر والزهور في فصل الربيع، Anna Comnena P 324 .

من الهراطقة، وهي تهمة تكفي لتبرير قتل الأبرياء الكثيرين عند نصارى العصور الوسطى. وبالرغم من العداوة السابقة بين الإمبراطور البيزنطي وبوهيموند وكذلك نهب بوهيموند لأراضي الدولة البيزنطية في هذه الحملة، فإن الامبراطور عمل ما في وسعه لكسب بوهيموند حيث أرسل مبعوثين من قبله بذلوا جهداً كبيراً لإقناعه بتحويل عداوته السابقة مع الإمبراطور إلى علاقة ود وتحالف ضد العدو المشترك «المسلمين»، وقد حاول بوهيموند أن يكتم حقده تجاه الإمبراطور وأتباعه، كما شكر للإمبراطور تعاطفه واهتمامه به شخصياً ومساندة الحملة الصليبية (١٠٨).

ثم اجتاز بوهيموند بجيشه مقدونيا وولاية الليريا حتى وصل إلى القسطنطينية فأتته سفارة ثانية من الإمبراطور يرجوه فيها القدوم لزيارته، فتردد بوهيموند في لقاء الإمبراطور، إلى أن أصر عليه الدوق جودفروي نفسه للقيام بتلك الزيارة، فاستجاب لطلبه، وأحسن الإمبراطور استقبال عدوه السابق بوهيموند وأتحفه بالهدايا القيمة بعد أن أدى يمين الولاء «جرياً على عادة الأفصال لسادتهم اللوردات الإقطاعيين» كما يذكر وليم الصوري. وبعد أن تحسنت العلاقة بينهما، طلب بوهيموند من الإمبراطور البيزنطي – وفقاً لرواية «أنا كومنين» – أن يمنحه لقب كونت الشرق Domestic of the East، فلم يرفض الإمبراطور طلبه بل مناه بهذا المنصب إذا أثبت استحقاقه لذلك، كما نصح الإمبراطور بوهيموند نصائح عسكرية عند مواجهته للأتراك حيث كانت لديه خبرة طويلة في قتالهم. وكان ذلك نوعا من تطييب خاطر بوهيموند الذي عرف عنه عدم ثقته بالإمبراطور البيزنطي. إلا أن تانكريد ابن أخت بوهيموند لم يقسم يمين الولاء بالرغم من إلحاح كل من الإمبراطور وخاله بوهيموند نفسه، ويبدو أن تانكريد هو القائد الصليبي الوحيد آنذاك الذي لم يقسم يمين الولاء

---

(١٠٨) وليم الصوري: ص ١٦٩-١٧٢؛ المؤرخ المجهول صاحب «الجستا» ص٢٦-٢٧؛ ميخائيل زابوروف ص٦٢ Anna Comnena, P 326.

للإمبراطور، وبهذا نأى عن كاهله أي التزام مع الإمبراطور [١٠٩]، إلا أنه سيضطر لذلك بعد تسلم البيزنطيين نيقية في شهر مارس ١٠٩٧م.

وفي ربيع ذلك العام وصلت جيوش من شمال فرنسا تقودها المدعو «روبرت» دوق نورماندي - الابن الاكبر لوليم الفاتح - بقواته إلى قرب القسطنطينية وقد رافقته قوات روبرت الثاني كونت فلاندرز واستفن كونت «بلوا»، فقابله رسل من الإمبراطور البيزنطي ودعوه للقائه، فوافق روبرت على هذه الدعوة وأحسن الإمبراطور استقباله - في الرابع عشر من مايو عام ١٠٩٧م - بينما كان الصليبيون يحاصرون مدينة نيقية. وأقسم يمين الولاء للإمبراطور كما فعل القادة الذين سبقوه، فمنحه الامبراطور هدايا ثمينة كما صنع بالقادة الصليبيين قبله، ثم عبر روبرت بقواته - التي يمثل النورمان معظمها إضافة إلى الإنجليز والاسكتلنديين والبرتانيين - مضيق البسفور وانضم إلى الجيوش الصليبية الأخرى التي سبقته، ثم أخذ قادة الجيوش الصليبية بالتباحث حول إنجاز مشروعهم الصليبي، كما لاموا القادة الذين تأخروا عن القدوم حتى يشرعوا في العمل بمشروعهم [١١٠].

وفي تلك الأثناء وصل رسول إلى القوات الصليبية الرئيسة - من قبل ريمون الرابع كونت تولوز وأديمار أسقف بوي، وكان هذان القائدان قد ترافقا منذ خروجهما من جنوب فرنسا من برجنديا وجاسكونيا وأوفرن وبروفانس وغيرها من المقاطعات، حيث أخبرهم هذا الرسول أن قواتهما على مقربة منهم وأنهما سيدخلان القسطنطينية قريباً. والجدير بالذكر أن البابا أربان استشار ريمون هذا قبل عقده مؤتمر كليرون الذي دعا فيه إلى حرب صليبية، وقد وعده ريمون بالدعم، وهذه إشارة توضح أهمية هذا الكونت عند البابوية نظراً لإمكاناته الجيدة لدعم المشروع

(١٠٩) وليم الصوري : ص١٧٣-١٧٤؛ المؤرخ المجهول صاحب «الجستا» ص٣٢-٣٣، ستيفن رانسمان، ص٢٧٣؛ Anna Comnena, P 327 - 329 - 340 .

(١١٠) وليم الصوري : ص١٧٥-١٧٦؛ فولشر الشارتري ص١٠٢-١٠٥.

الصليبي (١١١)، وقد تلازم القائدان منذ خروجهما من بلادهما في منتصف ديسمبر سنة ١٠٩٦م - حتى وصولهما قرب القسطنطينية في رحلة طويلة عانيا فيها مع قواتهما الضخمة معاناة كبيرة خاصة من قبل السلاف «المتبربرين» - كما يصفهم وليم الصوري - المقيمين في أسريا [illegible] تلك المنطقة المليئة بالأنهار والقنوات المائية والمستنقعات التي تساعد على زيادة نسبة الرطوبة والضباب الكثيف، واستغرق عبورهم هذا الإقليم ثلاثة أسابيع عانوا خلالها كثيراً من هجمات السلاف الشديدة(١١٢).

وعندما وصل جيشا ريمون وأديمار مدينة «رود ستو» - الواقعة على البسفور على بعد حوالي ثمانية وأربعين كيلو متراً من القسطنطينية - جاء وفد من الإمبراطور البيزنطي ووفد آخر من القادة الصليبيين يدعوانهما لمقابلة الإمبراطور البيزنطي شخصياً، فوافق ريمون على هذه الدعوة، وأحسن الامبراطور استقبال ريمون الذي عرف عنه الفطنة والتعقل إلا أنه أصر إصراراً شديداً على أن لايقسم يمين الولاء للإمبراطور. فأمر الإمبراطور قادة جيشه بمهاجمة جيش ريمون، فباغتوهم ليلاً وأعملوا فيهم سيوفهم وأوقعوا بهم خسائر كبيرة. وبالرغم مما أبداه جيش ريمون من مقاومة فإن حماستهم للقتال في الحملة الصليبية أخذت تفتر - كما يذكر وليم الصوري - نظراً للمشاق التي واجهوها حتى قبل شروعهم فعلياً في قتال المسلمين. وعلى الرغم مما اكتشفه ريمون من خيانة الإمبراطور وغدره به وبعسكره - أثناء لقائه الامبراطور - فإنه لم يمتلك القوة الكافية لمواجهة القوات البيزنطية، كما تدخل بعض

---

(١١١) وليم الصوري : ص١٧٦؛ John France P 5.

(١١٢) وليم الصوري : ص ١٧٦ , ١٧٩؛ ميخائيل زابوروف ص٦٣؛ ريمون الأجويلري مؤرخ صليبي معاصر صحب جيش ريمون كونت تولوز وألف كتاباً بعنوان Hlistoria Francorum qui cepe-runt lherusalem R.H.C. Oc., III, PP 231,309 (تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس) ترجم الدكتور قاسم عبده قاسم أجزاء منه بعنوان «الحروب الصليبية نصوص ووثائق» ص١٤٧-١٤٨.

قادة الصليبيين وخاصة الدوق بوهيموند وروبرت كونت فلاندرز للوساطة بين الخصمين. ووفقا لرواية ريمون الأجويلري، فإن هؤلاء الوسطاء أوضحوا لريمون خطورة المعركة الكبيرة المتوقعة مع المسلمين وأنهم لايستطيعون القيام بالحملة الصليبية دون دعم قوي من الإمبراطور البيزنطي، ووفقاً لرواية وليم الصوري فإنه على الرغم مما علماه من خيانة الإمبراطور وغدره بجيش ريمون فقد رضخ ريمون لمطالبهما وذهبوا جميعاً للإمبراطور حيث أحسن استقبالهم واعتذر الإمبراطور للكونت ريمون، وأخبرهم أنه لم يكن لديه علم بالهجوم الذي شنه بعض أتباعه على جيش ريمون، وأكد لهم أنه لم يصدر لقادته أوامر بذلك، ثم أقسم ريمون للإمبراطور قسماً غير صريح حيث تعهد أن لايمس شرف الإمبراطور، فقبل منه هذا القسم ثم أكرمه أحسن إكرام، وتصافى الكونت ريمون مع الإمبراطور حتى إنه وفقاً لرواية وليم الصوري عرض الكونت على الإمبراطور أن يتولى قيادة الحملة الصليبية بنفسه فيصبح القادة الصليبيون جميعاً تحت إمرة الإمبراطور، إلا أن الإمبراطور اعتذر عن ذلك لانشغاله في صد هجمات أعداء الدولة البيزنطية على حدودها من بلغار وكومان وبشناق (١١٣).

ويبدو أن عرض الكونت هذا حمل في طياته محاولة هذا القائد الصليبي توريط الإمبراطورية البيزنطية بكل ثقلها ممثلة بالإمبراطور البيزنطي بهذا المشروع الصليبي الكبير، إلا أنه يبدو أن الإمبراطور البيزنطي أحجم عن ذلك حتى يورط الصليبيين وحدهم في صراع مع السلاجقة الأتراك الشديدي المراس في القتال، وربما وجد في

(١١٣) وليم الصوري : ص١٨٠-١٨٧؛ المؤرخ المجهول صاحب الجستا، ص٢٨-٣٢؛ Anna Comnena, P 330 ؛ ريموندا جيل «تاريخ *الفرنجة غزاة بيت المقدس*» ترجمه إلى العربية حسين محمد عطية، الطبعة الأولى، جامعة طنطا، دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية، ١٩٨٩، ص٧١، ص٧٢، وراجع كذلك ريمون الأجويلري : ترجمة د. قاسم عبده قاسم - مصدر سابق - ص١٤٩-١٧٣، يذكر ريمون أن بوهيموند تعهد للامبراطور البيزنطي بأنه سيقاتل إلى جانبه ضد ريمون كونت تولوز إذا حاول الآخر التعدي على قوات الامبراطور. راجع ص١٧٣ المصدر نفسه.

حربهم وحدهم ضد المسلمين فرصة لإضعاف الجيوش الصليبية الجرارة التي كانت تمثل خطرا على الدولة البيزنطية نفسها. وقد أدى إحجام ألكسيوس عن قيادة الحملة الصليبية إلى عدم وجود قائد واحد يقود الحملة وهذا عامل مهم من عوامل ضعفها.

وبوصول جيش ريمون - كونت تولوز - بقواته وانضمامه إلى القوات الصليبية اجتمعت الجيوش الصليبية تحت قيادة زعماء هذه الجيوش. والجدير بالذكر أنه لم يكن للجيوش تلك قائدٌ عامٌ، ثم زحفت تلك القوات لفرض الحصار على مدينة «نيقية» عاصمة سلاجقة الروم المسلمين. ووفقاً لرواية «أنا كومنين» فإن الصليبين انقسموا إلى قسمين عند زحفهم نحو نيقية نظراً لكثرة عددهم، فاتجه جزء منهم عبر بثنية والجزء الآخر عبر نيقوميديا نحو نيقية، وأحكمت تلك القوات الضخمة الحصار على تلك المدينة في اليوم الخامس عشر من شهر مايو ١٠٩٧م. وفي تلك الأثناء وصلت رسل اللورد روبرت - كونت نورمندي - وغيره من كبار النبلاء تعلمهم بقرب وصول قواتهم للانضمام إلى القوات الصليبية، وقابل هؤلاء القادة الإمبراطور البيزنطي حيث أقسموا له يمين الولاء دون تردد، فأكرمهم الإمبراطور أجمل إكرام، وعبروا بقواتهم البسفور وأسرعوا نحو نيقية للمشاركة في حصارها. وأرسل الإمبراطور آنذاك أحد قادته ويُدعى «تاتيكيوس» كممثل للإمبراطور في الحملة الصليبية. ويتهم وليم الصوري هذا الشخص بكونه حاقداً على الصليبيين اللاتين، ويضيف أن الإمبراطور اختاره لهذا المنصب ليكون جاسوساً على الجيوش الصليبية.

وهكذا اجتمعت الحشود الصليبية التي قدرها المؤرخ الصليبي المعاصر - فولشر الشارتري - بستمائة ألف شخص، ذكر وأنثى، يتصدرهم مائة ألف فارس اجتمعت جميعاً لأول مرة تحت زعامة قادة تلك الجيوش. ويقدر ألبرت الأكسي القوات الصليبية بثلاثمائة ألف مقاتل، وهذا التقدير مقارب لتقدير فولشر لأنه يدخل غير المقاتلين في تقديره. وسنحت لقادة الحملة هنا أول فرصة لمناقشة تفاصيل مشروعهم

الصليبي بتروٍ. ولو افترضنا مبالغة هؤلاء المؤرخين في تقدير أعداد جيوش الحملة، فإنه من المؤكد أن التقدير الأصوب هو كون أعداد هذه الجيوش كبيرة ولاتقل عن ستين ألف فارس. والجدير بالذكر أن هذا العدد كبير، فقد تمكن وليم الفاتح النورماندي عام ١٠٦٦م من الاستيلاء على إنجلترا بجيش قوامه ١٤ ألف مقاتل فقط (١١٤).

فرض الصليبيين الحصار على نيقية والاستيلاء عليها:

نيقية هي عاصمة إقليم بثنية ومن المعروف أنه عقد فيها أول مجمع كنسي في سنة ٣٢٥م وكان ذلك في عهد البابا سلفستر، وخرج المجمع بقرار ضد أريوس وأتباعه المناهضين للكاثوليك «الاثناسيويين». كما عقد بها مجمع عام آخر في سنة ٧٨٧م، عُرف بالمجمع السابع زمن الإمبراطور قسطنطين الرابع بن إيرين احتجاجاً على المعارضين لعبادة الصور المقدسة «اللاأيقونيين» وكان البابا آنذاك أدريان. وتقع نيقية في إقليم سهلي وتتميز بموقع ممتاز فهي تقع على الطريق الحربي البيزنطي القديم، وتطل عليها الجبال التي تطوقها من جميع الجهات، كما أنها تتمتع بأرض خصبة ومحاصيل وافرة، تتوافر بها الغابات والأحراج، وتطل على المدينة من جهة الغرب بحيرة كبيرة تدعى أسكان (١١٥). وكانت المدينة آنذاك مكتظة بالسكان وأغلبهم من النصارى، أما حاميتها فهم أتراك، وتمتاز أسوارها باتساعها ومتانتها، ويبلغ طول سورها حوالي أربعة أميال، وتعلوها أبراج عالية بنيت من صخر الجلمود حتى إن الصليبيين انبهروا من شدة تحصيناتها.

وكانت المدينة آنذاك تحت سيادة قلّج أرسلان بن سليمان بن قتلمش ويُكنى بالشاه أي الملك، وكان يحكم مناطق عديدة في هذه المنطقة تمتد من خليج البسفور حتى بلاد الشام تقدر بحوالي مسيرة ثلاثين يوماً. وقد ورث قلج أرسلان هذه المناطق

(١١٤) وليم الصوري ص١٨٨-١٩٢؛ فولشر الشارتري، ص١٠٨؛ المؤرخ المجهول صاحب الجستا، ص٣٣-٣٤؛ Anna Comnena, P 333; p 127, John France P 2, P 127.

(١١٥) وليم الصوري، ص١٩٩-٢٠٠؛ رانسمان ص٢٦٣.

الشاسعة التي كانت سابقاً تابعة للبيزنطيين من الدولة السلجوقية، فقد خسر البيزنطيون – بعد هزيمتهم على يد ألب أرسلان في معركة ملاذكرد الشهيرة عام ١٠٧١م – هذه المناطق بما فيها نيقية نفسها، ومن المعروف أن الإمبراطورية البيزنطية منيت في هذه المعركة بكارثة كبيرة كادت تقضي عليها نهائياً حتى إن الامبراطور البيزنطي نفسه رومانوس ديوجينس الرابع وقع أسيراً بيد السلطان ألب أرسلان الذي فرض عليه شروطاً مهينة قبل بموجبها التبعية للدولة السلجوقية، إلا أن البيزنطيين خلعوا امبراطورهم الأسير، وأقاموا أحدهم إمبراطوراً، ورفضوا قبول الشروط التي قبلها رومانوس. وقد ورث سلاجقة الروم نيقية وغيرها من مناطق آسيا الصغرى من إخوانهم السلاجقة وقد عرف قلّج أرسلان بذكائه وصرامته، فعندما بلغه خبر تقدم القوات الصليبية في الخامس من مايو ١٠٩٧م تجاه عاصمته نيقية، هب للدفاع عن ممتلكاته وأرسل طالباً النجدة من إخوانه في المشرق الإسلامي خاصة السلاجقة، فاستطاع أن يحشد أعداداً كبيرة من قوات المتطوعة خاصة من فارس وماحولها.

وآثر قلج أرسلان أن يخرج بقواته من نيقية ليتحصن بالجبال المجاورة للمدينة على بعد عشرة أميال، ولاشك في أن قواته لم تكن تكافئ القوات الصليبية التي يقدر عددها فولشر الشارتري بستمائة ألف مقاتل بينما يقدرها وليم الصوري بثلاثمائة وستين ألفا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب من شارك في الحملة الصليبية الأولى عندهم خبرة في قتال الحصون نظراً لأنه القتال الشائع في أوروبا الغربية آنذاك، وقد رأى قلج أرسلان أنه من الأفضل له أن يحصن المدينة ويُبقي فيها قوات للدفاع عنها بينما يقوم هو بقيادة قوات أخرى خارج المدينة ليقطع خطوط إمدادات القوات الصليبية حتى يجبرها على فك الحصار عن المدينة، كما أنه أرسل في طلب النجدة من القوات الإسلامية كما ذكر سابقا، فقد توقع قدوم تلك النجدة – ليجتمع بها بقواته خارج نيقية – لمهاجمة القوات الصليبية المحاصرة. وقد أرسل قلج أرسلان – كما يذكر وليم الصوري – اثنين من أتباعه لدخول المدينة لطمأنة أهلها بأنه لن يتركهم وحدهم، وحثهم على الثبات حتى تصل الإمدادات له، ليهاجم بهم

الصليبيين، وفي الوقت نفسه يقوم المدافعون عن المدينة بهجوم آخر على القوات الصليبية فيطبقون مع قوات قلّج أرسلان على القوات المعتدية، كما ذكرهم بأنه بقواته فقط قد تمكن من هزيمة الصليبيين في معركة خاطفة من قبل، وقتل منهم [illegible] ألفاً في يوم واحد [illegible] القوات الصليبية بقيادة بطرس الناسك – مدينة نيقية وقد سبق الحديث عن ذلك عند الحديث عن حملة بطرس الناسك، إلا أن وليم الصوري يذكر – في موضع آخر – أن عدد جيش بطرس الناسك الصليبي كان يبلغ آنذاك خمسة وعشرين ألف مقاتل من المشاة وخمسمائة فارس فقط وهو نصف تقدير هذا العدد، حيث سقطوا جميعاً بين قتيل وأسير (١١٦).

وقد توزعت الجيوش الصليبية – وفقاً لاتفاق بين القواد – حول المدينة المحاصرة. ووفقاً لرواية ريمون الأجويلري فإن قوات بوهيموند والقوات الفرنسية حاصرت جهة الشمال، وحاصرت قوات الدوق جودفروي وروبرت كونت فلاندرز جهة الشرق، بينما حاصرت جهة الجنوب قوات ريمون – كونت سانت جيل – وأسقف بوي، أما جهة الغرب فلم تحاصر لأنها محاصرة بالبحيرة، ولم يتمكن الصليبيون – خلال حصارهم لنيقية – من إحكام حصارهم على المدينة، فقد كانت تأتيها المؤن من ثغرات في حصارهم، إذ كانت تصلها المؤن من البحيرة التي تشكل حصانة طبيعية للمدينة وكذلك منفذاً لجلب النجدة في حالة تعرضها لخطر خارجي، كما سبق ذكر ذلك، ولم يتمكن الصليبيون من وقف الإمدادات عن المدينة

---

(١١٦) وليم الصوري ص ١٢٦-١٢٩، ص٢٠١-٢٠٢؛ المؤرخ المجهول صاحب الجستا ص٣٤؛ فولشر الشارتري ص١٠٨-١٠٩؛ Anonymous Syriac Chronicle, P 20 يذكر المؤرخ السرياني المجهول أن الامبراطور البيزنطي أكسيوس كومنين هو الذي أخبر قلج أرسلان عن تقدم قوات بطرس الناسك نحو نيقية؛ Anna Comnena, P 334 ، ريمون الأجويلري عن كتاب «الحروب الصليبية نصوص ووثائق». د. قاسم عبده قاسم ص١٨٢، يذكر ريمون أن خسارة جيش بطرس كانت ستين ألفا وليس خمسين ألفاً؛ رانسمان، ص٢٦٥،ص ٢٧٠.

لكونهم لايملكون سفنا تقف في البحيرة لمنع السفن القادمة بالمؤن (١١٧). وقد أرسل قلج أرسلان - كما أسلفنا - رسولين من قبله لأتباعه المحاصرين في نيقية يطمئنهم بأنه سيأتيهم بنجدة كبيرة خلال بضعة أيام حتى يفك الحصار عنهم، وقد تمكن [illegible] هذا، وفي الساعة الثانية من صباح اليوم التالي - الموافق الخامس عشر من مايو عام ١٠٩٧م - انحدرت قوات قلج أرسلان القريبة من المدينة - والتي تقدر بعشرة الاف فارس - نحو المدينة نفسها لمهاجمة الصليبيين، بينما يقدرهم وليم الصوري بخمسين ألفا، ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه. وأسرع الصليبيون - في تلك الأثناء - لحمل أسلحتهم لمواجهة تلك القوات (١١٨). ووفقاً لرواية وليم الصوري فقد خصص قلج أرسلان عشرة آلاف فارس لمهاجمة الصليبيين المحاصرين للمدينة من قبل البوابة الجنوبية للمدينة ظنا منه أن هذه الجهة أقل الجهات إحكاما وأن قوة الصليبيين هناك كما كان حالها قبل يومين غير كافية، وحاولت قواته جاهدةً عدةَ مرات فك الحصار عن المدينة من هذه الجهة - التي يقودها كلٌّ من ريمون كونت تولوز وأديمار أسقف بوي - فلم تفلح هذه القوات وحدها بهذه المهمة، فقام قلج أرسلان بالجزء الرئيسي من قواته بمهاجمة قوات ريمون، وكادت قوات ريمون أن تنهزم، لولا أن تدارك روبرت كونت فلاندرز هذا الأمر بقواته فقام بنجدة قوات ريمون، وتمكنت هذه القوات من صد القوات المهاجمة، واضطرتها للهرب بعد أن خسرت القوات المهاجمة حوالي أربعة آلاف قتيل وأسر بعضها. وقد واصل الصليبيون حصارهم للمدينة على الرغم من هذا الهجوم العنيف الذي أحبط، ولم يجرؤ قلج أرسلان

---

(١١٧) وليم الصوري : ص٢٠٢ - ٢٠٣؛ فولشر الشارتري ص١١٠؛ ريمون الأجويلري، راجع كتاب «الحروب الصليبية - وثائق ونصوص» للدكتور قاسم عبده قاسم، ص١٨١.

(١١٨) وليم الصوري : ص٢٠٣.

على محاولة الكرة لفك الحصار عن عاصمته نيقية، كما لم تأت قوات مسلمة لنجدة المدينة (١١٩).

وقرر الصليبيون المحاصرون للمدينة إحكام حصارهم عليها وذلك بمنع وصول المؤن عن طريق تلك البحيرة الواقعة غرب المدينة، فقاموا ببناء سفن متوسطة الحجم بمساعدة البيزنطيين، ثم حملوها على الخيول والرجال وأنزلوها في البحيرة، وعندما رأى المدافعون عن المدينة في ١٨ من يونيو ١٠٩٧م هذه السفن ظنوها نجدة لهم، وفوجئوا بأنها سفن أعدائهم، وهكذا أحكم الصليبيون الحصار على المدينة. وقد حاول ريمون في تلك الأثناء مع قواته جاهداً من جديد إحداث فتحة في سور المدينة من الجهة الجنوبية، إلا أن المدافعين ألقوا صخوراً ممزوَجة بالأسمنت من داخل المدينة فبنوا سوراً جديداً في الحال مساء يوم الهجوم، وقد نجح الصليبيون في إحداث فجوة في السور تسمح بعبور شخصين بسهولة، إلا أن المدافعين تمكنوا من منعهم من الدخول برشقهم بالسهام والمنجنيقات بشدة، وقد ألحق أحد المدافعين المسلمين إصابات كثيرة بالصليبيين، مما اضطر الدوق جودفروي لمهاجمة هذا الشخص وقتله بيده، ويبدو أن أحد الصليبيين أراد أن يقوم بعمل بطولي كالذي قام به البطل المسلم، فقام هذا الصليبي بمفرده بمحاولة إحداث فجوة في السور الذي بناه المدافعون مساء اليوم السابق، فقتله المدافعون ورموا للصليبيين جثته، فلم يجرؤ أحد من الصليبيين على القيام مرة أخرى بأي محاولة بطولية جديدة. كما قام الصليبيون في الأسبوع السابع من الحصار ببناء برج خشبي يتدحرج على دواليب، وكان يحمي هذا البرج غطاء صنع من مادة لاتسمح بالاشتعال، ويبدو أن صناعة هذا البرج لم تكن متقنة حيث بدأ الصليبيون الهجوم به وهو محمل بعشرين مقاتلا ليقوموا بهدم جزء من

---

(١١٩) وليم الصوري: ص٢٠٤-٢٠٥؛ المؤرخ المجهول صاحب الجستا ص٣٤-٣٦؛ فولشر الشارتري ص١١٠.

السور فلم يلبثوا إلا قليلاً فإذا به يسقط بكل من فيه ويقتلون جميعا، وهذه أول إشارة إلى استخدام الصليبيين أبراجا مشيدة في الحملة الصليبية الأولى (١٢٠).

وبعد هذا الحصار على المدافعين قرروا تسليم المدينة للقوات البيزنطية وليس للصليبية، ويبدو أن المدافعين عن المدينة خافوا على أنفسهم من بطش الصليبيين وكثرة قواتهم حتى إن المؤرخ المجهول صاحب «الجستا» يصف كثرة الجيش الصليبي فيقول : «إنني لاأظن أن أحداً رأى من قبل، أو سيرى من بعد، مثل هذه الكثرة من الفرسان الشجعان»، لذا وجدوا من الأفضل لهم الاستسلام للبيزنطيين - بعد حصار امتد خمسة أسابيع - في ٢٠ من يونيو عام ١٠٩٧م الذين كانت لهم معهم سابق معرفة وتعامل، وتذكر «أنا كومنين» أن قائدين بيزنطيين هما رودومير Rodomer ومونستراس Monastras أقنعا القادة المدافعين عن نيقية بضرورة تسليمها للإمبراطور البيزنطي، ووعدا هؤلاء القادة بتعويضات مالية وإقطاعات بالرغم من أنهما لم يخوّلا بهذه الوعود من قبل الإمبراطور نفسه، حتى إن الإمبراطور وبخهما بعد مفاوضاتهما الناجحة تلك مع هؤلاء القادة الذين قبلوا بتسليم المدينة للإمبراطور. فقد اتضح للقادة المدافعين عن المدينة أن الصليبيين - أظهروا أثناء زحفهم في الحملة الصليبية - أنهم لم يوفوا حتى لإخوانهم النصارى «ككولمان» ملك المجر وغيره، وربما أراد قلج أرسلان أن يوقع الخلاف بين الصليبيين والبيزنطيين بهذا العمل، وهو ماسيحدث فعلاً عندما سيتوانى البيزنطيون عن مناصرة الصليبيين في المستقبل القريب عند حصارهم لأنطاكية (١٢١).

(١٢٠) وليم الصوري، ص٢٠٩-٢١٤؛ الجستا ص٣٥؛ فولشر الشارتري ص١١٠؛ John France, p 163.

(١٢١) وليم الصوري : ص٢١٧ - ٢٢١؛ الجستا، ص٣٦-٣٧؛ فولشر الشارتري ص١١١؛ Anonymous Syriac Chronicle, P 70, Anna Comnena, P340.

استئناف الصليبيين زحفهم وانتصارهم على سلاجقة الروم في ضوريليوم

بعد تسلم البيزنطيين نيقية استأنف الصليبيون طريقهم لإتمام مسيرتهم الصليبي [illegible] هذه المدينة للإمبراطور البيزنطي بعد أن بذلوا جهداً كبيراً للاستيلاء عليها. وهنا نؤكد أن الزعماء الصليبيين تعهدوا - وفق اتفاقهم مع الإمبراطور البيزنطي الذي عقد بالقسطنطينية - تعهدوا بأن يعيدوا كل ماسيستولون عليه من السلاجقة إلى الدولة البيزنطية كآسيا الصغرى والتي تقع فيها نيقية وكذلك شمال بلاد الشام بما فيها موضوع دراستنا وهي أنطاكية والمدن القريبة منها كأرتاح وطرسوس. ووفقاً لرواية «أنا كومنين» فإن الإمبراطور البيزنطي أمر واليه على نيقية المدعو «بوتوميتس» Boutoumites بأن لا يسمح لأي قائد صليبي بمغادرة نيقية - قبل التوجه لفرض الحصار على أنطاكية - إلا بعد أن يعلن ولاءهُ للإمبراطور البيزنطي، كما وعد هؤلاء القادة بهدايا ثمينة ليكسبهم إلى جانبه. وهذه الإشارة توضح أهمية أنطاكية للدولة البيزنطية. وفي أثناء ذلك انفصل جزء من الجيش الصليبي يقوده بوهيموند كونت تارنتو، ستيفن كونت بلوا Bolis، تنكريد بن أخت بوهيموند كونت تارنتو، وكذلك «هيو» كونت سانت بول وتوجهوا جميعاً في التاسع والعشرين من يونيو ١٠٩٧م غرباً نحو وادي جورجون Gorgon ، حيث اكتشفت استخبارات وعيون قلج أرسلان انفصال هؤلاء، فأبلغت سيدها بهذا الأمر، فأسرع بقواته وقوات حليفه الأمير ابن الدانشمند والأمير حسن التركي لصدهم وهو يقود عشرين ألف فارس، بينما يقدرهم وليم الصوري بمائتي ألف فارس - الذي لاشك في مبالغته في تقدير هذا العدد - حتى يقوم بصد تلك القوات المعادية في الوادي، وعندما اقتربت قوات السلاجقة من الصليبيين أمطروهم بوابل كثيف من السهام فأوقعت بهم إصابات كثيرة في صفوفهم، كما أوقعت السهام إصابات كثيرة في خيول الصليبيين ففقدوا كثيراً منها، وعانوا من قلتها. وكان لعدم إلمام الصليبيين

بفنون قتال السلاجقة دور رئيسي في عدم أخذهم الحيطة، فلم يتعود الصليبيون هذا النوع من القتال حيث تكون فيه المبادرة بهجوم مباغت بوابل كبير من السهام يأتيهم من كل جانب، إلا أن الصليبيين كانوا يكافئون السلاجقة في فن «قتال الالتحام» [illegible] غير المتوقعة، فأسرعوا لقتال الالتحام مع السلاجقة، فتمكنوا من صد هذا الهجوم المباغت، وأخذت قوات السلاجقة تتراجع وتفتح صفوفها حتى تتجنب الالتحام مع الصليبيين. وقد انطلت هذه الخدعة على الصليبيين فلم يلاحقوا الجنود المتراجعين، ثم تجمعت حشود السلاجقة المتراجعة من جديد وشنت حملة شديدة برمي السهام والنشاب الكثيفة على الصليبيين حتى إن وليم الصوري ذكر أنه يندر أن يكون صليبي واحد قد نجا من الإصابة بهذه السهام، كما تساقطت أعداد كبيرة من خيول الصليبيين. وقد خسر الصليبيون في هذه المعركة ألفين من وجوه فرسانهم ومشاتهم منهم وليم بن المركيز (أخو تنكريد) وكذلك روبرت كونت باريس، حتى إن تنكريد نفسه كاد يقتل وأُصيب إصابات بليغة وأنقذه خاله بوهيموند من القتل (١٢٢).

وبينما كان الصليبيون عند وادي جورجون قرب ضوريليوم - يكابدون هذه المآسي من جيش قلج أرسلان - أتتهم نجدة عاجلة من جيوش بقية الحملة يقودهم جودفروي - دوق اللورين الأدنى - وهيو الصغير، وبلدوين صاحب أستاس وغيرهم من القادة، وكانت هذه النجدة مكونة فقط من الفرسان حيث تركوا المشاة والأحمال خلفهم. ويقدر وليم الصوري عددهم بأربعين ألف فارس، بينما يقدرهم البرت الأكسي بستين ألف فارس، حيث باغتوا جيش خصومهم، وألحقوا بهم هزيمة كبيرة عند ضوريليوم، وأخذوا يتعقبون فلول الجنود الفارين من الهزيمة مسافة أربعة

---

(١٢٢) وليم الصوري: ص٢٢٢-٢٢٦؛ الجستا ص٣٨-٤١؛ فولشر الشارتري ص١١١-١١٢، Anna Comnena, P 340 - 341 رانسمان ص٢٧٨؛ John France P 57؛ ريموندأجيل: ص٧٩، يذكر ريمون الأجويلري أن قوات قلج أرسلان في ضوريليوم تقدر بمائة وخمسين ألفاً.

أميال. وهكذا استولى الصليبيون على معسكر السلاجقة وغنموا منه مغانم كثيرة من أموال ومتاع وخيول وجمال (التي لم يألفوها في بلادهم) وربما كانت الخيول التي غنموها تعويضاً لخسارتهم الكبيرة، لما قد فقدوا كثيراً منها في بداية تلك المعركة كما أسلفنا. وكانت خسارة السلاجقة في هذه المعركة الشديدة ستة آلاف مقاتل بينما كانت خسارة الصليبيين أربعة آلاف يصفهم وليم الصوري كعادته بأنهم من الطبقات الدنيا. والطريف في الأمر أن وليم الصوري يذكر أنه من بين الأربعة آلاف مقاتل صليبي الذين فقدوا في هذه المعركة كان هناك اثنان فقط من وجوه الصليبيين. ويذكر وليم الصوري أن جيش السلاجقة كان يقدر بمائة وخمسين ألفا بينما كان جيش الصليبيين يربو على خمسين ألفا، ويبدو أن جيش سلاجقة الروم لم يزد على خمسين ألفا ذلك أن الجيش الصليبي كان متفوقا عدديا عليه. والجدير بالذكر أن التفوق العددي للصليبيين هو العامل الأساسي - بعد تفرقة كلمة المسلمين - في تحقيق انتصارات كبيرة وسريعة لجيوش الحملة الصليبية الأولى.

وقد وقعت هذه الموقعة المعروفة بمعركة ضوريليوم بالقرب من اسكي شهر الحالية في الأول من يوليو ١٠٩٧م، واستغرقت ست ساعات من الساعة الثانية حتى الثامنة (والمقصود بالساعة الثانية أي الساعة الثانية من شروق شمس ذلك اليوم)، كانت هزيمة ضوريليوم شديدة على سلاجقة الروم حيث سببت لهم خسائر كبيرة وأضعفتهم أمام الحملة الصليبية الأولى فلم يبادروا بهجوم مضاد، بل لم يتمكنوا من مساعدة القوى الإسلامية الأخرى التي ستتعرض للجيوش الصليبية خاصة أنطاكية موضوع هذا البحث، وقد فتح انتصار ضوريليوم الطريق أمام الصليبيين لتحقيق أهدافهم من الحملة الصليبية الأولى، فقد تمكنوا من السيطرة على الطريق الرئيسي المتجه نحو أنطاكية موضوع هذه الدراسة، ويمر هذا الطريق بأنقرة ثم تيانا (Tyana) ثم البوابات القليقية، ثم طرطوس ثم أضنه ثم الاسكندرون ثم أنطاكية. وبالرغم من انتصار الصليبيين في ضوريليوم فإن خسائرهم الكبيرة اضطرتهم إلى منع أي جيش صليبي من مفارقة بقية الجيوش الصليبية خوفاً من حدوث خسائر كالتي حدثت في

ضوريليوم عند وادي جورجون، كما فتح نصر ضوريليوم للبيزنطيين الطريق نحو استعادة آسيا الصغرى من السلاجقة، وابتدؤوا بغرب آسيا الصغرى، وكان يستولي على أغلب هذه المنطقة سلاجقة الروم بينما سيطر على أغلب الساحل الأيوني إمارة [illegible] Smyrna (أزمير) الحالية، وهكذا [illegible]
[illegible]
كما ضعفت عن تقديم عون لأى قوى إسلامية أخرى كأنطاكية عندما ستحاصر لمدة تسعة أشهر. والجدير بالذكر أن الجيوش الصليبية لم تكن تحت زعامة قائد عام بل كانت لها قيادة «مجلس حرب» مكونة من قواد الجيوش المختلفة، وستستمر هذه الحال طوال الحملة الصليبية الأولى.

ثم سارت الجيوش الصليبية مجتمعة عبر بلاد بيثينيا إلى بيسيديا حيث نزلت بواد جاف هناك رغبة منهم في اختصار الطريق، فقد تجنب الصليبيون الطريق الرئيسي المتجه نحو أنطاكية الذي ذكرته قبل قليل ربما رغبة في توفيرعلف لخيولهم، وهناك لاقوا مصاعب جمة لم يتوقعوها في صحراء تراقيا، فلم يجدوا ماء وأحرقتهم شمس شهر يوليو فسقط خمسمائة منهم قتلى من العطش والحر خاصة من النساء الحوامل، بل طال خطر الحر والعطش جيادهم وهو أهم مايملكونه في مثل هذه الظروف الصعبة، وتساقطت الدواب ميتة من شدة الحر والظمأ. واستمرت الجيوش تسير حتى وصلت إلى النهر فتسارعوا نحوه للشرب، وهنا لم ينتبه كثير منهم لخطورة الشرب بعد شدة العطش، فتساقط كثير منهم قتلى لشربهم بنهم، ثم ساروا نحو منطقة تدعى «أنطاكية الصغرى»(يلفاك Yalvak حاليا) وهي غير أنطاكية موضوع هذا البحث. وأنطاكية الصغرى هذه أرض خصبة وهي عاصمة بيسيديا، فخيموا هناك، وحدث أن انفصل جزءان من الجيش الصليبي الرئيس عند هذه المنطقة.

(١٢٣) وليم الصوري : ص٢٢٦-٢٢٨؛ الجستا ص٤١؛ فولشر الشارتري ص١١٣-١١٤؛ رانسمان ص٢٦٦، John France, P 127; 181,185 . يذكر جون فرانس نقلا عن ألبرت الأكسي أن خسائر الصليبيين في معركة ضوريليوم كانت أربعة آلاف بينما خسائر سلاجقة الروم هي ثلاثة آلاف، P181 .

ويبدو أن كلا الجيشين خرجا دون موافقة زعماء الجيش بالرغم من اتفاقهم السابق، وقد برر وليم الصوري هذا العمل لكون هذين الجيشين استهدفا من انفصالهما عن الجيش الرئيس استطلاع طريق الحملة الصليبية لموافاة قادة الحملة [illegible] الأعداء لا يكون بأعداد كبيرة لصعوبة حركتها ولسهولة كشفها، لذا كان من الأولى لهم إرسال عيون بأعداد قليلة للقيام بهذه المهمة. وقد مر هذان الجيشان قرب قونية واستوليا على هرقلة ثم زحفا نحو الساحل، وقد ساعدت هذه الانتصارات الصليبيين على تحويل المنطقة شمال وغرب أنطاكية إلى السيادة الصليبية بعد أن كانت تمثل درعاً لأنطاكية على الرغم من أن غالبية سكان هذه المنطقة من الأرمن.

وبينما كانت الجيوش الصليبية تستريح عند هرقلة ذهب الدوق جودفروي في رحلة صيد في الغابة القريبة حيث كاد يقتل عندما هاجمه دب مفترس وجرحه في رجله، إلا أن الدوق تمكن من قتل الدب بسيفه بحركة فيها شجاعة وقوة، وجاء الصليبيون ليسعفوا قائدهم وهم حزنون، وقد شفي جودفروي بعد فترة ليست بالقصيرة، ولو قدر مقتله – في هذه الحادث – لربما حدث تغير كبير في قيادة الحملة وكذلك في مسارها (١٢٤).

كما أصيب آنذاك ريمون – كونت تولوز – بمرض خطير كاد يموت منه، إلا أنه شفي منه بعد يأس من شفائه، وبينما كان هذان القائدان يعانيان من شدة المرض قبل شفائهما في وقت لاحق، حدث يأس عند بعض الصليبيين كاد يصرفهم عن متابعة حملتهم الصليبية، ولكن شفاءهما تقريبا في وقت واحد أعاد للنفوس حماستها لإتمام الحملة(١٢٥).

---

(١٢٤) وليم الصوري : ص٢٣١-٢٣٣؛ الجستا، ص٤٣-٤٥؛ John France P206 .

(١٢٥) وليم الصوري : ص٢٣٣-٢٣٤؛ رانسمان ص ٢٨٤.

بداية تنافس القادة الصليبيين على قطف ثمار الحملة الصليبية :

ثم سارت جيوش الصليبيين واجتازت «بيسيديا» ودخلت إقليم «ناكوليا» (Nacolia) حيث بلغت عاصمته «قونية» (Iconium)، وقد عانت هذه الجيوش نقصا كبيرا في القوت والغذاء عند هذا الإقليم، لأن سلاجقة الروم طبقوا سياسة تهدف إلى منع الجيوش الصليبية كبيرة العدد من الاستفادة من موارد الأقاليم التي في طريق حملتهم، فقاموا بحرق كل مايمكن الاستفادة منه. ثم سارت الجيوش الصليبية عبر طريق طويل يتجه شمالاً نحو قيصرية ثم ينحدر جنوبا نحو كاكسون ثم نحو مرعش ثم أنطاكية، وطول هذا الطريق حوالي ٦٣٠ كيلومترا بينما طول الطريق المباشر حوالي ٣٥٠ كيلومترا فقط ويمر عبر البوابات القليقية ثم طرسوس ثم أضنة ثم الاسكندرون ثم أنطاكية، ويبدو أن الصليبيين لم يظنوا أن الطريق الأطول هو أشق وتقل فيه المياه، فعانوا نتيجة ذلك معاناة كبيرة.

وفي تلك الأثناء، قامت قوات تنكريد، التي انفصلت عن الجيش الرئيسي بفرض الحصار على أهم مدن قيلقية وهي طرسوس، وطرسوس هذه من أهم مدن الثغور الشامية التي تضم المصيصة وأذنة وطرسوس نفسها كما أوضحت هذا عند الحديث عن أهمية أنطاكية للمسلمين، وكان يقطنها آنذاك غالبية مسيحية من أرمن وأغريق، وأقلية مسلمة من الأتراك. وقد أقنع تنكريد أهالي طرسوس من النصارى أن يرفعوا رايته على مدينتهم وأن يدخل المدينة مع جنوده حتى يصل خاله بوهيموند فيسلموه المدينة له وليس لتنكريد. وعندما وصل بلدوين - شقيق الدوق - مع جيشه قرب طرسوس وجد معسكرا حول المدينة ظنه معسكرا للسلاجقة، ثم اتضح أنه يخص جيش تنكريد لا السلاجقة، وقد حاول تنكريد أن يخفف من حنق بلدوين الذي رأى راية تنكريد ترتفع على طرسوس مع وجود قادة كثر، أكثر منه قوة في الحملة الصليبية، إلا أن تبريرات تنكريد لم تفلح في تسكين غضب بلدوين الذي أغلظ القول لتنكريد وأجبر أهل طرسوس على إنزال راية تنكريد واستبدالها برايته،

وقد أغضب هذا العمل تنكريد ولكنه كتم غيظه وسار بجنده نحو أذنة التي استولى عليها أحد قادة الصليبيين ويدعى جيلف وهو من برجنديا قبل وصول تنكريد، وأذنة هذه من إقليم الثغور الشامية التي تضم المصيصة وطرسوس وأذنة نفسها، وبسقوط طرسوس وأذنة انفتح الطريق أمام الصليبيين للاستيلاء على إقليم العواصم الذي يمتد جنوب إقليم الثغور الشامية ويضم قورس والجومه ومنبج وتوزين وبالس ورصافة هشام إضافة إلى أنطاكية موضوع هذه الدراسة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن مطامع القادة الصليبيين بدأت تتنامى لإنشاء إقطاعات مستقلة لهم، ومانفصال جيوشهم عن بعضها بعضا إلا محاولات في هذا الطريق. وقد أمد جيلف تنكريد بكل مايحتاج إليه من مؤن، ثم رحل تنكريد نحو المصيصة واستولى عليها بحد السيف من الأتراك وبطش بأهلها دون رحمة، وسلب كل ماوجده من غنائم في هذه المدينة الكبيرة (١٢٦).

ونعود للحديث عن طرسوس وموقف بلدوين من أهلها، فقد غادر تنكريد المدينة وهو غضبان، فأجبر بلدوين أهل طرسوس النصارى من أرمن وأغريق على السماح له ولجنده بدخول المدينة من الجهة التي يتحكمون بها، إلا أن هناك جزءا من المدينة مازال بأيدي الأتراك الذين صدموا بخيانة وتواطؤ هؤلاء النصارى مع الصليبيين، لذا قرروا ترك المدينة قبل أن يبطش بهم الصليبيون، وخرجوا بأهاليهم ليلا بينما كان الحراس الصليبيون نائمين بعد سكرهم تلك الليلة، ووصلوا إلى مكان آمن بمساعدة سكان المدينة من الأرثوذكس (الأغريق)، ثم عادت جماعة من الأتراك فقتلت ثلاثمائة رجل من عسكر بوهيموند النورمان كانوا أتوا للانضمام إلى جيش تنكريد في طرسوس إلا أنهم لم يجدوا تنكريد، فلم يسمح لهم بلدوين بدخول المدينة وتركهم ينامون خارج السور، فأتى الأتراك وذبحوهم بهدوء حتى إن الصليبيين داخل المدينة لم يعلموا بأمر قتل جند بوهيموند هؤلاء إلا في الصباح،

(١٢٦) وليم الصوري : ص ٢٣٥-٢٤٠؛ الجستا ص٤٦-٤٨؛ رانسمان، ص٢٨٤؛ John France P. 187-189.

فحنق كثير منهم على بلدوين لأنهم رأوه السبب في قتلهم، ولكن بلدوين تمكن من كسر حنقهم وبرر ذلك العمل بأنه وعد بعدم السماح لأحد من قادة الصليبيين سواه بدخول المدينة حتى يأتي أخوه الدوق جودفروي لتسلمها شخصيا من أهلها (١٢٧).

[illegible] منه العودة للانضمام إلى الجيش الرئيسي الذي كان من أهم قادته أخوه الدوق جودفروي، فاصطر بلدوين للانضمام من جديد إلى الجيش الرئيسي، كما اتخذ من زيارته لأخيه جودفروي - بعد حادث الدب الذي هاجمه - ذريعة للانضمام إلى الجيش (١٢٨). وبينما اضطر بلدوين إلى الانضمام إلى الجيش، استمر تنكريد في إتمام مشاريعه وطموحاته، فقد انضم إلى جيشه - على بعد حوالي ثلاثة أميال في طرسوس - قوات صليبية جديدة أقبلت مبحرة من فلاندرز وهولنده وفريزيا حيث كانوا فيما مضى قراصنة يقطعون على السفن طريقها، ثم انضموا إلى الحملة الصليبية عند سماعهم بها، وهكذا أصبح تنكريد يقود قوات قوامها حوالي ألف مقاتل، فتمكن بهذه القوات من اجتياح إقليم قليقية، وأرعب أهلها حتى دخل كثير في طاعته سواء من الأتراك أو الأرمن خوفا من بطشه (١٢٩). وعلى أية حال لم تؤت المنافسة بين تنكريد وبلدوين على السيطرة على قليقية نتائج مهمة لمصلحة الصليبيين، حيث لم ينجح كلاهما في إقامة إمارة له في هذا الإقليم، كما أن الحاميات الصليبية بها لم تكن في وضع يساعدها على مواجهة هجوم إسلامي متوقع عليها، إلا أن تفرق الحاميات التركية في آسيا الصغرى والتنافس بين سلاجقة الروم ومنافسيهم بني الدانشمند منعت تعرض قليقية لخطر هجوم إسلامي كبير، وعموما سيكون

(١٢٧) وليم الصوري : ص ٢٤٠ - ٢٤٣؛ الجستا ص٤٤-٤٥.

(١٢٨) وليم الصوري : ص ٢٤٦.

(١٢٩) وليم الصوري : ص ٢٤٥ - ٢٤٧؛ الجستا، ص٤٧؛ فولشر الشارتري ص١١٧-١١٨؛ رانسمان ص٣٠٩.

لقليقية أهمية عند حصار الصليبيين لأنطاكية حيث ستكون أحد المعابر الرئيسة التي تصل منها المؤن لقواتهم المحاصرة لأنطاكية(١٣٠).

ووصل الجيش الصليبي الرئيسي إلى مدينة مرعش في عام١٠٩٧م، وعاد بلدوين للانضمام إلى هذا الجيش وزيارة أخيه الدوق للاطمئنان إلى صحته بعد حادثة الدب الذي جرحه برجله، وقد أظهر بلدوين أثناء لقائه أخاه سخطه على تنكريد وأساء القول في حقه في حضرة كبار القادة، وعارضه كبار القادة على هذا التصرف غير اللائق. كما حملوه مسؤولية النزاع الذي وقع بينهما عند طرسوس، وعندما وجد بلدوين أن الجو العام في غير صالحه وعد بتقديم اعتذار لتنكريد عما بدر منه.

ثم قام بلدوين (أخو الدوق) - بناءً على نصيحة شخص يدعى بقراط - بالزحف بمائتي فارس مع حشد غير قليل من المشاة نحو ديار مضر حيث توجد مدينة الرها التي يتولى حكمها في ذلك الحين الملك ثورس وهو أرمني، وسكان هذه المدينة من المسيحيين الأرمن وقليل من الأغريق، ويبدو أن (بقراط) هذا قد أعد مع بلدوين خطة أشبه ماتكون بقصص الروايات المحبوكة. وتتلخص هذه الخطة في أن يرسل أهل الرها طلبا لبلدوين يستدعونه لتخليصهم من خطر الأتراك المسلمين، ثم يقدم بلدوين للرها في السادس من فبراير ١٠٩٨م، ثم يجبر سكان الرها حاكمهم على تبني بلدوين واقتسام ملكه، ثم يعده ثوروس بتسلم حكم المدينة بعد وفاته، وقبل تمكن بلدوين من تولي أمر الرها تمكن من الاستيلاء على سميساط التي كان يحكمها بلَكَ بن بَهْرَام بن أُرْتق بعد أن دفع مبلغا كبيرا ثمنا للمدينة وقدره عشرة آلاف دينار ذهبا، ثم سار إلى «سَرُوج» التي استسلمت له ودفعت له أتاوة، وبتمكنه من الاستيلاء على سروج فتح الطريق بين أنطاكية والرها، وهذه الإشارة التي يذكرها وليم الصوري توضح لنا أهمية أنطاكية عند الصليبيين أثناء حملتهم الأولى(١٣١).

(١٣٠) رانسمان ص٣٠٩-٣٠٢.

(١٣١) وليم الصوري ص٢٦٤-٢٦٥؛ فولشر الشارتري ص١١٨-١٢٠؛ Anonymous Syriac Chronicle, PP 70 -71.

بعد هذه النجاحات التي حققها بلدوين، أتم بلدوين خطته لتسلم الرها وإقامة أول كونتية صليبية في المشرق، حيث تظاهر بلدوين بأن ثوروس خالف هذا الاتفاق السابق حول اقتسام حكم الرها، فيغضب بلدوين، ويحاول ترك المدينة مع جنده، ثم يترجاه اهل الرها ان لايتركهم فريسة الاتراك، فيثورون على ثوروس، فيطلب ثوروس العون من بلدوين الذي يتظاهر بأنه لن يتخلى عن مسعاه، ثم يصر الثائرون على ثورتهم فيقتلون ثوروس، ويجبرون بلدوين على تولي أمر الرها. وهو ماحدث فعلا حين أحبكت هذه الخطة الفريدة في وقت قياسي ربما لم يتجاوز الشهر، حيث أعلن بلدوين في السابع من مارس ١٠٩٨م قيام أول كونتية صليبية في الشرق، والجدير بالذكر أن هذا تم بينما الصليبيون يحاصرون أنطاكية وتواجههم مصاعب جمة فزاد هذا من إصرارهم على تشديد الحصار على أنطاكية.

ويؤكد المؤرخ السرياني المجهول أن أهالي الرها ثاروا على ملكهم ثوروس ليس حبا بالصليبيين وإنما كرها لتصرفاته البغيضة. وبقيام كونتية الرها دعم هذا الموقف الصليبيين المحاصرين آنذاك لمدينة أنطاكية منذ شهر أكتوبر ١٠٩٧م.

والجدير بالذكر أنه لايحق لبلدوين إقامة هذه الكونتية لأنها أصلا تابعة للامبراطور البيزنطي الذي يعتبر سيدا لكل قادة الصليبيين بمن فيهم بلدوين، وسيعطي هذا الإجراء تبريرا للصليبيين الذين كانوا يحاولون آنذاك السيطرة على أنطاكية ليقيموا لهم إمارة مستقلة عن البيزنطيين، وهو ماسيكون طموح بوهيموند كونت تارنتو.

ثم زحف الجيش الصليبي الرئيس نحو مرعش التي كان غالب أهلها نصارى حيث تعاونوا مع الجيش الصليبي، وتآمروا على المدافعين عن المدينة من الأتراك الذين تحصنوا في قلعتها، ولكنهم فروا منها عندما علموا بضخامة الجيش الصليبي القادم إليهم، وهكذا سقطت مدينة جديدة من إقليم الثغور الجزرية بيد الصليبيين.

والجدير بالذكر أن هذه المنطقة كانت تضم ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث والهارونية والكنيسة وعين زربة إضافة الى مرعش.

إن حرية النصارى المحليين في بلاد المسلمين أصبحت ظاهرة [illegible] نستغرب معاملة ياغي سيان صاحب أنطاكية لهم بحذر عندما ستحاصر القوات الصليبية عاصمته أنطاكية

خامساً: ياغي سيان والحملة الصليبية الأولى

الصليبيون يستولون على أرتاح :

ثم زحفت الجيوش الصليبية نحو «أرتاح»، وهي مدينة تقع في أرض خصبة تابعة لحاكم أنطاكية ياغي سيان، حيث قام ألف فارس من الصليبيين يقودهم روبرت كونت فلاندرز بفرض الحصار على هذه المدينة، وقام أرمن أرتاح بالتآمر على الأتراك المدافعين عن المدينة وانضموا للصليبيين، وفتحوا لهم أبواب المدينة. وعندما وصلت أخبار سقوط أرتاح لياغي سيان، أرسل قوة من أنطاكية - الواقعة على بعد خمسة عشر ميلا من أرتاح - لإعادة المدينة لسيادته. ويذكر وليم الصوري أن تلك القوة كان قوامها عشرة آلاف، ويبدو أن هذا التقدير كبير نظرا لأن أنطاكية بجميع ماتملك من قوة لم تزدْ قواتها - وفقا لتقدير ستيفن كونت بُلوا - على حوالي خمسة آلاف، ويبدو أن قوات أنطاكية جميعها كانت آنذاك حوالي ثمانية آلاف، منهم أربعة آلاف فارس، فكيف يمكنها إرسال أغلب قواتها لاستعادة «أرتاح»، فلايعقل أن يرسل ياغي سيان أغلب قواته ويترك عاصمته تقريبا خالية من المدافعين وهي المرشحة الأولى لفرض الحصار عليها من قبل القوات الصليبية الرئيسية، والتي تقدر بأكثر من مائتي ألف مقاتل. إن ظاهرة المبالغة في تقدير قوة المسلمين ظاهرة يتميز بها كثيراً المؤرخ الصليبي وليم الصوري رغم أن سفْرَه الذي كتبه عن الحروب الصليبية المعروف بـ«الأعمال المنجزة فيما وراء البحار» به مميزات كثيرة كدقة التفاصيل التي يذكرها وشرحه للحوادث وتحليلها تحليلا دقيقا، بل إنه كثيرا مايتحدث عن مشاعر كثير من الناس المشاركين في صنع الأحداث وكثيرا مايوفق في ذلك إلا أن المبالغة في

هذا الأمر تعتبر خللا واضحا عند هذا المؤرخ، ولكن يمكن للباحث أن يكتشف هذه المبالغة (١٣٢).

وحاولت قوات أنطاكية إغراء القوات الصليبية التي استولت على أرتاح بالخروج لملاقاتها خارج المدينة، وفعلا تمكنت من ذلك إلا أن الصليبيين اكتشفوا [illegible] الخطة فعادوا [illegible] المدينة خوفا من كمائن أعدتها لها القوات [illegible]، وعندما فشلت هذه الخطة، فرضت قوات أنطاكية الحصار على المدينة حتى وصلتها أنباء قدوم نجدة صليبية قوامها خمسة عشر ألف مقاتل متجهة لأرتاح، كما علموا أن الجيش الرئيسي توجه لفرض الحصار على أنطاكية، لذا انسحبت هذه القوة الكبيرة لنجدة عاصمتها أنطاكية قبل وصول الصليبيين لها، وتركت جزءا قليلا منها لتقوم بحراسة جسر الحديد الموصل بين أرتاح وأنطاكية (١٣٣).

الزحف نحو أنطاكية :

ووصلت آنذاك طلائع الجيش الصليبي الرئيسي عند أنطاكية عبر ممر بيلين الذي يصل أنطاكية بميناء السويدية عبر بوابة الجسر الواقعة جنوب غربي المدينة، وأقام الصليبيون معسكرا كبيرا قرب المدينة المحاصرة، وهناك أتت القوات الصليبية التي انفصلت عن الجيش الرئيسي كقوات تنكريد الذي أخضع قليقية وكذلك قوات روبرت - كونت فلاندرز - الذي احتل أرتاح، ولم يتخلف عنهم إلا بلدوين - كونت بويون - الذي وطد حكمه في الرها ومعه قوات قليلة، وهناك أصدر قادة الحملة من جديد أمرا بمنع انفصال أي قائد بقواته إلا بأمر من القيادة المشتركة، ويبدو

(١٣٢) وليم الصوري : ص٢٦٥-٢٦٧؛ الجستا ص٥٠-٥١؛ John France P 224 . نقلت تقدير المؤرخ الصليبي ستيفن صاحب بلوا لجيش أنطاكية بواسطة كتاب جون فرانس، الذي يقدرها بخمسة آلاف مقاتل.

(١٣٣) وليم الصوري : ص٢٦٧-٢٦٨؛ الجستا ص٥١.

أن تأكيد هذا الأمر من جديد يرجع لعدم التزام بعض القادة به كبلدوين وتنكريد، حيث أدى انفصالهما إلى وقوع تنافس كاد يوقع خلافا مبكرا بين القادة الصليبيين وربما هدد مصير الحملة، إلا أن الخلاف حل مؤقتا سلميا. وهنا نؤكد أن اجتماع جميع [illegible] عند [illegible] أنطاكية يفيد أن الصليبيين يعلمون جيدا مدى أهمية أنطاكية لهم وكذلك حصانة المدينة وكونها مؤهلة لأن تقف عقبة كبيرة أمام المشروع الصليبي الكبير، وسيثبت سير الأحداث أن هذه المدينة بحاكمها وقواتها ستقف هذا الموقف المشرف للمسلمين أمام حملة عاتية قوامها ثلاثمائة ألف مقاتل لم يعرف التاريخ الإسلامي حملة في مثل حجمها (١٣٤).

إعاقة تقدم الصليبيين نحو أنطاكية :

وسلك الجيش الصليبي أقصر الطرق إلى أنطاكية فاعترضهم جسر الحديد الحصين الواقع شمال شرق المدينة عند نهر العاصي، وقد بُني هذا الجسر عندمخاضات النهر ليرمي منه المدافعون عن المدينة كل من يحاول من الأعداء عبور النهر عند محاولته الاستيلاء على المدينة حيث احتشد في كلا برجيه مائة من مقاتلي أنطاكية أرسلهم ياغي سيان ليوقفوا تقدم الصليبيين. وبالرغم من قلة عدد هؤلاء المقاتلين في كلا البرجين فإن حصانة الجسر المبني من الحجر الصلد أعطته مناعة وحصانة كبيرتين، كما أن براعة الرماة بالنشاب فيه زادت من خطورته على الصليبيين، لذا عزم الصليبيون على الاستيلاء على هذا الجسر الذي عرف باسم «الجسر الحصين» نظرا لحصانته.

وأرسل ياغي سيان - في تلك الأثناء - قوة قوامها سبعمائة فارس لترابط عند المخاضات وتمنع الصليبيين من عبور نهر العاصي لحصار المدينة، بينما أرسل قواد

(١٣٤) وليم الصوري : ص٢٦٨.

الحملة الصليبية في الحال روبرت كونت نورماندي بقوات تقدر بألفي مقاتل للاستيلاء على هذا الجسر الحصين. وقد تمكن روبرت من الاستيلاء على هذا الجسر بجهد كبير بعد وصول قوة إضافية لمساعدته، فاضطر المدافعون عن الجسر إلى الفرار، [illegible] بعد ميل واحد من أسوار المدينة (١٣٥). وبسقوط الجسر الحديد تمكن الصليبيون من التحكم بالطريق الواصل بين حلب وأنطاكية. ويذكر فولشر الشارتري أن قوات أنطاكية هذه – التي قوامها سبعمائة فارس – قتلت جميعا، وهذا مستبعد، ذلك أن فرسان أنطاكية سيكون لهم مواقف تثبت أنهم مازالوا يملكون قوة ليست قليلة (١٣٦).

أهمية أنطاكية وحصانتها :

تحدثت في مقدمة البحث عن أهمية أنطاكية، وقد ذكرت من بين أمور أخرى أهمية هذه المدينة من الناحية الاستراتيجية لكونها محصنة حصانة كبيرة تفوقت بها على غيرها من مدن بلاد الشام، إلا أنني هنا أحاول أن أسترجع بعض المعلومات – التي ذكرتها في المقدمة – باختصار شديد، فالمدينة تقع في إقليم العواصم في شمال غرب بلاد الشام، وتمتد في واد فسيح وخصب، وقد منحها الله نهر العاصي وروافد نهرية يمر بعضها داخل المدينة نفسها فيروي أراضيها، ويبلغ طول هذا الوادي الذي تقع فيه المدينة حوالي أربعين ميلا أما عرضه فيبلغ حوالي ستة أميال، ويقع شمال المدينة بحيرة تدعى بحيرة أنطاكية وهي بحيرة حلوة لأنها تكونت نتيجة تجمع مياه روافد أنهار أهمها نهر العاصي (الأرنط)، وتقع شمال المدينة هضبة تعرف بالجبل الأسود تكثر بها الينابيع والمراعي والغابات، ويمثل نهر العاصي مانعاً طبيعياً يحد

(١٣٥) وليم الصوري : ص٢٦٩-٢٧٠؛ John France P 206-208, Anonymous Sytiac Chronicle, P 76.

(١٣٦) فولشر الشارتري، ص ١٢٣؛ وليم الصوري : ص٢٧٠-٢٧١.

المدينة من الشمال، كما تشكل مجموعة الجبال حول المدينة من جهة الجنوب وكذلك الجنوب الشرقي والجنوب الغربي حصانة طبيعية للمدينة، كما يقع جنوب وجنوب شرق المدينة جبل سيليبوس «حبيب النجار» وهو شديد الارتفاع ويقسم إلى قسمين [illegible] ويقع على هذا الجبل [illegible] أنطاكية الشديدة الحصانة إضافة إلى حصانة الجبل الذى تقوم عليه القلعة، و يحيط بالمدينة سور عال يسير مع الجبال والمنحدرات والسهل وهو مبني من الحجر، ويعلو سور المدينة أبراج كثيرة تزيد على مائة وستين برجا، وضاقت المسافات بين الأبراج بحيث أصبح من السهولة رمي المهاجمين على المدينة بسهام عن قرب، ويسير مجرى نهر العاصي مع سور المدينة من جهة الشمال والغرب أما طول المدينة فيبلغ حوالي ثلاثة أميال. وتبعد أنطاكية عن ساحل البحر مسافة اثني عشر ميلا حيث يوجد ميناؤها المعروف بالسويدية، وهذا الميناء أفضل ميناء لأنطاكية نظرا لقربه منها وسهولة طريقه. وكان يحكم المدينة آنذاك ياغي سيان بن محمد التركماني منذ عام ٤٧٧هـ إضافة إلى إقليم يقع حول المدينة يدخل في ضمنه مدينة أرتاح وحصن بغراس، ويبدو أن ياغي سيان فقد معرة النعمان التي استولى عليها قبل وصول الصليبيين، فقد قام سقمان بن أرتق – صاحب بيت المقدس – بالاستيلاء على المدينة من ياغي سيان بأمر من الملك رضوان صاحب حلب كماسبق ذكره (١٣٧).

الصليبيون يحاصرون أنطاكية:

فرض الصليبيون حصارهم على أنطاكية في الثامن عشر من أكتوبر ١٠٩٧م، وبالرغم من ضخامة القوات الصليبية التي تقدر بثلاثمائة ألف شخص بمن فيهم غير المقاتلين، فإنهم لم يحكموا حصارهم على المدينة نظراً لعظم مساحة المدينة والمناعة

---

(١٣٧) وليم الصوري : ص٢٧١-٢٧٧؛ فولشر الشارتري ص ١٢١، ستيفن رانسمان ص٣٢٥.

الطبيعية التي تتمتع بها حيث تحيطها قمم جبال شاهقة في الشرق والشمال الشرقي وأهم هذه القمم قمة جبل سيليبوس حيث استخدمها أهالي أنطاكية لمراقبة القوات الصليبية المحاصرة لمدينتهم. كما أن للمدينة أسواراً عالية وحصينة تحيطها من جميع [illegible]
[illegible]
انحدارها، وكان يمر من هذه المنطقة طريقان رئيسيان أحدهما يتجه نحو السويدية والآخر يتجه نحو الاسكندرونة وهما ميناءان رئيسيان لأنطاكية. وقد سمح هذا الوضع لقوات ياغي سيان بفرصة شن هجمات خاطفة على المعونات الصليبية القادمة من هذين الميناءين، وهكذا تركز حصار القوات الصليبية جهة الغرب والشمال الغربي حتى بوابة الجسر الواقعة جنوب غرب المدينة. والجدير بالذكر أن سور المدينة يكاد يلاصق نهر العاصي في المنطقة الواقعة جنوب بوابة الجسر حتى وادي زوبيا القريب من بوابة القديس جورج، لذا لم يكن هناك مجال لفرض حصار من هذه المنطقة.

وعندما بدأ الحصار لم يظهر أهل أنطاكية جزعهم من ضخامة جيوش أعدائهم ولزموا الهدوء لمدة أسبوعين - وفقا لرواية المؤرخ المجهول - حتى ظن الصليبيون أن أهل أنطاكية هجروها على الرغم من أنه كان يتناوب على حراسة أسوار المدينة آنذاك حوالي ستة آلاف حارس ولديها الميرة الكافية من طعام وماشية ويتوافر بها كذلك علف للماشية وللخيول. وربما كان هدف ياغي سيان من عدم إبداء أي مقاومة للصليبيين خلال هذين الأسبوعين أن يتمكن من إرسال جواسيسه ليتعرفوا حجم وتكتيك القوات الصليبية أثناء حصارها لأنطاكية، ولربما ليعطي القوات المسلمة التي استدعاها لنصرة أهل أنطاكية الفرصة للقدوم لنجدتها، فقد أرسل ابنه شمس الدولة لدقاق صاحب دمشق (حليفه التقليدي) كما أرسل ابنه الآخر محمد لطلب العون من أمراء الأناضول وكربوقا والي الموصل، ولايستبعد أن يكون أرسل في طلب العون من مملكة حلب والأمراء المستقلين في بلاد الشام كبني منقذ في شيزر وبني

عمار في طرابلس وبني أرتق في بيت المقدس. والجدير بالذكر أن السمة المميزة لهذه القوى هي التمزق والتفكك (١٣٨).

تحصينات المدينة وتوزيع القوات الصليبية :

كان يوجد شمال غربي أنطاكية البوابة الشمالية التي عرفت - فيما بعد - ببوابة بولس نسبة لدير عرف بهذا الاسم قرب هذه البوابة، ويقابل هذه البوابة جهة الجنوب بوابة القديس جورج نسبة لكنيسة عرفت بهذا الموضع، وهذه البوابة تتحكم بالطريق المتجه إلى ميناء اللاذقية. أما في الجهة الغربية فكلن يوجد ثلاث بوابات تطل جميعها على نهر العاصي، وهي من الشمال إلى الجنوب مرتبة كما يلي :

البوابة العليا تعرف بباب «الكلب» حيث يوجد مقابلها مباشرة جسر فوق نهر العاصي يصل حتى سور المدينة، أما البوابة الثانية فهي البوابة الغربية التي عرفت فيما بعد بباب الدوق نسبة للدوق جودفروي القائد الرئيسي في الحملة الصليبية الأولى. ثم يأتي الباب الثالث الذي عرف بباب الجسر نسبة لوجود جسر يعلو نهر العاصي عنده، وهذه البوابة تتحكم بالطريق المتجه لميناء السويدية وكذلك الطريق المتجه إلى ميناء الاسكندرونة وكانت هذه البوابة أهم موضع مرشح يمكن أن يشن منه المهاجمون هجومهم الرئيسي في حالة محاولة السيطرة على المدينة. ولما كان من الصعوبة بمكان على الجيوش الصليبية فرض الحصار عند البوابتين الأخريين إلا بعبور نهر العاصي، لذا لم يفرضوا الحصار عليها آنذاك، فقد حاصر هذه المنطقة بوهيموند بقواته - التي يقدرها المؤرخ المجهول بأربعة آلاف فارس - ومن انضم معه من القوات الجهة الشمالية. ثم حاصرت قوات روبرت (دوق نوماندي)، روبرت

(١٣٨) وليم الصوري : ص٢٨١-٢٨٢؛ المؤرخ المجهول صاحب الجستا، ص٤٩-٥٠، John France P. 199, 226.

كونت فلاندرز، ستيفن كونت بلوا وهيو الصغير إضافة إلى قوات فرنجية وبريطانية الجهة الممتدة من جنوب قوات بوهيموند حتى نهر الكلب (عند بوابة الكلب)، بينما أحدقت قوات ريمون (كونت تولوز) وأسقف بوي إضافة إلى قوات كثيفة من [illegible] حتى باب الدوق، كما قامت قوات الدوق جودفري إضافة إلى قوات أخيه «أستاس» و «بلدوين» صاحب هينولت و «رينارل» صاحب «تول» و "كونون» صاحب مونتاج وقوات من اللوثارنجيين والفريزيين والسوابيين والسكسون والفرنجة والبافاريين بقيادة الدوق نفسه بمحاصرة المنطقة من باب الدوق حتى باب الجسر.

ويورد المؤرخ الصليبي وليم الصوري صورة لمدى تخوف أهل أنطاكية من كثرة الجيوش المحاصرة ويقول إنه تملكهم خوف شديد على أنفسهم ونسائهم وأطفالهم، وتمنوا لو أنهم قد ماتوا قبل أن يروا حصار مدينتهم هذا. والجدير بالذكر أن القوات الصليبية تلك يقدر مجموعها بسبعين ألف فارس وهو نفس حجم جميع القوات السلجوقية من الفرسان، بينما ستحشد الدولة الفاطمية قوة بقيادة الوزير الأفضل لمواجهة الصليبيين عند عسقلان لم تزد على خمسة عشر ألف فارس فقط، وهذه القوة أقصى مااستطاعت أن تقدمه دولة كبيرة كالدولة الفاطمية. ويعطي وليم الصوري تفصيلات كثيرة عن حصار أنطاكية لاتتوافر عند غيره من المؤرخين الصليبيين المعاصرين، وسواء أكان هذا الوصف صحيحا أم لا، فإن هذا المؤرخ يذكر حقيقة وهي ضخامة القوات الصليبية المحاصرة لأنطاكية. ويشير هذا المؤرخ إلى أن القوات الصليبية كان تعدادها يناهز ثلاثمائة ألف مقاتل، منهم مائة ألف فارس، ولكنه يستدرك على ذلك فيقول «وعلى الرغم مما قيل من أن القوات الصليبية التي كانت تحسن استعمال السيف ثلاثمائة ألف شخص ليس بينهم امرأة ولاطفل...»، إن قوله «قيل» تفيد عدم تيقنه من هذا العدد، ويبدو أن قوات أنطاكية كانت حوالي ثمانية آلاف، بينما يقدرها المؤرخ الصليبي ريمون الأجويلري بحوالي عشرة آلاف

منها ستة آلاف فارس والبقية مشاة. ويبدو أن أكثر من نصف قوات أنطاكية أتت لنجدتها قبل فرض الحصار عليها.

ويذكر أحد المؤرخين المحدثين وهو رنسيمان أن القائد الصليبي ريمون - كونت تولوز - نصح القادة الصليبيين بالقيام بهجوم شامل للاستيلاء على انطاكيه، ولكن بقية القادة رفضوا ذلك خوفاً من تقديم خسائر كبيرة، كما أنهم توقعوا قدوم قوات صليبية جديدة لدعمهم عند بداية الهجوم الشامل على المدينة، ويبدو أن عدم إحكام الصليبيين الحصار على أنطاكية هو عامل مهم لعدم مبادرتهم بهذا الهجوم. وقد كان هذا التأخير كما يرى رنسيمان فرصة لياغي سيان ليستعيد الثقة بإمكاناته ويبدأ بمقاومة القوات المحاصرة.

مشكلة تموين الجيوش الصليبية :

قام الامبراطور البيزنطي بجهود كبيرة لتوفير التموين للقوات الصليبية المحاصرة لأنطاكية، وقد حاول المؤرخون الصليبيون التقليل من أهمية جهود الامبراطور البيزنطي نظرا لعدائهم الذي يكنونه له، فقد زعموا أن كثيرا من هذه المساعدات كانت تأتيهم من غير الدولة البيزنطية. فتارة يزعمون أن هذه المساعدات قادمة من الرها من قبل حاكمها الصليبي بلدوين وتارة من الأرمن، كما قدمت مساعدات بحرية للصليبيين من قبل قبرص البيزنطية وانجلترا عبر ميناء السويدية. فقد كان للمندوب البابوي أديمار دور رئيسي في إجراء اتصالات مع بطريرك القدس سمعان الذي كان آنذاك ملتجئاً إلى قبرص، ويبدو أن البطريرك سمعان كانت له علاقات جيدة مع حاكم قبرص الذي قدم مساعدة سخية للصليبيين المحاصرين لأنطاكية، وكانت هذه المساعدات تأتي عبر ميناء السويدية الذي يبعد حوالي سبعة وعشرين كيلومتراً من أنطاكية، ويعرف هذا الطريق بالبوابات السورية أو ممر بيلين وكان معرضا لهجمات جند ياغي سيان في أية لحظة نظرا لأنه يمر ببوابة الجسر،

وهكذا نجح ياغي سيان - بالرغم من المصاعب الجمة التي كانت تواجهه - في أن يعيق وصول هذه الإمدادات للصليبيين المحاصرين لعاصمته. وهناك قنوات أخرى يمكن أن تصل عن طريقها الإمدادات للصليبيين المحاصرين لأنطاكية وهى موانئ إقليم قيليقية [illegible] بعيدة عن أنطاكية كما [illegible] أن موانئ قيليقية لم [illegible] بأيدي الصليبيين قبل الاستيلاء على أنطاكية، أما القناة الثانية ففي ميناء الاسكندرونة الذي يبعد حوالي ستين كيلو مترا عن أنطاكية ويصعب المسير فيه، والطريق الثالث هو عبر اللاذقية ويبعد حوالي ثمانين كيلومترا عن أنطاكية كما أنه ليس قريبا من ناحية قبرص وهي المصدر الرئيسي لدعم الصليبيين أثناء حصارهم لأنطاكية.

وكانت المشكلة الرئيسية للجيش المحاصر هي توفير علف لخيولهم التي تقدر بسبعين ألف فرس وكذلك توفير الميرة لهم بأعدادهم الكبيرة، خاصة أن ياغي سيان كان قد قام - كما أشرت - بحرق كثير من المناطق حول أنطاكية ليحرم الصليبيين من استغلال هذه المناطق. وقد اعتادت جماعات من جيش الدوق جودفروي عبور نهر العاصي قرب بوابة الدوق - الواقعة غرب المدينة - سباحة والقيام بهجمات بهدف السلب، ثم العودة بغنيمة، واكتشف المدافعون عن المدينة هذه الهجمات الخاطفة، لذا قرر ياغي سيان قطع هذه العمليات وذلك بشن هجمات مضادة ضد هؤلاء الصليبيين عند عبورهم نهر العاصي فيصبح من الصعوبة عليهم العودة إلى معسكرهم إلا سباحة وهناك تتخطفهم سهام المدافعين.

الصليبيون يبنون جسراً من قوارب :

ونظراً لهذا التكتيك الذي قام به ياغي سيان، قرر قادة الصليبيين - أواخر شهر نوفمبر وبداية ديسمبر عام ١٠٩٧م - بناء جسر عند ذلك الموضع الذي اعتادوا عبوره للسلب. وتم بناء هذا الجسر فعلا بواسطة ربط القوارب الموجودة في النهر التابعة للمسلمين بالحبال ثم بسط أخشاب عليها يستطيع مجموعة من الناس دفعة

واحدة العبور عليها، وقد نجحت خطة الصليبيين هذه في وقف الهجمات المضادة من أهالي أنطاكية ضد جماعاتهم المتخصصة بالنهب. ويذكر رنسيمان أن هذا الجسر مكن الصليبيين المحاصرين لأنطاكية من السيطرة على الطريق المؤدى إلى مناءي [illegible] والسويدية.

خسائر كبيرة لجياد الصليبيين وحرق منجنيقهم :

كما قام ياغي سيان بشن غارات مفاجئة مماثلة على الصليبيين المحاصرين بوابة الكلب حيث كانت هذه الغارات تشن عبر جسر صخري مقام على النهر عند تلك البوابة، والغريب في أمر هذه الغارات أنها كانت تأتي أحيانا في المساء وأحيانا أخرى في وضح النهار حيث يقوم المدافعون برشق جنود الصليبيين وخيولهم بسهام كأنها مطر شديد فتصيب أعداءهم بغتة. وقد أحدثت هذه الهجمات خسائر كبيرة في جياد الصليبيين، ويبدو أن خسائر جيوش ريمون - كونت تولوز - وأديمار أسقف بوي وغيرهم من المتحصنين كانت أكثر من غيرهم من الجيوش الأخرى وذلك لسهولة القيام بهذه الهجمات من قبل أهالي أنطاكية وعودتهم سالمين للمدينة عبر هذا الجسر الحصين الذي عرف «بالجسر الصخري» لبنائه من الصخر الصلد. وقام الصليبيون بشن هجوم كبير على هذا الجسر بعد بنائهم منجنيقاً كبيراً قرب هذا الجسر، ولم يكن أمر بناء هذا المنجنيق الضخم غائباً عن ياغي سيان، لذا قرر القيام بهجوم خاطف لحرق هذا المنجنيق حيث اندفع المدافعون المسلمون عبر بوابة «الكلب» وعبروا الجسر الصخري فقاتلوا الحراس الصليبيين الذين أوكل إليهم حراسة هذا المنجنيق الكبير، فتمكنوا من زحزحة هؤلاء الحراس وأحرقوا هذا المنجنيق الضخم الذي يمثل خطراً كبيراً على استحكامات أنطاكية. ثم قام الصليبيون صباح اليوم التالي بهجوم جديد ليكسبوا نصراً يخفف من إخفاقهم في الأمس حيث نصبوا ثلاث آلات من المنجنيق وأخذوا يصبون قذائفهم صبا نحو سور المدينة عند تلك الناحية، إلا أن هذه الهجمات المتواصلة لم توقف هجمات المدافعين الخاطفة على أعدائهم، وأخيراً

توصل الصليبيون إلى خطة لوقف هجمات أهالي أنطاكية حيث قاموا بوضع أحجار وأشجار كبيرة جداً يصعب حملها بواسطة مائة شخص دفعة واحدة ثم دحرجوها جهة هذا الجسر ليمنعوا بواسطتها هجمات المدافعين من تلك الجهة، وقد قام بهذا العمل ألف فارس مدرعين وبحراسة بقية الجيش المرابط في تلك الجهة، ونجحت هذه الخطة في وقف هجمات المدافعين من قبل تلك الجهة (١٣٩).

ياغي سيان يستنزف الصليبيين ونصر كبير للمسلمين :

ركز ياغي سيان جهده نحو استنزاف القوات الصليبية المحاصرة ليضطرها إلى فك الحصار عن مدينته وذلك بمباغتة المجموعات الصليبية التي كانت تخرج للنهب ثم تعود محملة بالأسلاب من جميع الأصناف، وقد اعتادت هذه المجموعات أن تخرج بأعداد تقدر بمابين مائتين إلى ثلاثمائة. وفي أحد الأيام راقبت قوات أنطاكية قوة صليبية تقدر بثلاثمائة فارس عدا المشاة عائدة من حملة سلب ناجحة حيث باغتتهم هذه القوات عند عودتهم وهم يعبرون الجسر الصخري عند بوابة الجسر حيث سقط أكثرهم صرعى وفر الآخرون نحو جسر القوارب لعبوره فسقط أكثر الهاربين غرقى في النهر لشدة الزحام على الجسر. وهنا هب آلاف من فرسان الصليبيين للثأر لإخوانهم من قوات أنطاكية تلك، وفي الحال هب مسلمو أنطاكية لنصرة إخوانهم المهاجمين، ونشب قتال شديد كتب الله به النصر لأهل أنطاكية ووقع كثير من مشاة الصليبيين قتلى وابتلع النهر كثيراً ممن حاول الفرار سباحة، كما سقط كثير من فرسان الصليبيين الذين فروا وتزاحموا على جسر القوارب في النهر فماتوا غرقاً كإخوانهم الذين سقطوا قبلهم. وقد شكلت هذه المعركة إحباطا كبيرا للقوات

---

(١٣٩) وليم الصوري : ص٢٨٢-٢٨٨؛ فولشر الشارتري ص ١٢٢-١٢٣؛ صاحب الجستا ص٤٩؛ رانسمان ص ٣٢٦-٣٢٧؛ John France P 200-202 ؛ ريموندا جيل، ص٨٦. يقدر ريمون الأجويلري قوات الصليبيين المحاصرة لأنطاكية بمائة ألف مقاتل.

الصليبية حيث أوهنت من عزيمتهم وجعلتهم أكثر خوفا على مغادرة معسكرهم لجمع الأسلاب. ومن جهة أخرى زاد هذا النصر من جرأة المدافعين عن أنطاكية فأخذوا يرسلون كمائن أكثر لتصيد القوات الصليبية المنعزلة عن القوات الرئيسية، بل [illegible] أنباء عن قرب وصول قوات مسلمة ضخمة لنجدة أنطاكية ففتّ هذا من عزيمة الصليبيين [illegible] أن غدت القوات الصليبية المحاصرة أسوأ حالاً من قوات أنطاكية المدافعة، بل إن وليم الصوري يخبرنا أنه لوحاول ذكر الأهوال التي واجهها الصليبيون عند حصارهم لأنطاكية لما تمكن من ذلك نظراً لمحاولته أن يخرج كتابه المعروف بـ «الأعمال المنجزة فيما وراء البحار» بصورة موجزة مع أنه أخرجه فعليا في سفر كبير(١٤٠).

الصليبيون يعانون المجاعة :

وآتت سياسة ياغي سيان الاستنزافية ثمارها حيث عانى الصليبيون - في الشهر الثالث من الحصار - قلة الطعام والعلف. وتجدر الإشارة هنا إلى أن خيول الصليبيين - في تلك الفترة التاريخية - تميزت بعظم حجمها وكانت تحتاج إلى كميات كبيرة من العلف إذا ماقورنت بخيول المسلمين الأتراك التي تميزت بصغر حجمها ولاتحتاج إلى علف كثير. لذا نرى أن أكبر مشكلة واجهت الصليبيين المحاصرين لأنطاكية - في شهر ديسمبر ١٠٩٧م - هي توفير علف لخيولهم التي تقدر بحوالي سبعين ألف فرس. وإذا علمنا أن كل فرس يحتاج يوميا إلى حوالي أربعة وعشرين رطلاً انجليزياً من التبن، فيُحتاج لإطعام ٧٠ ألف فرس إلى حوالي ستة ملايين رطل يومياً، ويرجع ريمون الأجويلري نقص الطعام والعلف إلى إسراف الصليبيين وعدم اقتصادهم في استخدام هذه الأطعمة والأعلاف، فإذا كان هدف حرب الحصون في العصور

---

(١٤٠) وليم الصوري : ص ٢٨٩-٢٩١.

الوسطى هو تجويع المدافعين حتى يجبروا على الاستسلام، فإن سياسة ياغي سيان الاستنزافية تلك قلبت هذا الأمر فأصبح تجويع المهاجمين هو عامل مهم لإضعافهم وليس تجويع المدافعين.

ومن دون شك فإن كثرة الجيوش الصليبية هي عامل رئيسي في زيادة معاناتهم لكن يبدو أن هجمات أهل أنطاكية المتكررة على حملاتهم التي كانت تستهدف النهب كانت عاملاً مهماً في هذا المجال، وقد كان الطريق من أنطاكية إلى حلب أرضاً عامرة كما يصفها ابن العديم نقلا عن غرس النعمة محمد بن هلال في كتاب «الربيع»، وكان ذلك عام ٤٤٠هـ أي قبل الحملة الصليبية تلك بحوالي خمسين سنة، وقد أوضحت سابقاً أن ياغي سيان قام بحرق الأراضي الواقعة حول أنطاكية وتجريدها من كل شيء قد يستفيد منه الصليبيون. لذا لم يتوافر لجيوشهم مؤونة كافية، حتى إن صاحب «الجستا» يذكر أن الجيوش الصليبية كانت تنهب أراضي النصارى المقيمين حول أنطاكية. ومع مرور الوقت أخذت المجاعة تكشف عن أنيابها وارتفعت أسعار الأطعمة بشكل كبير حتى بلغ سعر الخبزة الواحدة شلنين وسعر البقرة ماركين من الذهب بعد أن كانت بخمسة شلنات، وارتفع سعر علف الحصان ليوم واحد لثمانية شلنات، ووفقا لرواية صاحب «الجستا» فإن أكثر أطعمة الصليبيين آنذاك كانت تأتيهم عن طريق الأرمن الذين كانوا يبيعونها بأسعار مرتفعة، فمات من هذه المجاعة - وفقاً لرواية وليم الصوري - عامة خيولهم البالغ عددها سبعين ألفاً ولم يتبق سوى ألفين، ويبدو أن أغلب خيول الصليبيين ماتت بسبب المجاعة وتبقى حوالي عشرين ألفا، وهو العدد نفسه الذي سيرسل بعد ثلاثة أشهر من بدء الحصار بقيادة بعض القادة الصليبيين لسلب مناطق مسلمة، وهذه من دون شك تعتبر كارثة كبيرة للجيش الصليبي، حيث يعتبر الخيل آنذاك السلاح الرئيسي في الحروب.(١٤١)

(١٤١) وليم الصوري : ص٢٩١-٢٩٣؛ فولشر الشارتري ص١٢٣؛ صاحب الجستا ٥١, ٥٥, ٥٦؛ John France P 242؛ يذكر صاحب الجستا أن ماتبقى من خيول الصليبيين آنذاك كان ألف فرس فقط؛ رانسمان ص٣٣٢؛ Anna Comnena؛ ابن العديم : «البغية» الجزء الأول ص ٨٥؛ ريموندا جيل، ص٨٦.

كوارث تفتك بالصليبيين :

وكان من تقدير الله أن سلط البرد الشديد على الصليبيين فمات كثير منهم من [illegible] وكانت الأمطار [illegible] الصليبيين. فقد عرفت عن أنطاكية كثرة أمطارها، فهطلت الأمطار على الصليبيين، فكانت محنة [illegible] حيث أفسدت رطوبة الأمطار الكثير من أطعمتهم، ثم تفشى وباء الطاعون فأفزع الصليبيين حتى هرب بعضهم إلى الرها وكذلك إلى إقليم قليقية الذي يقطنه غالبية أرمنية، وهرب آخرون إلى جهات أخرى، وربما عاد بعضهم لبلادهم في أوروبا اللاتينية. ووفقاً لرواية وليم الصوري، فقد قضت هذه الكوارث مجتمعة على نصف الجيش الصليبي.

قوات أنطاكية تحقق نصراً على القوات الصليبية المحاصرة :

وبينما كانت تلك الخطوات تعصف بالجيوش الصليبية أثناء الشهر الثالث لحصارها أنطاكية اجتمع قادتهم وقرروا إرسال جيش كبير من الفرسان والمشاة يقودهم بوهيموند وروبرت كونت فلاندرز. ويقدر المؤرخ الصليبي المجهول صاحب كتاب «الجستا» عدد الجيش الصليبي هذا بعشرين ألف مقاتل من خيرة فرسان الصليبيين، واستهدف الصليبيون من إرسال هذا الجيش الكبير القيام بسلب مناطق بعيدة نوعاً ما عن أنطاكية وذلك لندرة الطعام والعلف كما أسلفنا، حتى إن فولشر الشارتري يذكر أن هذه القوات سلبت مناطق بعيدة عن المعسكر الصليبي مسافة تقدر بأربعة وخمسين ميلاً، ووفقاً لرواية ريمون الأجويلري فإن استخبارات ياغي سيان أخبرته بخبر رحيل هذا الجيش لتلك المهمة، كما أن استخباراته أعلمته باشتداد مرض الدوق جودفروي أشهر قادة الجيوش الصليبية، وأخبرته أيضا عن مغادرة كونت نورماندي مع قواته المعسكر الصليبي في مهمة يبدو أنها غير رسمية لأنه لم

يحصل على موافقة قيادة الجيش الصليبي. لذا قرر ياغي سيان شن هجوم في التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٠٩٧م على القوات الصليبية المحاصرة لعاصمته، ويبدو أن هذا الهجوم تركز من جهة جسر بوابة الكلب الواقعة شمال غربي المدينة، إلا أن هذا الهجوم أحبط من قبل قوات ريمون - كونت تولوز - المتمركزة عند بوابة الكلب. ومن جهة ثانية سنحت فرصة غير متوقعة لمواطني أنطاكية عندما عثر جواد تابع للقوات الصليبية فسقط في النهر، فرجع جماعة من فرسانهم لنجدته فظن مشاتهم أن ذلك الجيش لحقت به هزيمة ففروا خوفا، فانهزم البقية يتدافعون على الجسر الصخري حتى بلغوا جسر المراكب فتزاحموا عليه فهلك جزء منهم غرقا. وقتل البعض الآخر بسيوف أهل أنطاكية ونجا بعض السباحين الأقوياء، فكان نصرا غير متوقع حققه المسلمون على أعدائهم[١٤٢].

ويذكر ريمون الأجويلري أنه كان من بين القتلى في هذه المعركة حامل لواء المندوب البابوي المدعو أديمار. ويذكر أن الصليبيين فقدوا في هذه المعركة خمسة وثلاثين مقاتلاً.

قوات دمشق تقدم نجدة لأنطاكية :

وقد حققت حملة بوهيموند وروبرت كونت فلاندرز، والتي اتجهت - كما أشرنا سابقا - من وادي نهر العاصي إلى جنوب مدينة حماة نصراً على قوات استطلاع مسلمة. حيث قتلت منهم مائة ولاذ بقية الجيش الإسلامي بالفرار. ثم انتصرت على قوات إسلامية أخرى أكبر عددا من الأولى قدرها ريمون الأجويلري

---

(١٤٢) وليم الصوري : ص٢٩٤-٢٩٥؛ صاحب الجستا ص٥١-٥٢ : يذكر صاحب الجستا أن القوات المسلحة التي واجهت قوات بوهيموند وكونت فلاندرز لم تكن قوات أنطاكية بل قوات أتت لنجدة أنطاكية من حلب ودمشق وبيت المقدس وغيرها من المناطق؛ ريموندا جيل، ص٨٨.

باثني عشر ألف مقاتل، ولكن الأرجح أن هذه القوة لم تتجاوز خمسة آلاف مقاتل - ويبدو أنها قوات من مملكة دمشق جاءت - مع قوات متطوعة - لتخفف عبء الحصار عن أنطاكية وكان اللقاء - في ديسمبر ١٠٩٧م - في موضع آخر قريب من الموضع الاول على بعد ميلين فقط وهو قرية البارة وحققوا نصراً أكبر من النصر الأول ولكن بعد أن قدموا تضحيات كبيرة وغنموا منهم غنيمة ليست كبيرة ولكنها خففت قليلاً من معاناة الجيش الصليبي المحاصر الذي كان يعاني آنذاك من الحصار أكثر من المحاصرين أنفسهم، وعاد جيش دمشق منسحباً جهة حماة.

وبينما كان الصليبيون فرحين بهذا النصر جاءتهم أخبار محزنة أنستهم فرحة ذاك النصر، إذ وردتهم أخبار تفيد أن «زفين» بن ملك الدنمارك خرج بجيش يقدر بألف وخمسمائة فارس راجل للمشاركة في حصار أنطاكية مع الصليبيين، وعندما بلغ منطقة قرب «فيلوميليام» Philomelium (وهي Akshehir حاليا الواقعة جنوب ضوريليوم) فاجأهم جيش إسلامي ليلاً وهم غافلون وفتك بهم جميعا على الرغم من محاولتهم صد هذا الهجوم الخاطف، ولاتذكر المصادر هوية هذا الجيش الإسلامي. وهكذا زادت هذه الهزيمة أعباء الصليبيين المحاصرين ورفعت من معنويات أهل أنطاكية وحاكمها ياغي سيان (١٤٣).

فرار تاتيكيوس «المندوب البيزنطي» وآثاره السلبية في الصليبيين :

واجهت الصليبيين آنذاك شدة غير متوقعة، وهي انسحاب مندوب الامبراطور البيزنطي «تاتيكيوس» إلى القسطنطينية. والجدير بالذكر أن الامبراطورية البيزنطية استعادت آنذاك من الأتراك الشريط الساحلي الجنوبي بآسيا الصغرى وهي مناطق أيونيا وفريجيا وكذلك مدينة سميرنا (أزمير الحالية)، كما استعادت مناطق داخل

(١٤٣) وليم الصوري، ص٢٩٦-٢٩٨؛ ريموند اجيل، ص٨٩-٩٠؛ رانسمان ص١٣٣.

آسيا الصغرى خاصة مدن ليديا كسرديس وفيلادلفيا ولادوقيا. وهكذا أعاد البيزنطيون سيطرتهم على الطريق المؤدي من بوليبوتس وفيلوميليوم إلى الجنوب حتى أضاليا، ويسير هذا الطريق على امتداد الساحل الجنوبي الشرقي حيث تؤمن القوة البحرية الحماية له، ويتم الاتصال بأمراء الأرمن الذين استقروا في جبال طوروس، وبذلك تم تأمين الطريق الذي سيسلكه الصليبيون في بلاد الشام(١٤٤).

وسواء كانت أسباب انسحاب تاتيكيوس لمحاولته إقناع الامبراطور التعجيل بإرسال حملة كبيرة لدعم الصليبيين المحاصرين لأنطاكية، أو هروبه شخصياً من الموت، أو ربما لعقد تحالف بينه وبين المسلمين لضرب الصليبيين المحاصرين لأنطاكية والإطباق عليهم وهم في حالة الضعف تلك، فإن انسحابه أضعف موقف الصليبيين خاصة أن بقية الجيش البيزنطي - الذي كان يشارك به هذا القائد - فرت بعد انسحاب قائده «تاتيكيوس»، فقد شجع هذا الانسحاب (الفرار) من كان مترددا من الصليبيين إلى الهروب من حصار أنطاكية، وأصبح الهروب أمراً طبيعياً بعد أن كان نادراً. ويذكر صاحب «الجستا» أن الفقراء الذين فروا من الجيش الصليبي اتجهوا نحو قبرص والامبراطورية البيزنطية، كما فر بعضهم نحو الجبال المحيطة بأنطاكية، وتفاقم الأمر حتى حاول بعض قادة الحملة الفرار كبطرس الناسك ووليم النجار، والجدير بالذكر أن بطرس هذا كان أهم داعية للحرب الصليبية كما سبق ذكره، إلا أن بوهيموند قبض عليهما، وتعهدا له بعدم تكرار المحاولة.

إصلاحات لرفع معنويات الصليبيين :

ثم تعاظمت شدة المجاعة وانتشر مرض الطاعون. وهنا شعر قادة الصليبيين أنه لابد من القيام بعمل يعيد للجيش الصليبي عافيته ومعنوياته الضعيفة، فقرروا إجراء إصلاحات وأصدروا قرارات حازمة لمنع الظلم والتعدي على بعضهم بعضا وطالبوا

---

(١٤٤) ستيفن رانسمان ص٢٩١-٢٩٢.

الجيش كله بصيام ثلاثة أيام لتطهير أنفسهم من الآثام كما يذكر وليم الصوري. وتابع قضاة صارمون هذه الأوامر والقرارات، وهكذا استعاد الجيش الصليبي بعض معنوياته العالية التي كانت عليه عند بدء حصاره لأنطاكية في شهر أكتوبر ١٠٩٧م، وفي تلك الاثناء شفي اكبر قادتهم الدوق جودفروي من جرحه الذي أصيب به عندما هاجمه دب في «بيثينيا» كما سبق ذكره. فكان شفاؤه تدعيما لمعنويات الصليبيين التي أخذت تزداد بعد قيامهم بتلك الإجراءات.

ياغي سيان وعلاقته بكل من الأرمن والسريان :

يبدو أن ياغي سيان كان يعلم بالانقسامات الكبيرة القائمة بين قوى الأرمن المتناثرة في منطقة جبال طوروس، ومن بين تلك القوى ثوروس - صاحب الرها - والذي سيستدعي الصليبيين قريبا ثم يتآمرون عليه ويقتلونه ويقيمون لهم أول كونتية في الشرق باسم كونتية الرها بزعامة الكونت بلدوين كونت بولون شقيق جودفروي دوق اللورين الأدنى، وكان أوشين Oschin يحكم قلعة لامبرون Lampron (وتدعى حاليا Namrun وتقع غرب أرمينية) وهو موال للامبراطور البيزنطي، بينما كان قسطنطين بن دويين يملك حصن بارتزبرت قرب سيس Sis ، وكان يحكم تاتول Tatoul في مرعش Marash ، ويحكم قوفازيل Kogh Vasil في رعبان Raban وجبريل يحكم ملطية Melitene ، وكان هؤلاء الأمراء الأرمن يتنافسون فيما بينهم ويتحالفون مع الأتراك ضد بعضهم بعضا، وهذا يؤكد مدى ضعف الترابط بينهم فهم مع ضعفهم وقلة مايملكونه من أراض كانوا مختلفين كثيراً، وكان بعض هؤلاء الأرمن يظهر عداوته للبيزنطيين، بينما يظهر أوشين وده لهم، كما أن جبريل -صاحب ملطية- وثوروس - صاحب الرها- كانا يعترفان بالسلطة البيزنطية عليهما. ويبدو أن هؤلاء الأرمن حاولوا عندما قدمت الحملة الصليبية أن يستغلوها

لصالحهم، فنرى بعضهم يتحالف مع الصليبيين ويعرض التعاون معهم كما فعل ثوروس صاحب الرها، بل سلم كثير منهم مدنهم - التي كانوا يستقلون بها - للصليبين بسرعة، حيث سلم حاكم طرسوس الأرمني مدينته لأحد القادة الصليبين وهو تنكريد في سبتمبر ١٠٦٧م.

إن هذا التحالف الأرمني الصليبي المبكر أوجد دون شك تخوفاً عند القوى المسلمة من إمكانية تحالف رعاياهم الارمن مع الصليبيين لذا لانستبعد اتخاذ هذه القوى المسلمة إجراءات احترازية لتفادي إمكانية إقامة ذلك التحالف، ولايستبعد أن يكون ياغي سيان قد بذل جهدا كبيرا حتى يبعد الأرمن عن التحالف مع الصليبيين، لذا كسب جزءاً منهم إلى جانبه واتخذهم عيونا لقواته على القوات الصليبية المحاصرة لعاصمته أنطاكية. ولم يتجاوز هذا الدعم الأرمني غير التجسس على القوات الصليبية، فلم يقاتل أحد منهم إلى جانب ياغي سيان كما ينسب ذلك لصاحب كتاب الجستا.

واستغل ياغي سيان هذه الانقسامات بين الأرمن فاستعان بهم للتجسس لصالحه، حيث أرسل جواسيس يتقنون عدة لغات، فكان يزعم بعضهم بأنه من الإغريق، وبعضهم الآخر بأنه من السريان، وآخرون أنهم أرمن، ويصرح المؤرخ المجهول صاحب «الجستا» بأن الأرمن والسريان - الذين كانوا مستوطنين في أنطاكية - هم الذين كانوا يتجسسون لصالح حاكم أنطاكية، كما يذكر أنّ هؤلاء الجواسيس تركوا نساءهم وأطفالهم داخل أنطاكية، وقد أدى هؤلاء بعملهم هذا خدمات كبيرة لجيش أنطاكية حيث كانوا يرسلون تقارير يومية عن تحركات القوات الصليبية المحاصرة لأنطاكية. وينقل المؤرخ الإنجليزي رانسمان عن صاحب الجستا وكمال الدين ابن العديم صاحب «زبدة الحلب في تاريخ حلب» أن السريان كانوا أكثر من الأرمن تخوفا من احتمال سيطرة الصليبيين عليهم، لذا كانوا يفضلون حكم المسلمين على حكم كلٍّ من البيزنطيين والصليبيين. ويذكر وليم الصوري أن بوهيموند ابتكر

طريقة استطاع بها أن يتخلص من بعض هؤلاء الجواسيس بيسر، حيث نشر إشاعة أصبحت خلال ليلة واحدة وكأنها حقيقة. فقد أمر بالقبض على هؤلاء الجواسيس وقتلهم، ثم أمر بطبخهم، وتقديمهم كطعام شهي [illegible] أعدائه، فانتشرت هذه الإشاعة بسرعة حتى قيل إن «الفرنجة» أمة متوحشة لايوجد لها مثيل حتى عند الحيوانات المفترسة. وعموماً هرب هؤلاء الجواسيس الذين يصفهم وليم الصوري كأنهم طاعون، ولاأحد ينكر مدى شدة مرض «الطاعون» خلال تلك الفترة التاريخية حيث كان يفتك بأمم كاملة وربما فقدت بعض الأمم أكثر من نصف شعبها بسبب هذا المرض كما حدث عندما أصاب هذا الوباء أوروبا الغربية في القرن الرابع عشر (١٤٥).

الفاطميون يعرضون التحالف مع الصليبيين :

كما زاد من رفع معنويات الجيش الصليبي أمر سياسي ربما لم يتوقعوه خاصة وهم في هذا الوضع المحرج، وذلك أن الأفضل بن بدر الجمالي - وزير الخليفة الفاطمي - أرسل في شهر فبراير لهم رسلاً وهم يحاصرون أنطاكية يدعوهم للتحالف ضد السلاجقة. ولن نخوض في أسباب هذا العرض ولكن نؤكد أن هذا العرض رفع من معنويات الصليبيين وأكد لهم مدى ضعف العالم الإسلامي المنقسم بين الدولتين العباسية (السنية) والفاطمية (الإسماعيلية). ولم يوافق قادة الصليبيين على هذا العرض الذي سيقدم بموجبه الفاطميون المساعدة بكل صورها للصليبيين،

---

(١٤٥) وليم الصوري ص٢٩٨-٣٠٣؛ رانسمان ص ٣٢٨-٣٣٤؛ راجع كتاب الجستا، ص٥٠-٥٦. John. France P 167-168; 205 Anna Comnena, P343 تذكر «أنا كومنين» أن بوهيموند كذب على تاتيكيوس وذكر له أن السلطان السلجوقي أرسل نجدة كبيرة لإنقاذ مسلمي أنطاكية بتنسيق مع الامبراطور البيزنطي، لذا حذره من أن يدبر القادة الصليبيون قتله نظراً لتآمر سيده الامبراطور مع المسلمين ضدهم.

وعرضوا عليهم اقتسام بلاد الشام فيما بينهما، فيصبح شمال الشام - بموجب هذا العرض- تابعا للصليبيين بينما يكون جنوبها من نصيب الدولة الفاطمية بما فيها الأراضي المقدسة في فلسطين، ويسمح بموجبه الفاطميون للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة - عند الصليبيين - في جماعات كبيرة. فرد الصليبيون على هذا العرض باستخفاف، حيث أجابوه بأنهم سيزورون الأماكن المقدسة ليس بمساعدة الخليفة الفاطمي ولكن بمساعدة ربهم. وعاد رسل الوزير الفاطمي - بعد إقامتهم عدة أسابيع في المعسكر الصليبي - عبر ميناء السويدية في بداية شهر مارس ١٠٩٨م. وهكذا رفع الانقسام بين المسلمين من معنويات الجيش الصليبي المحاصر لأنطاكية وأكد للصليبيين أن هذا الانقسام مستمر بالرغم من خطورة الحملة الصليبيه(١٤٦).

نجدة من حلب لأنطاكية :

قام ياغي سيان - منذ سماعه بأخبار زحف الصليبيين نحو أنطاكية - بطلب النجدة من جميع القوى الإسلامية ومنها مملكة حلب، حيث أرسل أحد أبنائه طالبا العون من الملك رضوان. وبالرغم من تقلب ياغي سيان تجاه الملك رضوان حيث كان يحالفه تارة ضد الملك دقاق صاحب دمشق وتارة يتحالف مع دقاق ضد أخيه رضوان، فإنه طلب النجدة من كليهما. واستجابا لطلبه، وقد سبق الحديث عن نجدة دمشق التي قدمت في شهر ديسمبر ١٠٩٧م، ولم تصل نجدة حلب إلا بداية شهر فبراير ١٠٩٨م أي بعد أربعة أشهر من حصار أنطاكية، فقد وردت أنباء عن وصول نجدة لأهل أنطاكية قادمة من حلب يقودها الملك رضوان. ووفقا للروايات اللاتينية فإن هذه القوات كانت كبيرة وتضم إضافة إلى قوات حلب قوات من مدن أخرى، ويبدو أن هذه القوات لم تكن جيشا كبيرا ليواجه الجيش الصليبي الكبير العدد، بل

---

(١٤٦) وليم الصوري : ص٣٠٤-٣٠٥؛ صاحب الجستا ص٥٩؛ رانسمان ص٣٤٤.

هي جزء من قوات مسلمة حاولت التخفيف من ضغط الحصار على أهل أنطاكية بعد أن طلب منهم ياغي سيان النجدة منذ أربعة أشهر. ويقدر وليم الصوري وريمون الأجويلري قوام تلك القوات بثمانية وعشرين ألف مقاتل بينما يقدرها ستيفن رنسيمان باثني عشر ألفاً. ويظهر أن هذا التقدير فيه مبالغة لسبب مهم هو أن الصليبيين بالرغم من علمهم بحجم هذه القوات فقد أرسلوا لمواجهتهم سبعمائة فارس فقط، كما لاتخبرنا المصادر الإسلامية عن تقدير عدد هذا الجيش، فمن المستبعد أن يكون جيش منهوك في حصار طويل ضد أنطاكية يرسل جزءا بسيطا من فرسانه ليواجه جيشاً كبيراً بهذا الحجم الذي يقدر مابين اثني عشر ألفا وعشرين ألف مقاتل. وعموماً خيم جيش مملكة حلب قرب حصن حارم الذي يبعد عن أنطاكية أربعة عشر ميلا من جهة الشمال الشرقي ومازال تحت سيادة المسلمين، ووصلت أنباء تحركات فرقة من جيش حلب للقوات الصليبية عن طريق أهالي تلك المنطقة من الأرمن المتعاونين مع الصليبيين، فقرر قادة الصليبيين إرسال سبعمائة فارس يقودهم بوهيموند لمواجهة هذه الفرقة المعادية. ووصل الجيش الصليبي هذا ليلاً ليباغت هذه الفرقة صباحاً مع إطلالة الفجر عند محاولتها مهاجمة الصليبيين عند الجسر الحديد الواقع على نهر العاصي شمال شرق أنطاكية، ويبدو أن هدف هذا الهجوم هو إدخال قوات إسلامية لأنطاكية لتساند قواتها المدافعة عن المدينة، كما وصلت أخبار تقدم الجيش الصليبي هذا لجيش حلب عن طريق جواسيسهم، فقسم الصليبيون قواتهم إلى ست فرق لتقوم بهجوم مباغت، وربما اختاروا هذا النوع من التكتيك في القتال حتى يظهروا لأعدائهم أن أعدادهم كبيرة، وعموماً بدأ الجيش المسلم في السابع من فبراير ١٠٩٨م بالهجوم ، حيث شن هجمات كثيفة من رماة السهام على القوات الصليبية، كما استعانوا بأسلوب الكر والفر حيث تكر جماعة فتشن هجوماً بالسهام ثم تفر، فتأتي جماعة أخرى تحل محلها وهكذا يستمر الوضع حتى يؤدي ذلك إلى إرباك صفوف الأعداء. إلا أن هذا التكتيك اكتشفه الصليبيون - كما سبق ذكره - منذ أن كسبوا هذه الخبرة عند قتالهم ضد القوات المسلمة كسلاجقة الروم بقيادة

سليمان بن قتلمش، كما أن هذا الجيش المسلم جعل نفسه في موضع لايحسد عليه، حيث حشر نفسه في منطقة ضيقة بين بحيرة أنطاكية من جانب ونهر العاصي فعجز بسبب ذلك عن المناورة، فسمح هذا الوضع للصليبيين بفرصة للالتحام بالسيوف مع [illegible] للصليبيين فاضطر المسلمون إلى [illegible] فتعقبهم الصليبيون، وحقق الصليبيون نصراً كبيراً بمساعدة الأرمن المقيمين في تلك المنطقة. والجدير بالذكر أن حارم التابعة لمملكة حلب كانت ترسل سرايا لتقوم بهجمات مباغتة للصليبيين المحاصرين لأنطاكية. وخسر المسلمون - وفقاً لرواية وليم الصوري - قرابة ألفين ونهب الصليبيون عسكر عدوهم. والجدير بالذكر أنه في هذه المعركة - وفقا لرواية ريمون الأجويلري - فإن القوات المسلمة المرابطة في المعسكر قامت بحرقه ثم انسحبت بعد أن وردتها أخبار الهزيمة التي لحقت بقواتها عند أنطاكية. ورجع الصليبيون محملين بالغنائم ومنها ألف من الجياد القوية وخمسمائة رأس من القتلى حيث رموا هذه الرؤوس على أهل أنطاكية ليرعبوهم وليؤكدوا لهم أنهم قد انتصروا على من جاء لنجدتهم. ولاشك فإن هذه الهزيمة وانسحاب نجدة مملكة حلب كانت هزيمة نفسية لياغي سيان ومواطنيه الذين صبروا قرابة أربعة أشهر ينتظرون من ينجدهم فإذا بالنجدة تنهزم وتفر دون قتال يذكر. وعلى الرغم من فشل نجدة مملكة حلب فإن قدومها أكد نجاح سياسة ياغي سيان في كسب ود القوى المسلمة إلى جانبه لتقديم النجدة لعاصمته المهددة بالسقوط بأيدي الصليبيين. والجدير بالذكر أن هذه المحاولة هي الثانية التي تقوم بها قوات مسلمة لنجدة أنطاكية حيث كانت الأولى محاولة مملكة دمشق في نهاية شهر ديسمبر عام ١٠٩٧م (١٤٧)، ولم تحقق كلتا المحاولتين مكاسب تذكر لأهل أنطاكية المحاصرين ولواليهم ياغي سيان، حيث استمر الحصار الشديد على المدينة.

---

(١٤٧) وليم الصوري: ص٣١١-٣١٥؛ رانسمان ص٣٨؛ صاحب الجستا ص٥٧-٥٩، يذكر صاحب «الجستا» أن تلك المعركة وقعت في التاسع من فبراير ١٠٩٨م وليس في السابع كما يذكر وليم الصوري. كما يذكر أن الصليبيين رموا مائة رأس من رؤوس قتلى المسلمين على مدينة أنطاكية؛

الصليبيون يشيدون حصونا :

نظراً للهجمات الخاطفة المتكررة التي نفذها جند أنطاكية على معسكر بوهيموند الواقع شمال المدينة، قرر قادة الجيوش الصليبية إقامة حصن يقع إلى الشرق من معسكر بوهيموند يمنعهم من تلك الهجمات. ويذكر وليم الصوري أن هذا الحصن شيد في أواخر نوفمبر ١٠٩٧م ومنحهم حماية من تلك الهجمات، حتى شعرت الجيوش الصليبية «وكأنها داخل مدينة منيعة»، وقد عانت الجيوش الصليبية كثيراً من حصارها لأنطاكية، لذا كانت تسعى للأمن أكثر من سعي أهل أنطاكية أنفسهم للأمن والدفاع عن مدينتهم التي كانت تطبق عليها الجيوش الجرارة من جميع مخارجها المعتادة عدا الجهة الشرقية من المدينة نظراً لطبيعتها الجبلية حيث لا يمكن فرض الحصار من خلالها. هذا وسوف يقوم الصليبيون ببناء حصن آخر جهة الجنوب الغربي في موضع مسجد مقام هناك، في شهر مارس ١٠٩٨م، وذلك للغرض نفسه (١٤٨).

قوات ياغي سيان تباغت الصليبيين العائدين من السويدية :

يعتبر ميناء السويدية أهم ميناء لأنطاكية نظراً لقربه منها حيث يبعد عنها حوالي اثني عشر ميلا فقط، ويعتبر الطريق المار من السويدية إلى أنطاكية من أفضل الطرق لسهولته وعدم وجود عوائق طبيعية فيه، إلا أن هذا الطريق كان من أخطر الطرق عند حصار أنطاكية لأن أهاليها كانوا يترصدون كل نجدة قادمة عن طريقه لمساعدة الصليبيين المحاصرين للمدينة، ويذكر أن ثلاث سفن من جنوة قدمت للسويدية في شهر نوفمبر ١٠٩٧م لنجدة الصليبيين.

ريموند اجيل، ص١٠٤؛ John France P 246، ملاحظة : نقلت تقدير المؤرخ الصليبي ستيفن كونت بلوا لعدد قوات حلب من المؤلف جون فرانس.

(١٤٨) وليم الصوري : ص٣١٦-٣١٧؛ John France P 98.

وذهبت – في تلك الأثناء – قوات «بوهيموند» وريمون – كونت تولوز – ولورد «ايفرار» – كونت بويسبه – وجراي كونت جارنييه – لمرافقة رسل الوزير الفاطمي إلى ميناء السويدية، وذلك لحمايتهم نظراً للمخاطر التي كانت تصادف آنذاك كل من [illegible] عادت تلك القوة وهي مصطحبة حجاجاً جدداً (مقاتلين صليبين جدداً) قدموا من إيطاليا بسفن انجليزيه، باغتتهم قوات أنطاكية بهجوم شديد عند عودتهم لمعسكرهم عند أنطاكية. وكان هذا اللقاء في السادس من مارس ١٠٩٨م وفقاً لرواية صاحب «الجستا». وقد حاول الصليبيون جهدهم صد هذا الهجوم العنيف إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود كثيراً فاضطروا للفرار. وسقط منهم قتلى قدرهم وليم الصوري بثلاثمائة مقاتل ومدني خاصة من النساء اللواتي كن يصطحبن القوات الصليبية تلك، بينما قدرهم صاحب «الجستا» بألف فارس وراجل. ووصلت أخبار الهزيمة الصليبية تلك بصورة مبالغ فيها للجيوش الصليبية المحاصرة لأنطاكية، حيث ذكرت لهم الإشاعات أن جميع تلك القوات فنيت عن آخرها بمن فيها قادتها، فقام الدوق جودفروي بحشد القوات وحثهم على الأخذ بثأر دماء إخوانهم القتلى. وفعلاً كان لقيادته الحكيمة أثر كبير في شحذ حماسة جنوده فهبوا جميعاً إلى أسلحتهم للأخذ بهذا الثأر، حيث خرجوا صفوفا متراصة لمنع قوات أنطاكية المنتصرة – التي ألحقت الهزيمة بإخوانهم قرب السويدية – من دخول المدينة عبر بوابة الجسر التي تسيطر عليها القوات الصليبية المحاصرة للمدينة. وبعد انتهاء خطبة الدوق «جودفروي» المؤثرة بالجيوش الصليبية، إذا ببعض قادة الصليبيين المنهزمين هؤلاء وأولهم بوهيموند يصل سالما، فرحب الصليبيون بقادتهم المنهزمين وهنّؤوهم على سلامة العودة. وكان هم ياغي سيان هو سلامة عودة قواته التي حققت ذلك النصر حال رجوعها للمدينة لدعم دفاعاتها وللقيام بعمليات مشابهة لتلك العملية الجريئة. كما أنه تخوف من أن يستغل الصليبيون انشغال القوات المدافعة عن أنطاكية بالقوات العائدة المنتصرة – عند فتح بوابة الجسر – فتنفذ قوات صليبية أعدت للاستيلاء على

هذه البوابة ثم تستولي على المدينة، فقرر ياغي سيان مواجهةهذا الأمر الخطير فاستنفر قواته جميعاً وحشدها لتكون في استقبال القوات المنتصرة لتوفر لها الحماية حين دخولهاالمدينة على الرغم من مواجهة الصليبيين الأكيدة لهم عند عودتهم. وعندما اقتربت قوات أنطاكية تلك لتدخل المدينة واجهتها القوات الصليبية بعنف لم يسبق له مثيل منذ حصارهم لأنطاكية، واشتد الامر على قوات انطاكية القادمة للمدينة، وقاتلوا قتالاً شديداً لم يسبق أن قاتلوا مثله خاصة أن ياغي سيان قد أمر بغلق بوابة الجسر حتى يحمس بهذا الإجراء تلك القوات لتقاتل بشدة ثم تفتح لنفسها طريقاً لتدخل أنطاكية سالمة عبر الجسور، ولو قدر أن وقعت تلك القوة في خطر شديد فسيقوم هو بقواته بهجوم مضاد على القوات الصليبية المهاجمة لتلك القوات العائدةحتى يفتح لهم الطريق للانسحاب. واشتد القتال بين الطرفين بصورة لم يسبق لها مثيل حتى إن نساء أنطاكية المسلمات صعدن مع أطفالهن والشيوخ لتشجيع المقاتلين وشحذ هممهم، وكأنهن يذكرنهم أنهم إذا انهزموا فسوف يسقطن أسارى بأيدي الصليبيين. وحاول الصليبيون جهدهم الإيقاع بالقوات المسلمة وأظهر الدوق جودفروي شجاعة وحزماً للمرة الأولى منذ إصابته بجرح، ويبدو أن ياغي سيان اختار وقت عودة ذلك الجيش المنتصرقبل الغروب بفترة وجيزة حتى يكون دخول الليل سبباً رئيسياً في وقف هجوم الصليبيين عليهم نظراً لتعذر القتال في الظلام. وفعلاً تمكنت أكثر تلك القوات من العودة بسلام بالرغم من شدة هجمات الصليبيين عليها حيث فقد المسلمون - وفقا لرواية وليم الصوري - قرابة الألفين. بينما يقدرهم ريمون الأجويلري بألف وخمسمائة. ويبدو أن هذين التقديرين مبالغ فيهما، وممايؤكد ذلك أن الصليبيين حملوا رؤوس قتلى المسلمين وأرسلوها لسفراء الفاطميين الذين كانوا مازالوا آنذاك في ميناء السويدية حتى يثيروا فيهم الرعب، وكان عدد تلك الرؤوس ثلاثمائة فقط وليس ألفين. وقد ذكر وليم الصوري نفسه عدد رؤوس المسلمين هؤلاء مما يؤكد تناقض روايته حول تقدير عدد القتلى من المسلمين. وهذه إشارة واضحة إلى أن حجم قوات أنطاكية المهاجمة تلك كان كبيراً،

ربما كان يصل لأكثر من ألفين، واللافتُ أن كيف لم يكتشف الصليبيون - بأعدادهم الهائلة المحاصرة للمدينة - أمر خروج هذه الأعداد الضخمة التي خرجت لمهاجمة قواتهم القادمة من السويدية، إن هذا يوضح مدى تسيب الجيوش الصليبية وعدم قيام [illegible] وهكذا لم تكتمل فرحة أهل أنطاكية بنصرهم قرب السويدية حيث تبدلت إلى هزيمة وإن كانت أقل خطورة مما كان متوقعا(١٤٩).

إنشاء الصليبيين حصن المنبر (La Mohomerie) وحصن تنكريد وإحكام الحصار على أنطاكية :

إن تمكن أهل أنطاكية - عدة مرات - من الخروج بأعداد كبيرة خارج المدينة ثم مهاجمتهم للقوات الصليبية المتفرقة خاصة المتجهة من ميناء السويدية وإليه أثبت لقادة الصليبيين ضرورة إنشاء حصن على الجسر الرئيسي الذي كان يعبر من خلاله الصليبيون إلى مجرى نهر العاصي الواقع غرب أنطاكية لجلب مايحتاجون إليه من مؤن وعتاد من ميناء السويدية. وإن استعجال الصليبيين لإنشاء هذا الحصن - الذي بدئ ببنائه مباشرة بعد تلك المعركة التي وقعت عند بوابة الجسر - يؤكد من دون شك مدى ماعاناه الصليبيون من تلك الهجمات الخاطفة التي كانت تأتيهم من مواضع لم يظنوا أن أعداءهم قد يجرؤون على الخروج منها بأعداد كبيرة ليقوموا بتلك الهجمات الشديدة التأثير في أعدائهم. وقد أقام الصليبيون هذا الحصن في موضع كان مسجداً للمسلمين وأحاطوه بسور منيع وحفروا خندقاً حوله عندما كانوا

(١٤٩) وليم الصوري ص٣١٨-٣٢٥؛ رانسمان ص ٣٣٩-٣٤١؛ صاحب الجستا ص٦١-٦٣، يذكر صاحب الجستا أن المسلمين خسروا ألفاً وخمسمائة مقاتل في هذه المعركة، كما يذكر أن الصليبيين نبشوا قبور قتلى المسلمين، وقطعوا رؤوسهم، وأرسلوها لسفراء الفاطميين؛ ريموندا جيل، ص١٠٨.

يشيدونه ليحموا أنفسهم من هجمات متوقعة من أهل أنطاكية بزعامة قائدهم ياغي سيان.

وكان لريمون – كونت تولوز –وجنوده دور رئيسي في حراسة الصليبيين الذين شرعوا في تشييد هذا الحصن لعلمهم أن ياغي سيان لن يتركهم يقيمون هذا الحصن دون محاولة لإفشاله حتى لايعيق الصليبيون – بإنشائهم هذا الحصن – الهجمات الخاطفة التي يشنها مواطنوه على معسكرهم. والجدير بالذكر أن ريمون – كونت تولوز – هذا على الرغم من كونه أغنى قادة الصليبيين ويملك كذلك جيشاً كبيراً إلا أنه لم يقم خلال عام كامل بأعمال تثبت صدقه في حرب المسلمين. وعلى الرغم من أنه قد مرض فترة معينة فإن هذا لم يكن عذراً مقبولاً لتبرير تخاذله وبخله على جنوده. وعموماً بادر ريمون – بهذه الأعمال – ليحقق مكاسب شخصية كغيره من قادة الحملة (خاصة منافسه بوهيموند النورماني)، ومن الأمور التي استحوذ بها على انتباه الصليبيين مبادرته في تولي أمر هذا الحصن الذي أقيم حديثاً حيث جند خمسمائة من خيرة جنوده ليقوموا بمهمة حراسة الحصن وإيقاف أية محاولة من جانب المدافعين عن أنطاكية لهجوم متوقع على الصليبيين الذين كانوا يبنون ذلك الحصن.

على الرغم من إنشاء هذا الحصن – الذي عرف بحصن المنبر وقد سماه الفرنجة Mahomerie – فإن هذا لم يمنع ياغي سيان من إرسال جنوده لشن هجمات خاطفة على المعسكر الصليبي عبر البوابة الجنوبية التي عرفت فيما بعد ببوابة القديس «جورج»، ونظراً لهذه الهجمات قرر قادة الصليبيين إنشاء حصن آخر مقابل لهذه البوابة لمنع تلك الهجمات، وقام «تنكريد» (ابن أخت بوهيموند) بدور رئيسي في إنشاء هذا الحصن وحراسته أثناء وبعد إنشائه نظراً للهجمات المتواصلة التي كان يشنها عليهم أهل أنطاكية لإعاقتهم عن إقامة هذا الحصن خاصة أنه في منطقة رعي مواشي أنطاكية وهي المنطقة الوحيدة المتبقية لهم لهذا الغرض. وأقام الصليبيون هذا الحصن على موضع يبعد حوالي ثلاثة أميال جنوب أنطاكية وقد كان سابقاً ديراً

للنصارى، وتم بناء هذا الحصن في شهر إبريل عام١٠٩٨م. وقد أدى إنشاء هذا الحصن، الذي عرف فيما بعد بحصن تنكريد، إلى إعاقة حركة رعي المسلمين مواشيهم، كما سهل عمليات نهب الصليبيين لمواشي أهل أنطاكية وخيولهم. ويذكر وليم الصوري أن الصليبيين تمكنوا من خلال حملات النهب على مراعي أنطاكية من الاستيلاء على ألفي رأس من الخيول الممتازة (الصافنة)، فكانت أفضل تعويض لهم عن ضياع خيولهم التي فقدوها بسبب المجاعة والوباء والقتال. وبفقد ياغي سيان هذه الأعداد الكبيرة من خيوله الممتازة خسر جزءاً مهما من قواته. ويذكر صاحب «الجستا» أنه بعد إتمام بناء هذا الحصن بيوم واحد، أقبلت قافلة من الأرمن والسريان نحو أنطاكية، فاستولى تنكريد على كل ماكانت تحمله من قمح ونبيذ وشعير وزيت وغيرها من الأطعمة (١٥٠).

اشتداد الحصار على أهل أنطاكية وورود أخبار عن زحف الحملة السلطانية لنجدتهم :

بعد إحكام الخناق على أنطاكية بتلك الحصون والجيوش الجرارة بدأت المجاعة تكشر عن أنيابها لأهل أنطاكية لأول مرة بعد أن كانت طوال سبعة أشهر تنخر في الجيوش الصليبية المحاصرة. وكما أوضحت سابقاً فإن الهدف الأساسي للصليبيين من حصار أنطاكية هو الاستيلاء عليها بعد تجويع أهلها نظراً لصعوبة الاستيلاء عليها

---

(١٥٠) وليم الصوري : ص٣٢٧-٣٢٨؛ فولشر الشارتري ص ١٢٦؛ صاحب الجستا ص٦٣-٦٥، يذكر صاحب الجستا أن الصليبيين انتزعوا أحجار مقبرة للمسلمين وبنوا بها حصن المحمرة هذا؛ ريموند اجيل، ص١٠٩-١٠٠، يذكر ريمون الأجويلري أن الخيول التي استولى عليها الصليبيون من مراعي أنطاكية هي غنائم غنمها جيش أنطاكية عندما هاجموا حملة إغاثة للصليبيين قادمة من البحر وربما عبر ميناء السويدية.

بالقـوة. ومن أغرب الأمـور أن المحاصرين عانوا أكثر مما عـاناه المدافعـون عن المدينة. ولاشك في أن جغرافيـة أنطاكيـة أعطتهـا حصـانة طبيعيـة، إلا أن سياسة ياغي سيان ووجـهاء أنطاكيـة - بعد عون الله - هي عـوامل رئيسية في تأخر استيلاء الصليبيين على أنطاكية الحصينة. لقد كانت الأمور [illegible] في غير صالح ياغي سيان وأهل أنطاكية الذين يئسوا من انتظار النجدة السلطانية، واستبشروا بورود أخبار استعداد تلك الحملة بقيادة كربوقا والي الموصل، وقد ضمت هذه الحملة جيشاً كبيراً يقدر بمائة ألف مقاتل، ضم كثيراً من التركمان من الجزيرة الفراتية خاصة من ديار بكر وفارس وبغداد، وستنضم إليهم قوات مملكتي حلب ودمشق عند وصولهم إلى بلاد الشام. وفي تلك الأثناء وصلت الأنباء لكلٍّ من مسلمي أنطاكية والصليبيين عن بداية زحف هذا الجيش الذي طال انتظار أهل أنطاكية له. إلا أن كربوقا لم يكن حكيماً عندما أضاع ثلاثة أسابيع في حصاره للرها التي كان يسيطر عليها آنذاك الصليبيون بزعامة بلدوين وقد أقاموا بها أول كونتية صليبية بمساعدة أهلها من الأرمن منذ السابع من مارس عام ١٠٩٨م، فقد كانت تحصينات الرها سبباً رئيسياً في فشل محاولة الحملة السلجوقية بقيادة كربوقا للاستيلاء عليها، وكان لهذا التأخر تأثير سلبي في ياغي سيان ومواطنيه فقد طال انتظارهم لهذه النجدة فإذا بقائدها يوجهها وجهة أكثر مايقال عنها إنها وجهة غير صحيحة، فلم يسبق لأهل أنطاكية أن عانوا شدة كما عانوا في الشهر التاسع من الحصار، حيث أحكم الصليبيون حصارهم على المدينة ومنعوا المدافعين عنها من جلب الطعام والعلف بل وحتى المناورة لإضعاف القوات الصليبية المحاصرة كما كانوا يفعلون قبل إنشاء الصليبيين تلك الحصون حول المدينة. كما عاد الجنود الصليبيون آنذاك الذين أمضوا وقتا في القلاع والحصون المجاورة فرارا من معاناة الحصار الذي كانوا يفرضونه على أنطاكية. وإضافة إلى ذلك أصبح الصليبيون يتحركون بحرية أكثر نظراً لوقف الهجمات الخاطفة عليهم من قبل أهل أنطاكية فساعدهم ذلك كله على جلب مايحتاجون إليه من مؤن من الموانئ القريبة من أنطاكية وخاصة السويدية. وفي تلك الأثناء وصلت مساعدة من قبل الامبراطور البيزنطي

خففت من معاناتهم. ويبدو أن الصليبيين أنكروا أن تكون تلك المساعدة السخية من البيزنطيين حتى ينكروا أن يكون للبيزنطيين فضل عليهم في نجاح حملتهم العسكرية. وقد تضمنت هذه المساعدة حبوباً وزيتاً ونبيذاً إضافة إلى خمسين ألف قطعة ذهبية، [illegible]

الحملة السلطانية ونتائجها :

وانتشر خبر زحف الحملة السلطانية بقيادة كربوقا لنجدة أنطاكية في أرجاء مختلفة من المشرق الإسلامي والغرب اللاتيني حتى إن اللاجئين الفارين من زحف هذه الحملة والذين أسرعوا للانضمام إلى المعسكر الصليبي المحاصر لأنطاكية أكدوا خبر هذا الزحف، وأخذ الفزع والرعب يلف جنود الصليبيين بل وحتى قادتهم حتى إن «ستيفن» كونت شارتر - الذي عرف عنه الشجاعة والنفوذ والقيادة الحكيمة - فر من المعسكر مصطحباً معه أربعة آلاف من جيشه متحججاً بمرض ألم به، وكان فراره قبل أيام قليلة من نجاح الصليبيين في الاستيلاء على أنطاكية حتى اضطر قادة الجيوش الصليبية إلى إصدار قرار يمنع منعاً باتاً أي شخص مهما كانت منزلته من مغادرة المعسكر ولو لفترة وجيزة، ومن تجرأ على الهرب فسيصدرفي حقه قرار «الحرمان» وكأنه قد قتل نفسا بغير حق أو اقترف جرماً خطيراً أو دنس مقدساً. والجدير بالذكر أنه لم توجد في أوروبا العصور الوسطى عقوبة أشد من عقوبة (الحرمان) ذلك أن الشخص الذي يصدر بحقه هذا القرار يصبح منبوذاًفي المجتمع حتى من أعز أقربائه بمن فيهم أبناؤه وزوجته. إن هذه القرارات تؤكد من دون شك

(١٥١) وليم الصوري : ص٣٢٨-٣٣٠؛ صاحب الجستا ص٦٥، ريموندا جيل، ص١١٠، يذكر ريمون الأجويلري أن ورود خبر زحف الحملة السلطانية لإنقاذ أنطاكية جعل كثيراً من الصليبيين الجبناء يهربون من خطرها، بينما رجع الفرسان الأقوياء - الذين كانوا متواجدين آنذاك في القلاع البعيدة عن أنطاكية - ليتموا الاستيلاء عليها.

مدى ماوصلت إليه الشدة والفزع عند الصليبيين نظراً لاقتراب وصول الحملة السلطانية الكبيرة (١٥٢).

في ظل هذه الظروف العصيبة التي مرت بالصليبيين من قلة مؤونة وطول حصار وملل الجند وخوفهم من المجاعات والاوبئة التي قضت على نصف جيوشهم بدأ الخوف يتسرب لبعض زعمائهم كستيفن كونت شارتر، حيث فر مع أربعة آلاف مقاتل من قواته. وارتفعت معنويات ياغي سيان وجنوده بخبر مسير الحملة السلطانية. في ظل هذه الظروف جميعاً استغل بوهيموند بن جويسكارد النورماني حرج وضع قادة الجيوش الصليبية فابتدع خطة يعجز عن نسجها أفضل كاتب رواية معاصر.

خطة بوهيموند :

تتلخص هذه الخطة في أن يتعرّف بوهيموند - منذ بداية حصار الصليبيين لأنطاكية - أحدَ متحفظي الأبراج في مدينة أنطاكية. ووفقا لرواية وليم الصوري وكذلك «أنا كومنين» فإن هذا المتحفظ هو مسلم من أصل أرمني يُدعى فيروز الزراد، بينما يراه فولشر الشارتري أنه تركي وليس أرمنياً، حيث كان قائداً يحرس برج الأختين الواقع جنوب شرقي المدينة وهو مجاور للبوابة الجنوبية، والجدير بالذكر أن بوهيموند نفسه كان يقود جيشه النورماني المحاصر للجهة الشمالية لأنطاكية قرب البوابة الشمالية - وليس قرب برج الأختين - فكيف حصل هذا التعارف السريع الذي ترويه خطة بوهيموند، بل إن الخطة تقول إن هذه العلاقة الودية بين الشخصين أصبحت حميمة حتى إنه لاينقضي يوم حتى يوافي فيروز حليفه بوهيموند بأخبار وظروف المدينة وخطط ياغي سيان والي المدينة. وتورد الخطة أن خبر هذه

(١٥٢) وليم الصوري : ص٣٣١-٣٣٣؛ فولشر الشارتري ص١٢٦؛ صاحب الجستا، ص٦٧.

الاتصالات اليومية كان سرا لايعلمه سوى بوهيموند وفيروز وكان الوسيط من قبل فيروز ابنه بينما لانعرف من هو وسيط بوهيموند.

وتذكر الخطة أن فيروز هذا رجل نصراني (أرمني) وليس مسلماً سعى لتواطئه علاقته ببوهيموند فقط من دون قادة الصليبيين لإعادة انطاكيه إلى سيادة النصارى، وتتمادى الخطة في وصف هذه العلاقة الحميمة بين الخليلين، فتذكر أن فيروز أحب بوهيموند حباً كبيراً حتى أصبح «أغلى عليه من الحياة ذاتها»، بل تجعل الخطة من فيروز قائداً داهية يخطط نيابة عن حليفه بوهيموند «الجديد» تخطيطاً يقوم على السياسة والمكر وهو الذي قد دوخ الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين لعدة سنين عندما حاول مع والده جويسكارد إسقاط الامبراطورية البيزنطية وضمها إلى أملاكه، كما تذكر الخطة «البوهيموندية» أن فيروز هو الذي اقترح على بوهيموند أن يقنع القادة الصليبيين أن يتفقوا فيما بينهم على كيفية تدبير مؤامرة لاحتلال أنطاكية بالتعاون مع فيروز، ثم يتفق الجميع - فيما عدا ريمون - (كونت تولوز) وفقاً لرغبة فيروز وليس بوهيموند - على أن يؤول حكم أنطاكية لبوهيموند وحده ثم لأبنائه من بعده. وتضيف الخطة أن فيروز اشترط مقابل تعاونه مع قادة الصليبيين تسليم أنطاكية لبوهيموند فقط دون بقية القادة، كما تؤكد الخطة أن الصليبيين أصيبوا بالذعر من الحملة السلطانية وأعدادها الكبيرة التي قدرتها الخطة بعدد مبالغ فيه مبالغة كبيرة وهو مائتا ألف فارس، وهو جيش كبير لم يجتمع للمسلمين مثله من قبل. والجدير بالذكر أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان هزم الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في عام ١٠٧١م - الذي كان يقود أكبر جيش في تاريخ الامبراطورية البيزنطية حيث قدر بمائة ألف - هزمه بجيش يقدر بحوالي ثلاثين ألف مقاتل فقط في معركة ملاذكرد المشهورة.

ويبدو أن هذه الخطة تحاول أن تزيد من حرج القادة الصليبيين فيضطرون إلى الموافقة على شروط فيروز «الداهية» الذي لم يره الصليبيون قط بل إن الخطة قالت

لهؤلاء القادة بأنهم قد عجزوا عن أخذ أنطاكية طوال تسعة أشهر من القتال نظراً لمقاومة أهلها فكيف بهم حين تقدم الحملة السلطانية وقواتها الجرارة، وهكذا سيصبح الصليبيون في موقف حرج وكأنهم بين فكي الكماشة (فك الحملة السلطانية وفك المسلمين من أنطاكية). وتضيف الخطة أن بوهيموند استطاع من جانبه عن طريق اتصالاته المباشرة ببعض قادة الحملة الصليبية الذين يثق بكتمانهم لهذا الأمر أن يقنعهم بالمشاركة في خطته تلك التي دبرها فيروز القائد الحريص على سلامة الصليبيين وخاصة بوهيموند أكثر من حرصه على نفسه وأبنائه. وتؤكد الخطة أن ريموند كونت تولوز - المنافس الكبير لبوهيموند - هو الوحيد الذي لم يوافق على مشروع فيروز (أقصد بوهيموند)، فقد اكتشف كونت تولوز الخطة وهي في المهد قبل أن تصبح حقيقة لاجدال فيها عند المؤرخين المعاصرين والمحدثين سواء من مسلمين أو نصارى، وأعني أن هذه الخطة كانت واضحة عند كونت تولوز، إلا أن غموضاً كبيراً قد شابها، فاختلطت ببعض الحقائق فأصبحت وكأنها حقيقة لاجدال حول صحتها. والجدير بالذكر أن ريموند وطد علاقته مع الامبراطور البيزنطي قبل مغادرته للقسطنطينية ولايستبعد أن يكون بوهيموند قد تخوف من أن تكون تلك العلاقة سبباً في تضييع الفرصة عليه للاستئثار بأنطاكية، وهكذا يصبح الحدث التاريخي - الذي لم يخضع للنقد الباطني - حقيقة مسلمة مع تواتر نقل الحدث بالتفصيلات الدقيقة نفسها وكأن هذه التفصيلات الدقيقة بتكرارها تصبح تدعيما لصحة الحدث. وسيرى القارئ أن هذه التفصيلات الدقيقة التي أوردها المؤرخون المعاصرون من الصليبيين هي وسيلتنا الرئيسية لكشف زيف هذه الخطة. وتضيف الخطة أن الجواسيس الذين أرسلهم القادة الصليبيون أكدوا خبر زحف الحملة السلطانية وعبورها نهر الفرات نحو أنطاكية ولكنها أكدت أمراً غريباً هو أن القادة الصليبيين أمروا الجواسيس بأن يشيعوا أنه لاتوجد حملة سلطانية متجهة لنجدة أنطاكية، هذا وللعلم فإن أخبار زحف هذه الحملة وصلت للصليبيين تباعاً بل وتواترت كثيراً لأكثر من شهر.

وتضيف الخطة أنه بينما كان القادة الصليبيون مجتمعين لمناقشة هذا الأمر الخطير الذي لم يسبق لهم أن واجهوا مثله، جاء «البطل بوهيموند» لينقذهم جميعاً. فبينما اقترح بعض زعماء الصليبيين لمواجهة هذا الأمر الخطير أن تزحف القوات الصليبية بجميعها للتصدي للحملة السلطانية قبل وصولها لأنطاكية على بعد ميلين أو ثلاثة فإذا كتب لهم النصر استمروا في حصار المدينة، بينما رأى فريق آخر من القادة أن لاتخرج جميع الجيوش بل تخرج صفوة الجيوش الصليبية ويبقى جزء أقل كفاءة من الأول يحاصر المدينة حتى يمنع أهالي أنطاكية من الانضمام إلى الحملة السلطانية. ويبدو أن الصليبيين كانوا موقنين بأن ياغي سيان مازال يملك قوات كبيرة يمكن أن تهددهم، وسوف يتضح لهم خطأ هذا الافتراض فيما بعد عندما سينجحون في الاستيلاء على المدينة قريبا، وعندما قدم بوهيموند لهذا الاجتماع وقف خطيباً بعد سماعه تلك المقترحات السابقة وأخذ يؤكد لهم أن كل تلك الاقتراحات عقيمة وأخذ يفندها، فذكر أنه في حالة فك الحصار وذهاب الجيش الصليبي جميعا فسوف تتحرر أنطاكية وأهلها وسينضمون إلى الحملة السلطانية، فيكون انضمامهم عوناً للحملة السلطانية الكبيرة، كما فند الاقتراح الثاني بقوله إنه في حالة بقاء جزء من الجيش الصليبي محاصراً لأنطاكية فإن هذا الجيش لن يمنع أهالي أنطاكية من مواصلة مقاومتهم للحصار بل والخروج للانضمام إلى الحملة السلطانية ذلك أن الجيوش الصليبية جميعاً لم تتمكن من منعهم من الخروج من أنطاكية طوال تسعة أشهر إلا بعد بناء حصون وقلاع وتشديد الحصار على المدينة فكيف يمكن لقوات قليلة أن تقف حائلاً لوقف حركة أهل أنطاكية.

لذا اقترح بوهيموند أن تقوم الجيوش الصليبية جميعاً بالاستيلاء على أنطاكية قبل وصول الحملة السلطانية. وهنا كشف لهم سر علاقته مع فيروز، الذي وعده بالسماح له ولقواته بدخول المدينة عن طريق برج «الأختين» الذي يقوم بحراسته، وقد أوضح لهم بوهيموند أن فيروز طلب مقابل ذلك مبلغاً كبيراً من المال له ولذريته

وكذلك (إقطاعات) كبيرة ثمناً لهذه الخدمة. بينما اشترط بوهيموند عليهم - مقابل مبادرته هو شخصياً مع جيشه للقيام بهذه المهمة الخطيرة - أن تكون أنطاكية ملكاً خالصا له ولذريته، كما أكد لهم أنهم إذا رفضوا هذا الرأي فليحاول كل منهم جهده على حدة للاستيلاء على المدينة بمفرده(153).

ووفقاً لرواية وليم الصوري وأنا كومنين فقد وافق جميع القادة على اقتراح بوهيموند سوى ريمون كونت تولوز، ومن ثم أخذ الجميع بتنفيذ خطة بوهيموند بالرغم من معارضة كونت تولوز، ويبدو أن معارضة كونت تولوز نابعة من كون قادة الصليبيين قد أخذوا على أنفسهم عهداً للامبراطور البيزنطي بإعادة ماأستولى عليه السلاجقة من ممتلكات بيزنطية في شمال بلاد الشام، وتعتبر أنطاكية - المدينة المقدسة عند الأرثوذكس - أهم هذه الممتلكات. ومن جهة أخرى يذكر صاحب «الجستا» أن قادة الصليبيين اتفقوا على أنه لو قدر لبوهيموند الاستيلاء على أنطاكية فإنهم سيسلمونها له حتى تأتي نجدة الامبراطور البيزنطي لهم حيث سيتسلمها من الصليبيين بناء على اتفاقه السابق معهم. وتضيف خطة بوهيموند أن فيروز هو الذي اقترح على بوهيموند تدبير خطة الهجوم الشامل على المدينة حيث تتظاهر جميع الجيوش الصليبية بفك الحصار عن أنطاكية والتجمع جنوب المدينة للتوجه شرقاً جهة زحف الحملة السلطانية لملاقاتها، وقد حدد فيروز موعد بدء هذه الخطة بالساعة التاسعة نهاراً (بعد شروق الشمس بتسع ساعات).

وتؤكد الخطة أن خبر تلك المؤامرة قد تسرب لأنطاكية نفسها حتى إن قادة الجيش الأنطاكي أخبروا قائدهم ياغي سيان بهذه الشكوك التي أخذت تراودهم بفيروز. لذا اجتمع ياغي سيان بجميع القادة بمن فيهم فيروز، وقد تعمد هؤلاء

(١٥٣) وليم الصوري ص٣٤٢-٣٤٤؛ فولشر الشارتري ص١٢٧؛ صاحب الجستا ص٦٦-٦٧؛ Anna Comnena, P 344 ؛ تصف «أنا كومنين» بوهيموند بأنه «ماكر»؛ ريمون الأجويلري، المصدر نفسه السابق، ص٢٢٦، يذكر هذا المؤرخ أن فيروز هذا كان مسلما وليس نصرانياً.

القادة المتشككون في أمر فيروز أن يصرحوا بهذه الشكوك أمام فيروز نفسه حتى يسمعوا رد فعله. وتضيف الخطة أن فيروز كان شديد الذكاء حاضر البديهة فأخذ يراوغهم، وبرأ نفسه من هذه التهمة، بل أخذ يقترح اقتراحات لتثبت براءته من هذه التهمة، فقد اقترح استبدال الموكل لهم حراسة الأبراج والأسوار دورياً بحيث لا يسمح لهم نظراً لمراسهم لوقت طويل في موضع واحد بإقامة علاقات مع الصليبيين، ومن ثم يمكن أن يتآمروا مع الصليبيين ضد مواطنيهم، وقد كان لاقتراح فيروز رد فعل طيب عند ياغي سيان نفسه وفقاً لخطة بوهيموند حتى إنه استحسن اقتراح فيروز وقرر البدء به في الحال، وتضيف الخطة أن خطة الصليبيين للاستيلاء على المدينة تمت في تلك الليلة نفسها بعد ذلك الاجتماع، وهكذا أحكمت الخطة حتى الآن (١٥٤).

وتضيف الخطة أن أهالي أنطاكية قرروا فيما بينهم سرا الفتك بمواطنيهم من النصارى سواء كانوا إغريقاً أو سرياناً أو أرمناً، إلا أن أحد عقلاء أنطاكية أقنعهم بعدم القيام بذلك وإمهالهم ثمانية أيام حتى يتيقنوا من مصداقية وفائهم لمواطنيهم المسلمين وعدم تواطئهم مع الصليبيين. وتؤكد الخطة أن أهالي أنطاكية المسلمين عقدوا العزم على الفتك بهؤلاء النصارى بعد انتهاء المهلة إلا أنه حدث أن قام الصليبيون ليلة ذات اليوم بالاستيلاء على المدينة بمؤامرة مع فيروز. وتؤكد الخطة أنه في تلك الليلة – التي احتل بها الصليبيون المدينة – سمع كبار قادة أنطاكية ضجة، فظنوها بدء مؤامرتهم هم ضد مواطنيهم من النصارى، لذا لم يديروا لهذه الضجة بالا(١٥٥).

وتواصل الخطة «البوهيموندية» تتابع سردها التاريخي، فتذكر أن فيروز حاول جاهداً كسب أخيه إلى جانبه حتى يعينه على إتمام المؤامرة التي اتفق هو شخصياً مع

(١٥٤) وليم الصوري: ص ٣٤٤-٣٤٩.

(١٥٥) وليم الصوري: ص ٣٤٩-٣٥١.

الصليبيين على القيام بها، إلا أنه اكتشف أن أخاه يوالي الترك ويعادي الصليبيين، لذا قرر عدم إخباره بسر المؤامرة تلك. وعموماً نفذت الجيوش الصليبية - وفقا للخطة - خطة فيروز، حيث احتشدت في الساعة التاسعة (حوالي الثالثة ظهراً)، فتظاهرت بالزحف نحو الشرق ملاقاة الحملة السلطانية وفك الحصار عن أنطاكية. فظن أهل أنطاكية أن هذا نهاية الحصار لمدينتهم فأخلدوا للراحة، ووفقاً للخطة البوهيموندية فإن «البطل» بوهيموند قام بنفسه بالتسلق مع جنوده - بواسطة الأحبال والسلالم - على برج الأختين الواقع جنوب المدينة، ثم أقبل المخطط «المخلص فيروز» الذي أمسك بيد بوهيموند وقال «عشت يداً، وسلمت»، وبعد الاستيلاء على هذا البرج الذي كان يتكفل فيروز بحراسته تزاحم فرسان الصليبيين للتسلق والسيطرة على الأبراج القريبة من برج الأختين حتى إن كبار قوادهم تقدموا عندما لاحظوا أقدام بوهيموند ومن هؤلاء القادة كونت فلاندرز واللورد تنكريد ابن أخت بوهيموند(١٥٦).

وتمكن الصليبيون بمساعدة فيروز من الاستيلاء على عشرة أبراج بعد أن قتلوا المدافعين عنها، حدث كل هذا الأمر وأهل أنطاكية يلفهم الليل ولايعلمون مادبر لهم تلك الليلة. ثم فتح الصليبيون باباً سرياً دخل منه كثير من عسكر الصليبيين واندفعوا نحو بوابة الجسر الواقعة جنوب غرب المدينة وقتلوا المدافعين عنها في هجوم عنيف. والجدير بالذكر أن غالبية المهاجمين تجمعوا عند هذه البوابة نظراً لاتساعها حيث ستكون المدخل الرئيسي للمهاجمين، ثم وضع أحد جنود بوهيموند راية سيده على تل يشرف على المدينة حتى تكون واضحة لأهالي أنطاكية عند طلوع الفجر فيعلموا أن مدينتهم قد احتلت من قبل الصليبيين خاصة جيش بوهيموند.

ومع شروق الشمس نفخ الصليبيون الأبواق إيذاناً ببدء هجومهم الشامل، ودخلوا من البوابات التي سيطروا عليها تلك الليلة خاصة بوابة القديس جورج

(١٥٦) وليم الصوري : ص ٣٥١-٣٥٦؛ صاحب الجستا ص٦٨؛ ريمون الاجويلري، المصدر السابق، ص٢٢٦.

(الجنوبية) وبوابة الجسر، وقد كانت هذه إشارة اتفق عليها قادة الجيوش الصليبية. وهكذا بدأ الهجوم الكبير، وذهل أهل أنطاكية من منظر الفرسان الصليبيين يقتحمون مدينتهم، ففروا بحثاً عن مأمن، ولم يتأخر الصليبيون جهداً في قتل كل من تقع عليه أعينهم من المسلمين. وفرح نصارى انطاكيه بهذا الامر حتى إنهم تعاونوا مع الصليبيين وساعدوهم على قتل مواطنيهم من المسلمين، وأرشدوهم إلى طرق المدينة وممراتها الصعبة فكانوا نعم العون لهم على إتمام مذبحة مواطنيهم المسلمين. ووفقا للروايات الصليبية قتل في ذلك اليوم من المسلمين عشرة آلاف حتى إن جثثهم آذت الصليبيين، ولم يفرق الصليبيون في القتل بين رجل وامرأة أو مدني أو مقاتل أو صغير أو كبير فالجميع سواسية أمام سيوف الصليبيين (١٥٧).

إلى هنا انتهت خطة بوهيموند التي مزجت بالأساطير التي نسجها بوهيموند من خياله وتناقلها المؤرخون الصليبيون المعاصرون وغيرهم فأصبحت مع كثرة ترديدها كأنها حقيقة لا جدال فيها. وقد أوهم بوهيموند القادة الصليبيين أنه اتفق مع «فيروز» وأنه أعد كل الأمور لإتمام الاستيلاء على أنطاكية حتى يكون هو صاحب الفضل الأكبر في الاستيلاء عليها وكأنه هو البطل الأوحد الذي قام بهذه المهمة التي أنقذت الصليبيين المحاصرين لأنطاكية من خطر الحملة السلطانية وأنقذت الحملة الصليبية الأولى من فشل ذريع، فلم يكن هناك أحد يضع خطة كخطة «فيروز العظيمة» للاستيلاء على المدينة سوى «بوهيموند» فالخطة بكل تفصيلاتها هي خطة بوهيموند، ولم يكن هناك أحد ينسق مع بوهيموند سوى نصارى أنطاكية من أرثوذكس وسريان وأرمن. وهو ماحدث فعلاً عندما دخل الصليبيون المدينة حيث قدموا خدماتهم الكبيرة لهم، كما أن فيروز نفسه لانعلم مانهايته وكيف كافأه حليفه الحميم بوهيموند على خدماته تلك، ويبدو أنه لم يكن موجوداً حتى في البرج الذي كان يقوم بحراسته أثناء بداية الهجوم الصليبي، ويبدو أن مسألة تآمر فيروز مع بوهيموند هي

---

(١٥٧) وليم الصوري : ص ٣٥٦-٣٥٩؛ فولشر الشارتري ص١٢٨؛ صاحب «الجستا» ص٦٨-٦٩.

أسطورة نسجها خيال بوهيموند ليبعد شبهة تآمر نصارى أنطاكية خاصة الأرمن منهم مع الصليبيين وكأن المؤامرة أتت من مسلمي أنطاكية وليس من النصارى. والجدير بالذكر أن المؤرخ السرياني المجهول لم يذكر أية معلومة تتصل بفيروز هذا بل ذكر [illegible] بوهيموند ولم يحدد هوياتهم ودياناتهم.

فرار ياغي سيان ومقتله :

ووفقاً لرواية ابن الأثير فإن ياغي سيان عندما رأى هجوم الصليبيين المباغت وفرار رعاياه ناحية قلعة المدينة الواقعة إلى الشرق منها فرّ هو مع حوالي ثلاثين من فرسانه من المدينة جهة بوابة الحديد، ويبدو أن ياغي سيان ظن عند رؤيته راية بوهيموند منصوبة على إحدى تلال عاصمته أن الصليبيين قد تمكنوا فعلاً من دخول المدينة والاستيلاء عليها بالكامل، لذا قرر الفرار حتى لايقع أسيراً بأيدي الصليبيين وبالتالي سيكون مصيره القتل. ولايستبعد أنه فرحتى ينضم للحملة السلطانية ليساهم بشكل فاعل في استرداد المدينة من الصليبيين خاصة أن قلعة المدينة لم تسقط حتى ذلك الحين بيد الصليبيين، حيث تحصن فيها ابنه شمس الدولة مع من تبقى من قوات أنطاكية، إلا أن مجموعة من الأرمن صادفوه في طريقه فقتلوه غدراً، وقطعوا رأسه ليقدم هدية للصليبيين المتعطشين لرؤية هذا الرأس. وهكذا سقط الرجل الذي استطاع بفضل الله ثم بجهاده وجهاد إخوانه من أهل أنطاكية أن يذيق الصليبيين أهوالاً لم يتصوروا أنها ستواجههم في حصار أنطاكية خاصة أنهم تواكلوا على كثرة جيوشهم التي فاقت جيش ياغي سيان عشرات المرات. وقد ذهل الصليبيون أنفسهم من شجاعة أهل أنطاكية وقائدهم ياغي سيان فقد اكتشفوا عندما استولوا على المدينة وجود خمسمائة حصان فقط صالحة للقتال، وكانت تلك الخيول ضامرة قد نهشها الجوع نهشاً، فكيف بقوات بهذا الضعف تقف صامدة أمام الجيوش الصليبية الجرارة التي أرهبت الامبراطور البيزنطي بكثرتها عندما احتشدت في عاصمته القسطنطينية.

كما أصر مجموعة من فرسان أنطاكية على عدم الاستسلام فقام ثلاثمائة منهم بمحاولة الفرار نحو القلعة بالرغم من إحاطة الصليبيين بهم، وفروا جهة القلعة عن طريق ممر ضيق حيث أحاط فرسان الصليبيين بهم فلم يستسلموا لليأس فحاولوا [illegible] من أعلى التل ليصلوا للقلعة [illegible] حاولوا [illegible] [illegible] وتقطعت أشلاءهم فكان منظرهم [illegible] بهذه الصورة البشعة بل لأنهم خسروا هذه الخيول الممتازة لتكون غنيمة لهم. وكان كثير من هؤلاء الفرسان - الذين استشهدوا - أشرافاً قدموا من مناطق مسلمة مختلفة لمساعدة أهل أنطاكية، وهذا يؤكد لنا نجاح سياسة ياغي سيان في كسب تعاطف إخوانه في المدن الأخرى.

ووفقاً لريمون الأجويلري فقد غنم الصليبيون غنائم ثمينة عوضتهم عن قلة المؤن والطعام في المدينة، فكانت الفضة والذهب والجواهر الثمينة والبسط والأقمشة الحريرية عزاء لهم، ولم يسلم نصارى أنطاكية من سلب ونهب الصليبيين الذين أتوا لتخليصهم - كما زعموا - من استبداد المسلمين. وبهذا استغنى قادة الحملة الأولى من هذه الغنائم وازداد الفقراء من العامة فقراً لتحقيق مطامع القواد أمثال بوهيموند وريمون كونت تولوز وغيرهما. ومن جهة أخرى يذكر ألبرت الأكسي أن غنائم الصليبيين من أنطاكية لم تكن كبيرة، وهذا يؤكد مدى مابذله ياغي سيان والمدافعون عن أنطاكية من جهود للدفاع عن عاصمتهم بالرغم من قلة إمكاناتهم المتاحة من عدد وعدة. وكان سقوط أنطاكية في الثالث من يونيو من سنة ١٠٩٨م، وفتح هذا النصر الصليبي الطريق نحو الاستيلاء على القدس وإقامة إمارات صليبية استوطنت المنطقة حوالي قرنين من الزمان، عانى خلالهما الشرق الإسلامي والغرب اللاتيني الأمرين(١٥٨)، ولاتزال آثارهما ماثلة في حضارتي كلا الفريقين حتى يومنا الحاضر.

(١٥٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، الجزء الثامن ص ١٨٦؛ وليم الصوري ص٣٥٩-٣٦١؛ صاحب الجستا ص٧٠؛ Anonymous Syriac Chronicle, P 71 ؛ رانسمان ص٣٥١؛John France, P 267 ، ملاحظة : نقلت معلومة منسوبة لألبرت الأكسي من كتاب جون فرانس.

الخاتمة

ونأتي الآن لتقويم دور ياغي سيان صاحب أنطاكية في مواجهة الحملة الصليبية الأولى، وقبل تقويم دوره يحسن بنا أن نقارن إمكانات ياغي سيان بإمكانات الجيوش الصليبية التي قامت بحصار عاصمة أنطاكية.

إمكانات ياغي سيان مقارنة بالصليبيين :

كان ياغي سيان يحكم إمارة صغيرة جغرافيا، والجدير بالذكر أن هذه الإمارة ضمت قرى وحصوناً لم تشكل قوى مساندة فاعلة لأمير أنطاكية. كما أفادت الطبيعة الجغرافية التي منحها الله لأنطاكية في تشكيل موانع طبيعية لها من التهديدات الخارجية. وكان لطبيعة تضاريس مدينة أنطاكية عامل رئيسي في زيادة دعم مناعاتها خاصة إحاطتها من جهة الشرق والجنوب الشرقي بسلاسل جبلية. إن طبيعة تضاريس إمارة أنطاكية جعلت ممرات طرقها محددة. وقلة الممرات هي ميزة لصالح أنطاكية في حالة حصارها من قبل الأعداء لأن المدافعين عن المدينة يتوقعون مرور الأعداء من هذه الممرات المحددة، ولكن في حالة حصارها يصبح من الصعوبة على المدافعين إحضار مدد لهم، خاصة عند السيطرة على هذه الطرق من قبل أعدائهم، وهو ماحدث عند حصارها من قبل الصليبيين خلال الحملة الأولى. كما أن قلة هذه الممرات في حالة حصارها تسبب خطراً على المحاصرين أنفسهم وليس فقط على المدافعين لأنه يسهل قطع هذه الممرات القليلة وهو مانجح فيه ياغي سيان خلال حوالي ستة أشهر من الحصار، إلا أن استيلاء الصليبيين على ميناءي أنطاكية (السويدية والاسكندرونة) منع إيصال نجدة للمدافعين من هذين الميناءين.

وإضافة إلى حصانة أنطاكية الطبيعية فقد كان لها سور طويل منيع يحيطها من جميع الجهات حتى الجهات الجبلية منها «الشرقية»، ويحتوي هذا السور على أعداد كبيرة من الأبراج التي شكلت عائقاً مهماً أمام أي هجوم خارجي، كما أن سور

المدينة تعلوه ٢٤ ألف شرفة يمكن أن يتحصن خلفها المدافعون، ونظراً لحصانة أنطاكية فإن الصليبيين لم يجرؤوا على شن هجوم لتسلمها طوال تسعة أشهر، إلا بعد أن أتتهم أخبار قدوم الحملة السلطانية لنجدة أنطاكية بقوات تقدر بمائة ألف مقاتل، وهنا قرروا الهجوم على المدينة بعد تآمرهم مع أهالي أنطاكية من النصارى.

وتوافرت للمدينة العناصر الرئيسية للحياة والدفاع من خطر خارجي، فقد توافرت فيها المياه من نهر العاصي، فلم يعان أهالي المدينة ندرة المياه خلال حصار الصليبيين الطويل لها والذي امتد تسعة أشهر، كما أن توافر مياه نهر العاصي إضافة إلى غزارة أمطارها شتاء سهل فرصة زراعة علف لخيول أنطاكية وماشيتها، وكانت المنطقة الجنوبية هي أهم منطقة رعي لخيول المدينة وماشيتها، ولكن عندما تمكن الصليبيون من إحكام الحصار على المدينة خاصة من قبل تلك المنطقة في إبريل ١٠٩٨م، استطاعوا شن هجمات خاطفة أضرت بأهالي أنطاكية كثيراً وتمكنوا خلالها من الاستيلاء على كثير من خيولها وماشيتها، وعانت أنطاكية قلة المؤن والطعام لأول مرة منذ بدء حصارها.

أما مايتصل بإمكانات ياغي سيان وإمارة أنطاكية عسكريا من حيث عدد المقاتلين ونوعياتهم، فقد كانت تملك ألفي فارس من الفرسان المهرة وألفي فارس من الفرسان غير المهرة إضافة إلى مشاة يقدرون بأربعة آلاف مقاتل، وتضم هذه القوات إضافة إلى عسكر أنطاكية قوات متطوعة أتت لنجدتها من مناطق متفرقة.

إن انضمام قوات متطوعة إلى قوات ياغي سيان يؤكد نجاحه في كسب هؤلاء المتطوعين لمناصرة قضية الدفاع عن أنطاكية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تقدير قوات ياغي سيان بثمانية آلاف هو أعلى تقدير لها وهو تقدير استقيناه من مصادر صليبية وليس من مصادر مسلمة. ويبدو أن قواته لم تتجاوز الخمسة آلاف، خاصة إذا علمنا أن مملكتي دمشق وحلب، وهما أقوى عسكريا من إمارة أنطاكية لم تتجاوز قوات كل منهما مابين سبعة إلى تسعة آلاف في أحسن الأحوال. أما مايتصل بالإمكانات

الصليبية العسكرية من الناحية العددية فهي في أقل تقدير سبعون ألفا، بينما تقدرها مصادر صليبية أخرى بثلاثمائة وستين ألف مقاتل، تضم سبعين ألف فارس، وهكذا تصبح نسبة قوات ياغي سيان في أقل تقدير لها بمقارنتها بالقوات الصليبية ١/ ١٤، وهذه مشاركة كبيرة بين خصمين غير متكافئين.

أما مايتصل بإمكانات تقديم عون ونجدة لأنطاكية من قبل قوى حليفة. فقد أوضحت عند الحديث عن وضع بلاد الشام - قبل تسلم ياغي سيان لأنطاكية ثم بعد توليه لها - مدى ماكانت تعانيه القوى المسلمة تلك من تفكك وضعف وخاصة أن ياغي سيان نفسه شارك شخصياً في الصراعات التي عصفت بتلك القوى.

كما أن وقوف ياغي سيان إلى جانب سيده تتش في صراعه ضد السلطان بركياروق عام ٤٨٧هـ لم يمنع ياغي سيان من طلب الدعم من جميع القوى المسلمة بما فيها القوى التي تحالف ضدها في بعض الأحيان كالسلطان بركياروق نفسه، وفعلا استجاب السلطان السلجوقي بركياروق لطلب ياغي سيان وأرسل حملة كبيرة يقودها كاربوقا والي الموصل التي كانت تعتبر آنذاك من أهم معاقل السلطنة السلجوقية وشكلت تلك الحملة قوة إمداد كبيرة للجيوش المسلمة.

ثم تورط في صراع الأخوين رضوان - صاحب مملكة حلب - ودقاق صاحب مملكة دمشق، ولم يجن من هذا التورط سوى عدم ثقة هذين الملكين به، ومع هذا لم يتردد ياغي سيان في طلب نجدة من كلتا المملكتين على الرغم من تقلب ولائه تجاههما، وقد استجابت كلتا المملكتين في إرسال نجدتين متفرقتين في وقتين مختلفين دون أن تنسقا فيما بينهما. وعلى الرغم من عدم تحقيق كلتا النجدتين نجاحات كبيرة في فك الحصار عن أنطاكية أو تخفيف وطأة الحصار فإن استجابة كلتا المملكتين المتنافستين لطلب نجدة أنطاكية تؤكد نجاح سياسة ياغي سيان في كسب تأييدهما.

وبشكل عام ارتبطت علاقات ياغي سيان بعد هزيمة تتش ومقتله في عام

٤٨٧هـ، وبعد اقتسام أملاكه بين ابنيه الكبيرين رضوان ودقاق، بتحالفاته المتقلبة بين رضوان ودقاق، بينما لم تورد المصادر التاريخية مايؤكد وجود صلات خارجية بينه وبين القوى المسلمة التركية التي استقلت في أغلب آسيا الصغرى كسلاجقة الروم في أواسط آسيا الصغرى وبني الدانشمند في الأجزاء الشرقية منها وأمراء سميرنا على الساحل الغربي لآسيا الصغرى (الساحل الأيوني) [illegible] بالذكر أن الصدامات الأولى للحملة الصليبية بدأت مع القوى المسلمة في آسيا الصغرى خاصة سلاجقة الروم، وقد أوضحت عند الحديث عن حملة العامة عام ١٠٩٦م ثم حصار الحملة الصليبية النظامية لعاصمة سلاجقة الروم وهي مدينة نيقية ثم استسلامها للقوات البيزنطية وليس الصليبية في يونيو ١٠٩٧م وأخيراً هزيمة ضوريليوم في يوليو ١٠٩٧م والتي منيت بها قوات سلاجقة الروم بهزيمة كبيرة لم تمكنهم من مواجهة قوة دفع الحملة الصليبية التي زحفت لحصار أنطاكية موضوع هذه الدراسة أن ياغي سيان كان آنذاك عندما وردته أخبار زحف القوات الصليبية نحو عاصمته مشغولاً في صراع القوى السلجوقية في بلاد الشام بين الملكين رضوان صاحب حلب ودقاق صاحب دمشق، ويبدو أنه لو كانت هناك علاقات قوية بين ياغي سيان وتلك القوى لما انشغل بصراع القوى السلجوقية بينما استسلمت نيقية للبيزنطيين قبل حوالي أربعة أشهر من بدء حصار أنطاكية الذي بدأ في ١٨ من أكتوبر ١٠٩٧م. ومُنيَ سلاجقة الروم بهزيمة كبيرة في ضوريليوم على أيدي الصليبيين بعد حوالي عشرة أيام من استسلام نيقية. ويبدو أن ياغي سيان لم ينسق مع القوى المسلمة في آسيا الصغرى، بل إن هذه القوى نفسها لم تنسق فيما بينها إلا بعد سقوط نيقية حيث وردت أخبار تحالف سلاجقة الروم مع بني الدانشمند قبل معركة ضوريليوم. أما بالنسبة لباقي القوى المسلمة في بلاد الشام عدا مملكتي حلب ودمشق فقد كان أهمها الدولة الفاطمية التي كانت لاتزال تحتفظ بمراكز ساحلية كثيرة عدا بعض المناطق الساحلية التي أعلنت استقلالها كإمارة طرابلس وتوابعها وكذلك القدس التابعة للأراتقة، وقد وقفت الدولة الفاطمية موقفا سلبيا تجاه العدوان

الصليبي على بلاد الشام المسلمة، وقد كان الأولى بها أن تتعاون مع القوى المسلمة الأخرى كالسلطنة السلجوقية والقوى المستقلة الأخرى في بلاد الشام - كمملكتي حلب ودمشق - ضد هذا العدوان، لاسيما أنها - أي الدولة الفاطمية - كانت القوة المسلمة الوحيدة التي تملك آنذاك أسطولاً نظراً لأهمية الأسطول في [illegible] إعانة سريعة خاصة للمدن الساحلية المحاصرة من قبل الصليبيين كأنطاكية، إلا أنها عرضت التحالف مع الصليبيين ضد إخوانها من القوى المسلمة، فكان هذا التحالف ضربة كبيرة لاسيما لياغي سيان الذي كان يجاهد لفك الحصار الصليبي عن عاصمته بينما كانت وفود فاطمية تزور الصليبيين المحاصرين لأنطاكية لعقد تحالف ضد السلاجقة والقوى التابعة لهم بما فيها إمارة أنطاكية. ومن دون شك كان لفكرةالتحالف هذه دافع كبير للصليبيين للصبر على المشاق الكبيرة التي عانوا منها عند حصار أنطاكية فقد أيقنوا أن الصراع بين الفاطميين والسلاجقة - نظراً للاختلاف المذهبي بين الدولتين - سيرجح فرصة نجاح حملتهم وهو ماسيتحقق فعلا ولاسيّما بعد سقوط أنطاكية بأيديهم.

أما بالنسبة للقوى المستقلة الأخرى في بلاد الشام فلم تكن تشكل قوة يمكن التعويل عليها لنجدة أنطاكية كالأراتقة في بيت المقدس الذين كانوا آنذاك متحالفين مع رضوان -صاحب حلب - ضد أخيه دقاق صاحب دمشق، كما أن بني عمار في طرابلس وأعمالها لم تكن لهم قوة يُعتد بها. وكذلك بالنسبة لبني منقذ في شيزر أشد تلك القوى ضعفا ومسالمة للصليبيين. ويبدو أن من أهم إسهامات هذا البحث هو مناقشة التحالفات والصراعات بين القوى المسلمة - خاصة في بلاد الشام قبل الحملة الصليبية الأولى - بشيء من التفصيل والتحليل.

بعد أن تحدثت عن القوى المسلمة التي كان يمكن أن تقدم نجدة لياغي سيان صاحب أنطاكية، ألقي الضوء على مدى نجاح خصوم أنطاكية من جيوش الحملة الصليبية في كسب عون القوى المعادية لأنطاكية لها خاصة عند حصارهم

لأنطاكية،فقد كانت الدولة البيزنطية أهم تلك القوى على الإطلاق التي قدمت دعما كبيراً للجيوش الصليبية حتى قبل حصار أنطاكية، فلم يكن من الممكن للجيوش الصلبية بهذه الأعداد الكبيرة أن تزحف المسافات الشاسعة لتقوم باحتلال أجزاء من بلاد الشام والجزيرة الفراتية إلا بدعم كبير من الدولة البيزنطية صاحبة الإمكانات الكبيرة التي توقفت وقف التقدم الإسلامي نحو أوروبا الغربية من قبلها طوال حوالي خمسة قرون، كما قدمت القوى المسيحية في المنطقة والتي كانت تستظل تحت سيادة المسلمين دعماً كبيراً للجيوش الصليبية، ومن أهم تلك القوى المسيحية الأرمن الذين ساندوا الصليبيين سواء بالقتال إلى جانبهم أو بتوفير المؤن لهم خاصة أرمن الرها. فقد قدمت كونتية الرها الصليبية ذات الأغلبية الأرمنية دعماً كبيراً خاصة عندما داهمت الصليبيين المحاصرين لأنطاكية مجاعة في فصل الشتاء القارص الذي يصعب فيه الملاحة آنذاك.

تقييم دور ياغي سيان في مقاومة الحملة الصليبية :

إن نجاح ياغي سيان في مقاومة جيوش الحملة الصليبية التي تفوقت على قواته في أقل تقدير عن أربعة عشر ضعفاً لمدة تصل تسعة أشهر لهو دليل واضح على تميز شخصيته كقائد عسكري محنك، فقد تميز ياغي سيان بصفة الشجاعة فلا يعقل أن يصمد قائد بإمكانات قليلة مقارنة بأعدائه هذا الصمود إذا لم يكن شجاعاً. وقد يقول قائل لماذا هرب ياغي سيان من عاصمته عندما رأى راية أحد الجيوش الصليبية مرتفعة في موضع بارز في عاصمته وذلك صباح يوم الهجوم الكبير عليها في الثالث من يوليو ١٠٩٨م، ويبدو أن ياغي سيان ظن أن عاصمته قد سقطت جميعها بأيدي الصليبيين ذلك الصباح ولم يظن أن بقية المدينة لم تسقط بما فيها قلعة المدينة التي تحصن بها ابنه مع من نجا من المدافعين عن أنطاكية.

أما فيما يتعلق بنجاحه في ضبط قواته أثناء حصار المدينة، فقد نجح نجاحاً كبيراً في هذا الجانب، فلم يرد دليل على ظهور تذمروعصيان لقوات أنطاكية ضد قائدهم

ياغي سيان، وقد أوضحت من خلال هذه الدراسة أن الرواية التي تزعم أن جماعة من أهل أنطاكية تآمروا مع الصليبيين ضد قائدهم ياغي سيان رواية واهية لاتستند إلى أدلة دامغة. وقد أكدت أن من تآمر مع الصليبيين هم جماعة من نصارى أنطاكية، وقد [illegible] الرواية الواهية [illegible] هذا البحث المتواضع هو تفنيد هذه الرواية. وبالرغم من شدة حصار الجيوش الصليبية لأنطاكية وطوله فقد وجدنا المدافعين عنها يطيعون أوامر قائدهم ياغي سيان بكل ثقة ودقة حتى إنهم قاموا بمهام قتالية فيها مخاطرة كبيرة على حياتهم، ولم يتوانوا عن تنفيذها، فقد خرجوا جماعات من مدينتهم المحاصرة وذلك لقطع خطوط إمدادات الجيوش الصليبية الجرارة. إن هذا يؤكد مدى نجاح ياغي سيان في رفع معنويات جنوده لفترة طويلة على الرغم من شدة الحصار عليهم وقلة الناصر لهم حتى وصول الحملة السلطانية التي وصلت بعد فوات الأوان وسقوط المدينه بالخيانة.

أما مايتصل بالخبرات القتالية لدى ياغي سيان، فقد أشرت كثيراً إلى أهمية أنطاكية العسكرية للمسلمين كقصبة لإقليم العواصم وحرص الامبراطورية البيزنطية على الاحتفاظ بها، فلايعقل أن يسلمها السلطان السلجوقي ملكشاه لقائد ليس مؤهلاً عسكرياً للدفاع عنها، وقد أثبتت الأحداث أن ثقة ملكشاه بياغي سيان كانت في محلها، كما اكتسب ياغي سيان خبرات قتالية خلال مشاركاته الفعلية في القتال إلى جانب سيده تتش صاحب دمشق وكذلك خلال تنافس الأخوين ملكي حلب ودمشق.

ولايستبعد أن يكون ياغي سيان استفاد من خبرات سلاجقة الروم في قتالهم ضد الجيوش الصليبية، ويبدو أن ياغي سيان قد علم أن مواجهة جيوش كبيرةتتفوق على جيشه كثيرا جدا في قتال مواجهة مباشرة سوف تؤول إلى كارثة لجيشه كما حدث لقوات قلج أرسلان في ضوريليوم. ولذلك اتبع سياسة حرب عصابات ضد

الجيوش الصليبية لأنها أنجح من المواجهة المباشرة مع جيوش كبيرة جداً، حيث تخرج جماعات تتشكل من عدة مئات وتهاجم القوات الصليبية التي تنفرد عن الجيش الرئيسي. وقد حققت هذه الهجمات نتائج ممتازة حيث أعاقت الجماعات الصليبية التي كانت قد اعتادت على سلب المناطق المسلمة القريبة من أنطاكية. والجدير بالذكر أن المسلوبات التي كانت تسلبها تلك الجماعات العسكرية الصليبية كانت تمثل المورد الأساسي لتمويلها خاصة خلال فصل الشتاء حيث يندر ورود سفن تحمل المؤن لأنطاكية عبر ميناء السويدية نظراً لصعوبة الملاحة في هذا الفصل من فصول السنة.

وقد استمر ياغي سيان في اتباع سياسة حرب العصابات تلك حتى تمكن الصليبيون من إحكام حصارهم على أنطاكية وذلك بعد بنائهم عدة حصون كان آخرها في شهر أبريل ١٠٩٨م، وبإحكام حصار الصليبيين على أنطاكية شل عمل حرب العصابات تلك التي استنزفت الصليبيين كثيراً حيث أدت إلى حدوث مجاعة كبيرة مات نتيجتها أعداد كبيرة من جنود الصليبيين إضافة إلى موت أكثر خيولهم وهي أهم وسائل الحرب في ذلك الوقت. وقد أوضحت أثر حرب الاستنزاف تلك في الجيوش الصليبية التي خطط لها ياغي سيان ونفذها جنوده بإتقان كبير. ولو قدر لياغي سيان أن ينسق ويتعاون مع القوى المسلمة في بلاد الشام كمملكة حلب القريبة من إمارته لقطع خطوط إمدادات القوات الصليبية لأثمرت هذه السياسة نتائج أكثر خطورة على الجيوش الصليبية المحاصرة لأنطاكية، كما أنه لو قدر تعاون الدولة الفاطمية بأسطولها الكبير في قطع الطريق على السفن التي تقدم معونات للصليبيين عبر الموانئ القريبة من أنطاكية وخاصة السويدية لربما ماتت الجيوش الصليبية جوعاً ولفشلت الحملة الصليبية في بداية الطريق ولم نسمع عن عصر يدعى عصر الحروب الصليبية الذي امتد قرابة قرنين من الزمان، ولكن تفكك كثير من القوى المسلمة وخوف وجبن بعضها أعاقها عن تقديم دعم مهم لأنطاكية أثناء محنتها التي امتدت تسعة أشهر.

كما أثبت ياغي سيان كفاءة كبيرة في الدفاع عن عاصمته فيما يسمى بحرب الحصون حيث ضبط تحركات قواته داخل المدينة ووزع المسؤوليات على قادة جيشه. وقد أوضحت سابقا أن سور أنطاكية الذي يحيطها يبلغ محيطه اثني عشر ميلاً، وهو محيط طويل ويحتاج إلى أعداد كبيرة من الحرس لاتقل في الأحوال العادية عن أربعة آلاف فقد كانت الدولة البيزنطية أيام سيادتها على أنطاكية ترسل هذا العدد سنوياً وتغيره حتى لا يمل - فيما يبدو - هؤلاء الحراس نظراً لصعوبة مهمتهم في الحراسة. هذا مايتعلق بالظروف العادية أما أن تُحاصر المدينة بجيش كبير يتفوق عليها بأكثر من أربع عشرة مرة كالصليبيين، وهو جيش متمرس على قتال الحصون في بلاده فهذا أمر يؤكد نجاح ياغي سيان في إتقان حرب الحصون بكفاءة لاتقل بل تفوق الجيوش الصليبية التي تمرست على هذه الحرب لقرون عدة. والجدير بالذكر أن ياغي سيان وجنده كلهم من التركمان الذين يحسنون قتال الالتحام أكثر بكثير من حرب الحصون وقد ضربنا مثلاً واضحاً لفشل التركمان في الدفاع عن نيقية من جيوش الحملة الصليبية بالرغم من كونهم أكثر عدداً وعدة من جيش أنطاكية الذي يقدر مابين خمسة إلى ثمانية آلاف مقاتل. ويعود نجاح الصليبيين في حملتهم ضد نيقية إلى تفوقهم عددياً على المدافعين عنها، ولجوء المدافعين عنها إلى حرب الالتحام وهم أقل عدداً، وكان الأجدى بالمدافعين التحصن بمدينة نيقية والدفاع عنها واتباع سياسة حرب الحصون التي ربما استنزفت الصليبيين بصورة أكبر كما سيحدث لهم عند حصارهم لأنطاكية. ويبدو أن ياغي سيان أثبت للصليبيين أن التركمان المسلمين لهم قابلية على تطوير أنفسهم في تعلم فنون جديدة عليهم في القتال كحرب الحصون كما أثبت لهم كفاءة جنده في أداء هذا النوع من القتال الذي تمرس عليه خصومهم الصليبيون في بلادهم لفترة ربما امتدت عدة قرون.

أما مايتعلق بنجاح ياغي سيان في إدارة جهاز استخباراته، فقد أثبت كفاءة كبيرة في هذا الجانب، واستغل كل الإمكانات المتاحة لديه، فقد كانت له استخبارات توفر له المعلومات الدقيقة عن تحركات الجيوش الصليبية المحاصرة لعاصمته بل وحتى عن

الإمدادات القادمة لهذه الجيوش، وكان لديه «مرقب» يراقب منه تحركاتهم، وكان هذا المرقب في موضع أعلى قمة جبل في أنطاكية يدعى الأقرع، وقد كان يراقب بواسطة هذا المرقب ليس فقط المناطق القريبة من أنطاكية بل حتى السواحل القريبة [illegible] ميناء السويدية مثلاً ثم إرساله مجموعة من قواته لمهاجمة هذه النجدة وتحقيقه نجاحات كبيرة في هذاالمجال. كما استعان ياغي سيان بالأرمن الموالين له لموافاته بتحركات الجيوش الصليبية. إن نجاح ياغي سيان في كسب بعض الأرمن لموافاته بأخبار تحركات هذه الجيوش يدل على قدرته وكفاءته في إقناع هذه الفئة من النصارى بالتعاون معه ضد عدو يعتنق نفس دينهم وإن كانوا مخالفين لهم في المذهب.

كفاءة القيادة الصليبية وعلاقتها بمقاومة ياغي سيان :

أما فيما يتعلق بقادة الجيوش الصليبية ومدى كفاءتهم لقيادة الحملة الصليبية الأولى، فقد أوضحت في الدراسة أن حملات العامة التي خرجت قبل حملة الجيوش النظامية قادها قادة غير مؤهلين عسكرياً، بل تميزت جيوشهم بشكل عام بعدم الانضباط والفوضى وعصيان أوامر قيادتهم، أما قادة الجيوش في الحملة النظامية - وهو مايهمنا نظراً لأن ذلك متصل بموضوع هذه الدراسة - فقد كانوا قادة مؤهلين عسكرياً ويملكون خبرات طويلة في القتال. فقد قاد كثير منهم جيوشاً في حروبهم ضد بعضهم بعضا قبل اشتراكهم في الحملة الصليبية، وأشهر هؤلاء خبرة في قيادة جيوش كبيرة كان بوهيموند - صاحب تارنتو - الذي أوضحت دوره الرئيسي في تشديد الحصار على أنطاكية ثم الاستيلاء عليها بخديعة دبرها مع نصارى أنطاكية، فقد أيقن هذا القائد بخبرته الطويلة في القتال أن الاستيلاء على أنطاكية الحصينة التي يتزعم الدفاع عنها قائد محنك كياغي سيان لايتم إلا بالخديعة، وهو ماتم فعلاً، فضاعت أنطاكية، ثم ضاعت بلاد كثيرة من أيدي المسلمين، واحتل

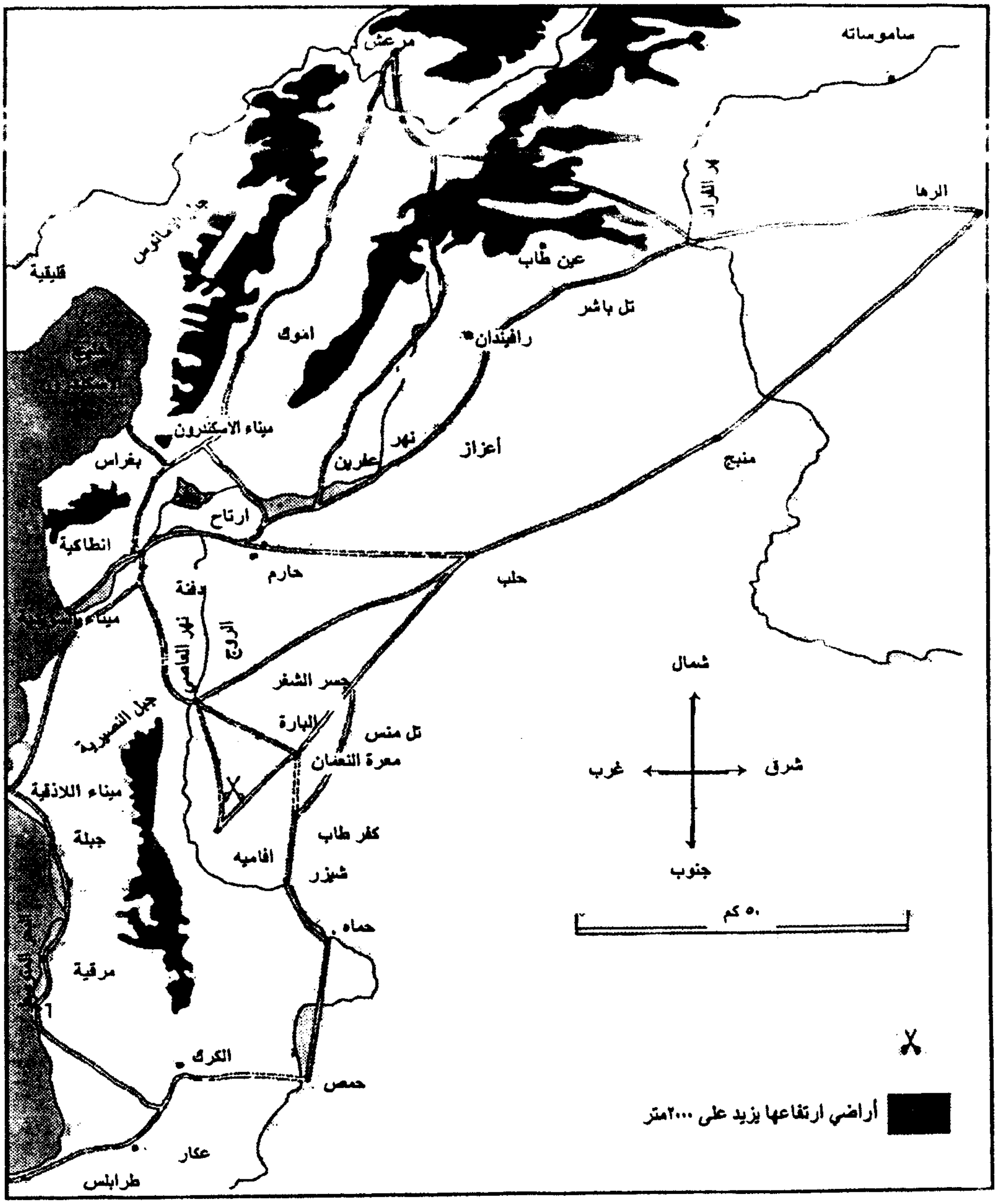
الصليبيون بلاداً إسلامية لمدة تصل إلى قرنين من الزمان.

وكانت أخطر مشكلة واجهت الحملة الصليبية النظامية هي عدم وجود قائد معين يطيعه بقية قادة الحملة؛ ذلك أن أكثر القادة الكبار من الحملة يرون أنهم لايقلون عن غيرهم في فرصة زعامة «القيادة العامة» للحملة، لذا نرى بعضهم يقترح ريمون - كونت تولوز - على الإمبراطور البيزنطي أن يقود الحملة الصليبية وربما حتى لايقف في موقف محرج عندما يتولى أحد القادة الصليبيين الحملة ويضطر لطاعته وعدم عصيان أمره. وقد أوضحت من خلال الدراسة مدى ما كان يحمله بعض القادة الصليبيين من حقد وحسد على بعضهم، وقد اتضح ذلك منذ أزمة طرسوس التي تنافس على السيطرة عليها تنكريد - ابن أخت بوهيموند - وبلدوين صاحب بويون - شقيق جودفروي - دوق اللورين الأدنى، فقدكان هذان القائدان بوهيموند وجودفروي - أهم متنافسين في قيادة الحملة الصليبية، ثم بدأ ريمون - كونت تولوز - في فترة متأخرة من حصار أنطاكية جهده لوقف طموحات بوهيموند الذي حاول الانفراد بحكم أنطاكية، ويبدو أن ريمون لم يجد من يقف إلى جانبه لذا أجل تنافسه مع بوهيموند ومواجهته بصراحة. ولايستبعد أن يكون خوف القادة الصليبيين من الحملة السلطانية القادمة لنجدة أنطاكية هو الذي جعلهم يؤجلون خلافاتهم وتنافسهم، وهو ماسيحدث فعلاً بعد استيلائهم على أنطاكية وهزيمتهم لتلك الحملة.

إن عدم وجود قائد عام للجيوش الصليبية كان عاملاً رئيسياً في ضعف قيادة تلك الجيوش. وقد أوضحت عدة أمثلة منها أن ينفرد بعض القادة بعمل ما دون أخذ موافقة القيادة الجماعية والتي كان يمثلها مجلس حرب. وحدث كثيراً أن نرى جيشا يخرج وينفرد عن بقية جيوش الحملة ويتعرض لهجمات خاطفة من المسلمين. وقد أوضحت أن معركة ضوريليوم كاد أن يكسبها سلاجقة الروم الذين هاجموا جزءاً من الجيوش الصليبية انفرد عن بقية الجيش الرئيسي، إلا أن القادة الصليبيين تداركوا

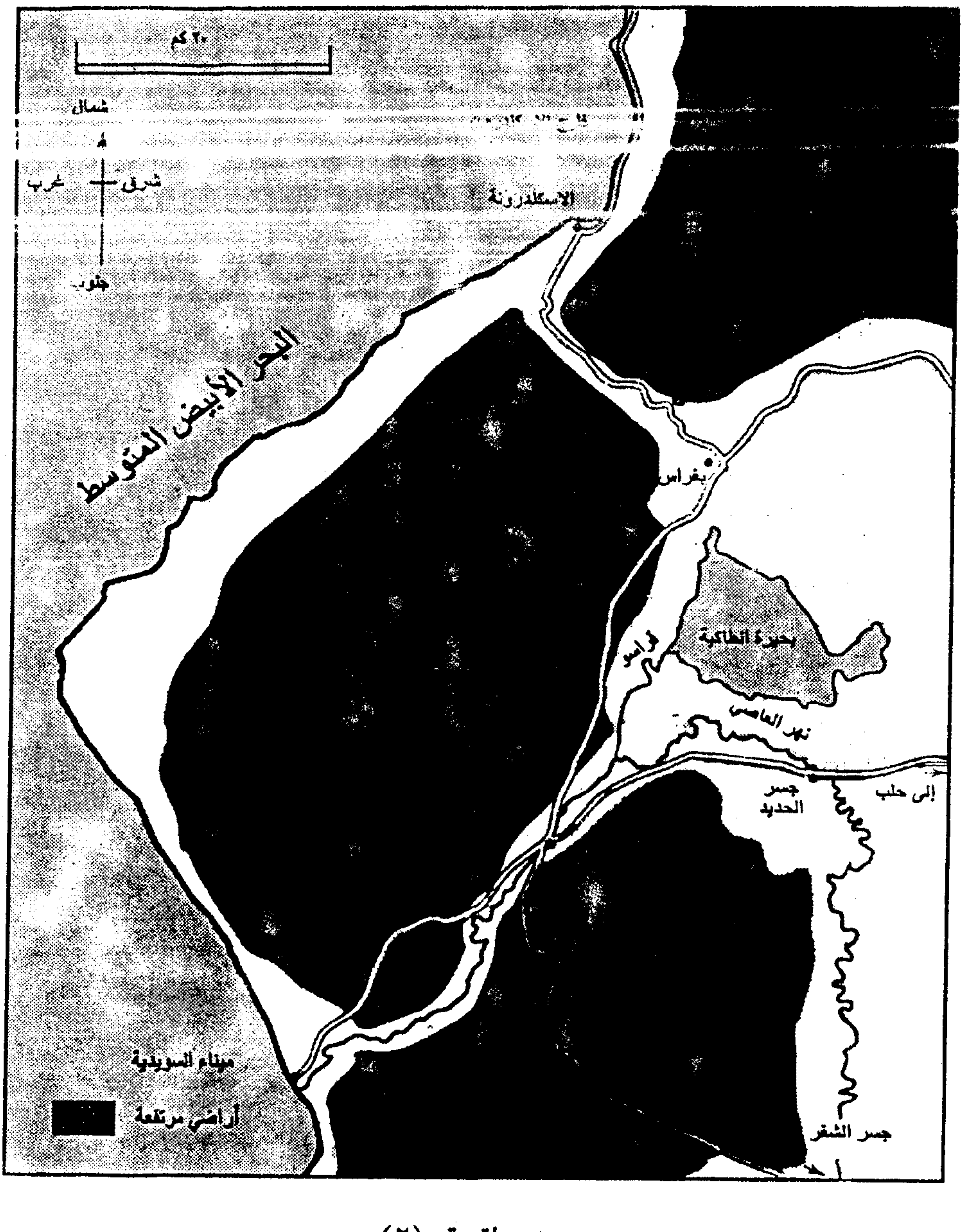
هذا الأمر قبل وقوع الكارثة المتوقعة. لذا نرى بعد حدوث كوارث للجيوش الصليبية - التي تنفرد بقراراتها ولاتلتزم بأوامر القيادة المشتركة - نرى تأكيد القادة الصليبيين وجوب الالتزام بأوامر القيادة المشتركة وذلك لتجنب حدوث كوارث مماثلة. كما أن عدم وجود قيادة موحدة ادى إلى تواني بعض القادة الصليبيين عن اداء المهمات الموكلة لهم، وقد رأينا من خلال الدراسة تكاسل أهم قادة الحملة ويدعى جودفروي - دوق اللورين الأدنى - عن القيام بعمل يعتد به خلال فترة حصار أنطاكية سوى توليه مهمة بناء حصن في الثامن من مارس ١٠٩٨م، وقبلها بيومين قام بمواجهة الحملة العائدة التي أرسلها ياغي سيان قبل أيام وهزمت قوات بوهيموند. فهذا القائد لم يقم - رغم شفاء جرحه منذ الأشهر الأولى لحصار أنطاكية- بأعمال توازي مايملكه من جيش كبير وأموال طائلة خاصة أنه في مرتبة دوق، فهو أعلى رتبة من غيره من بقية القادة الصليبيين الذين كان أغلبهم كونتانات.

ويبدو أن مشكلة عدم وجود قيادة موحدة عامل مهم في فشل الصليبيين في إحكام الحصار على أنطاكية إلا بعد مرور حوالي ستة أشهر من حصارها.



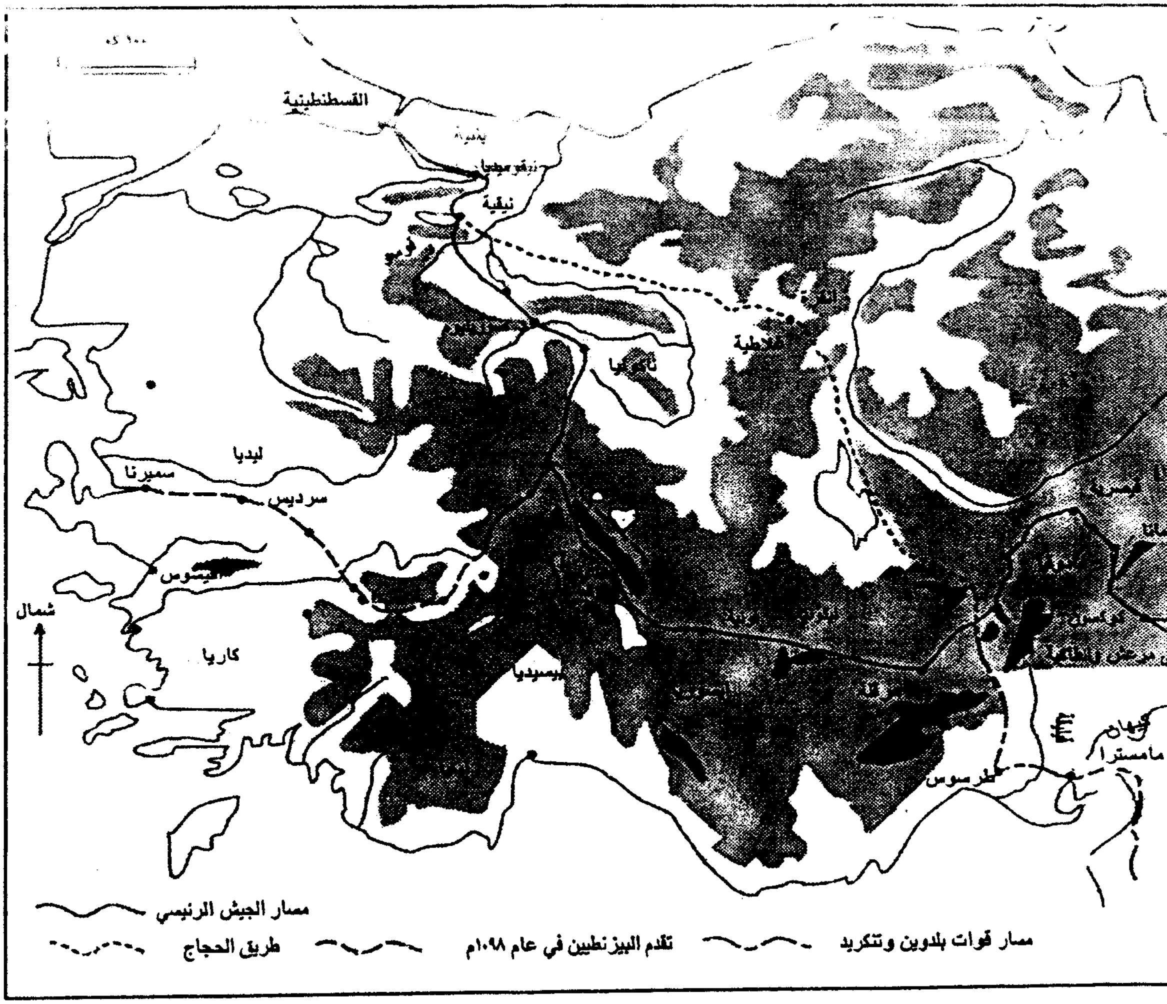
خريطة رقم (١)

شمال سوريا أثناء الحملة الصليبية الأولى



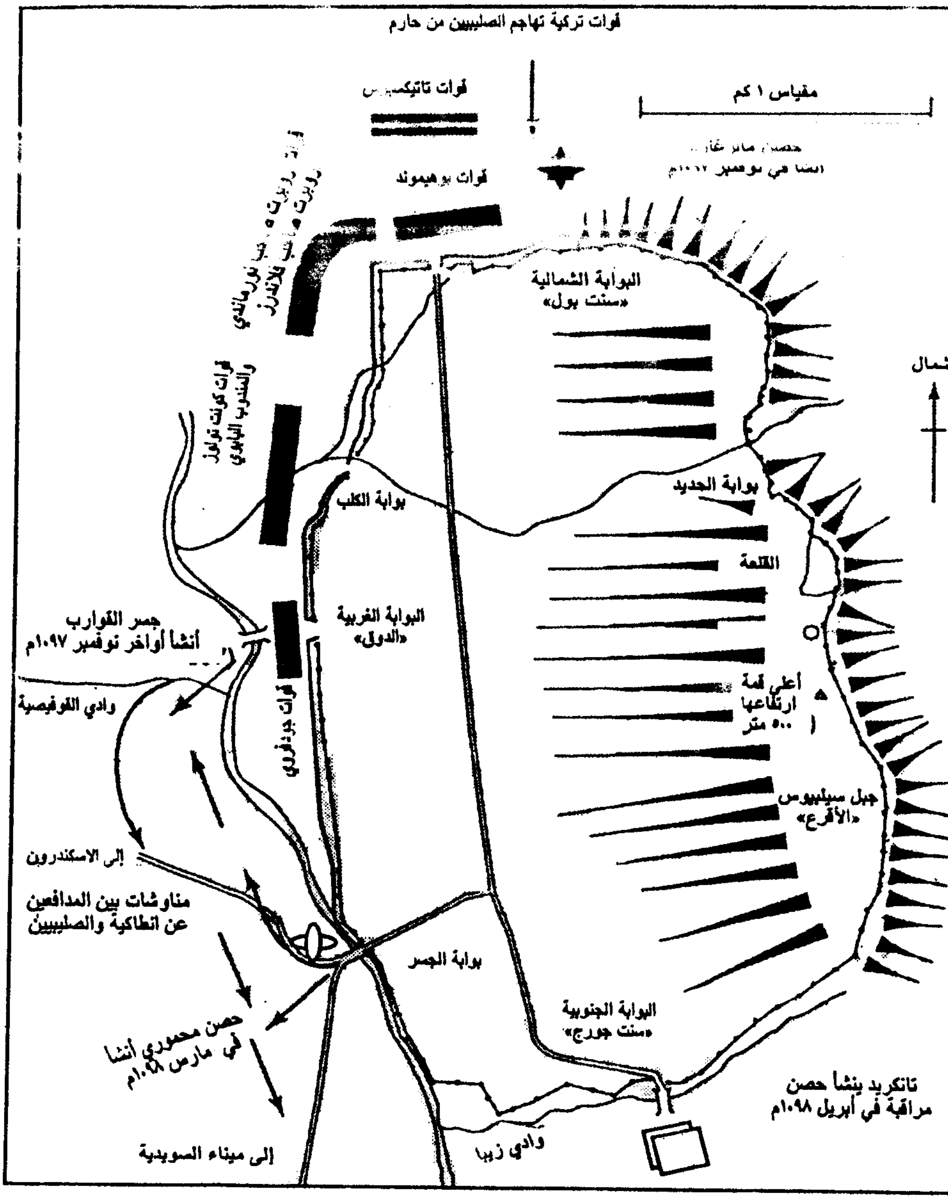
خريطة رقم (٢)

أنطاكية وضواحيها



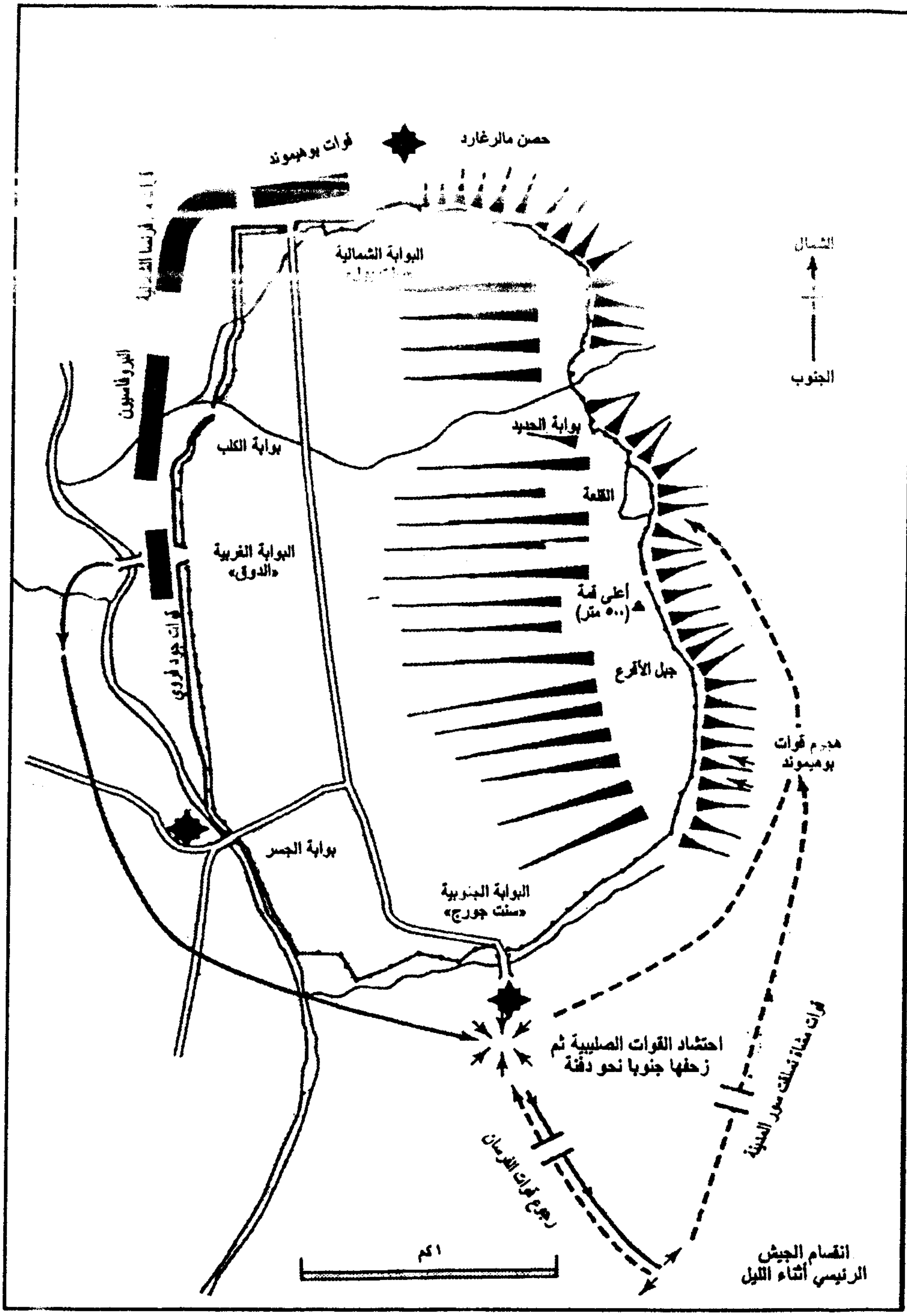
خريطة رقم (٣)

زحف الحملة الصليبية عبر آسيا الصغرى



خريطة رقم (٤)

أنطاكية محاصرة في الفترة من أكتوبر ١٠٩٧م حتى مايو ١٠٩٨م



خريطة رقم (٥)

خطة الصليبيين للاستيلاء على أنطاكية ليلة الثالث من يوليو ١٠٩٨م

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن العديم؛ كمال الدين : *بغية الطلب في تاريخ حلب*. تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٠م.
- *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، جزءان، تحقيق سامي دهان، دمشق، ١٩٥٤م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد :
- *الكامل في التاريخ*، تحقيق مجموعة من المؤرخين، القاهرة، ١٩٢٩م، المجلد الثامن.
- *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية «ملوك الموصل»*، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة : *ذيل تاريخ دمشق*، تحقيق أمدروز، ليدن، ١٩٠٨م.
- المسعودي :

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤م، الجزء الأول.

- ابن شداد، عز الدين :

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، المجلد الأول، تحقيق سامي دهان، ١٩٦٣م.

- ابن العبري، غريغوريوس الملطي : *تاريخ مختصر الدول*، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
- البنداري، أبو الفتح ابن علي : *تاريخ دولة آل سلجوق*، بيروت، ١٩٨٠م.

- الذهبي ، الحافظ :

العبر في خبر من غبر. تحقيق صلاح الدين المنجد، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٣م.

- الفاروقي، أبو الازرق : *تاريخ الفارقي*، تحقيق B.A.L عواد، القاهرة، ١٩٥٩م.
- الحموي، ياقوت شهاب الدين بن عبد الله : معجم البلدان، خمسة أجزاء، بيروت، ١٩٥٥م.
- الحُسيني، صدر الدين أبو الحسن علي : *أخبار الدولة السلجوقية*، تحقيق محمد إقبال، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن كثير، أبو الفدا :

البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، بيروت، ١٩٦٦م، الطبعة الأولى.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن : *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، حيدر أباد، ١٩٣٩م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف : *النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة*، المجلد الخامس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ابن العمراني، محمد بن علي :

الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السمرائي، الطبعة الثانية، الرياض، ١٩٨٢م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي :

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. تحقيق محمد أحمد، ثلاثة أجزاء، القاهرة، ١٩٧٣م.

ثانياً : المصادر غير العربية :

Anna Comnena : The Alexiade, translated by E.R.A. Sewter, Penguin Classics 1969

Fulcher of Chartres, Historia Hierosolymitana, ed. H. Hagenmeyer (Heidelbery, 1931) English Translation by H.S. Fink, A history of the Expedition to Jerusalem (Knoxiville), 1969.

ترجم الكتاب من اللغة الانجليزية إلى العربية الدكتور قاسم عبده قاسم تحت عنوان الوجود الصليبي في الشرق العربي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م.

William, Archbishop of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, Ed. Emily Babcock A.C. Krey, 2 Vols, New York, 1976.

William, Archbishop of Tyre, A history of Deeds Done Beyond the Sea, Ed. Emily Babcock A.C. Krey, 2 vols, New york, 1996.

وعنوان الكتاب الأصلي باللغة اللاتينية هو : Historia rerum in partibus trans-marinis gestarum, R.H.C Oc.1. وترجم الكتاب من الأصل الانجليزي الدكتور حسن حبشي تحت عنوان : «الحروب الصليبية (١٠٩٤-١١٨٤م)»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.

Anonymous Syriac Chronicle, tr. A.S. Tritton as "The First and Second Crusades from an Anonymous Syriac Chronicle", with notes by H.A.R. Gibb, Journal of the Royal Asiatic Society, 1933.

Gesta Francorum, The Deeds of the Franks, ed, and trans, by R.Hill, London, 1945.

قام بترجمة الكتاب من النص الإنجليزي إلى اللغة العربية الدكتور حسن حبشي.

Reymon de Tolouse: Hlistoria Francorum qui ceperunt Iherusalem, R.H.C. Oc, III.

ويعني باللغة العربية «*تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس*».

وقام الدكتور قاسم عبده قاسم بترجمة أجزاء منه تحت عنوان « *الحروب الصليبية - نصوص ووثائق*»، كما قام حسين محمد عطية بترجمته كاملا تحت عنوان «*تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس*» دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

Albert of Aix, "Historia Hierosolymi tana" R.H.C.Oc., Iv, Paris,1819.

وقام الدكتور قاسم عبده قاسم بترجمة أجزاء منه تحت عنوان « *الحروب الصليبية - نصوص ووثائق*»، القاهرة، ١٩٨٤م.

ثالثاً : المراجع العربية :

الحمد، عامرة :

الامبراطورية البيزنطية والأمراء الصليبيون، القاهرة، ١٩٨٠م.

عثمان، فتحي :

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ثلاثة أجزاء، القاهرة، ١٩٦٦م.

قاسم، عبده قاسم :

الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية. دراسة عن الحملة الأولى (١٠٩٥-١٠٩٩م) الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨م.

زكار، سهيل :

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، ١٩٨١م.

حسين، عبد المنعم :

إيران والعراق في العصر السلجوقي، بيروت، ١٩٨٢م.

ادريس، محمد :

تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، القاهرة، ١٩٨٥م.

اسماعيل، أحمد علي :
تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس الهجري، دمشق، ١٩٨٤م.
البزري، عُلية :
إمارة الرُّها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م.
مقبل، فهمي :
الفاطميون والصليبيون، بيروت، ١٩٧٩م.
مصطفى، شاكر :
دخول الترك الغز بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام (من القرن الرابع إلى القرن السادس) المؤتمر الدولي لتاريخ سوريا، الجامعة الأردنية، ١٩٧٤م.
خليل، عماد الدين :
المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، عصر ولاة السلاجقة في الموصل (٤٨٩-٥٢١هـ-١٠٩٥-١١٢٧م) الرياض، ١٩٨٠م.

رابعاً : المراجع الأجنبية والمعربة :

Hitt, P.H.: A history of Syria, London, 1951.

Runciman, S.: Ahistory of the Crusades, Vol. I, Cambridge, 1952.

وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور السيد الباز العريني تحت عنوان تاريخ الحروب الصليبية، دار الثقافة، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٩٨١م.

France, John: Victory in the East, Cambridge University Press, First Edition, 1994.

Ashtor, E. A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages, London, 1976.

Atiya, A.S.: Crusades, Commerce and Culture, Bloomington, 1962.

Bashir, B.J. "Fatimid Military Organization" Der Islam, vol. 55, Berlin, 1978, pp. 37-56.

Riley-Smith, J.S.C. The First Crusade and the Idea of Crusading. London, 1986

Setton, K.M. and Baldwin, M.W., ed. A history of the Crusades, Vol.I. The First Hundred Years. (Madison, Milwaukee and London, 1969).

Smail, R.C. Crusading Warfare (1097-1193). Cambridge, 1907).

Yewdale, Ralph. Bohemond I, Prince of Antioch, Ph.D., Princeton University, 1917.

Yusuf, Muhsin Dhib: The Economic History of Syria During 4th-5th Centuries After Hijra /10-11

A.D." Ph.D. Thesis, Princeton University, 1982.

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

١ – الجذور الفلسفية للبنائية	د. فؤاد زكريا
٢ – [illegible]	[illegible]
٣ – ابن قلاقس، حياته وشعره	د. سهام الفريح
٤ – الأمير تنكز الحسامي	د. حياة ناصر الحجي
٥ – التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الإنجليزية)	د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

٦ – علي أحمد باكثير	د. عبده بدوي
٧ – تحليل أخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية).	د. نايف خرما
٨ – دولة المماليك ودولة مغول القفجاق	د. حياة ناصر الحجي
٩ – المرآة والفلسفة	د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

١٠ – الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر	د. فهد الثاقب الثاقب
١١ – البيئة والسلوك	د. طلعت منصور
١٢ – عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون	د. صلاح الدين البحيري
١٣ – لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكولوجية، مقارنة	د. محمد رجا الدريني
١٤ – آل قدامة والصالحية	د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

١٥ – أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية	د. عبدالعال سالم مكرم
١٦ – مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية	د. عزمي موسى إسلام
١٧ – العمل الاجتماعي في المجال التربوي	د. جلال الدين الغزاوي
١٨ – وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها	د. أبو يعرب المرزوقي
١٩ – مفهوم التهكم عند كير كجور	د. إمام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

٢٠ – نظرة في قرينة الأعراب، في الدراسات النحوية القديمة والحديثة	د. محمد صلاح الدين بكر
٢١ – الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية (باللغة الإنجليزية)	د. رشا حمود الصباح

٢٢ – تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس — د. محمد عبدالوهاب خلاف

٢٣ – مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية — د. أحمد عبدالرحيم مصطفى

٢٤ – مفاهيم العلاج النفسي وأنماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور) — د. حامد عبدالعزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

٢٥ – [illegible] — د. يوسف أحمد [illegible]

٢٦ – من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية — د. محمد عيسى صالحية

٢٧ – الفصاحة: مفهومها وبم تتحقق قيمها الجمالية — د. توفيق علي الفيل

٢٨ – مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الإسلام في الشرق العربي وخاصة عند ابن سينا. — الأستاذ/ سعيد زايد

٢٩ – واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية) — د. رشا حمود الصباح

٣٠ – مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص الايوطوبي (باللغة الانجليزية) — د. محمد رجا الدريني

٣١ – مفهوم المعنى «دراسة تحليلية» — عزمي موسى إسلام

٣٢ – الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول — د. سهام الفريح

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

٣٣ – بردة البوصيري قراءة أدبية وفلكورية — د. محمد رجب النجار

٣٤ – الارشاد النفسي تطور مفهومه وتميزه — د. عبدالله محمود سليمان

٣٥ – اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات — د. عبدالفتاح القرشي

٣٦ – علم العمران الخلدوني وعلم الاجتماع الحديث (باللغة الانجليزية) — د. فؤاد البعلي

٣٧ – قبيلة تميم العربية بين الجاهلية والإسلام — د. عبدالجبار العبيدي

٣٨ – عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب — د. وسمية المنصور

٣٩ – المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي — د. أحمد بن عمر الزيلعي

٤٠ – البحر في شعر الأندلس والمغرب — د. منجد مصطفى بهجت

الحولية الثامنة لعام ١٩٨٧ :

٤١ – البيئة المائية في الأردن (باللغة الانجليزية) — د. عبدالرحيم مسعد

٤٢ – وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن (سنة ٩٧٦هـ/ ٦٨ - ١٥٦٩م). — د. محمد عيسى صالحية

٤٣ – التوجيه والارشاد النفسي للأطفال غير العاديين (دراسة تحليلية) — د. محمد ماهر محمود

٤٤ – المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الإسلامي — د. حسن عبدالحميد عبدالرحمن

٤٥ – عبدالله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة	د. عبدالعزيز الهلابي
٤٦ – ضمائر الغيبة أصولها وتطورها	د. فوري حسن الشايب
٤٧ – قبيلة إياد منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي	د. محمد إحسان النص
٤٨ – تاريخ العلاقات التجارية بين الهند ومنطقة الخليج العربي في [illegible]	د. [illegible]

الحولية التاسعة لعام ١٩٨٨ :

٤٩ – أضواء على ملكة سبأ	د. محمد إبراهيم مرسي
٥٠ – دراسة سوسيولوجية حول ظاهرة الشيخوخة ودور الخدمة الاجتماعية	د. جلال الدين الغزاوي
٥١ – هجرة الكفاءات العلمية العربية ودور مجلس التعاون في الإفادة منها	د. محمد رشيد الفيل
٥٢ – الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند	د. سعد محمد حذيفة الغامدي
٥٣ – الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط	د. وسام عبدالعزيز فرج
٥٤ – مدن التنمية في فلسطين المحتلة	د. محمد مدحت عبدالجليل
٥٥ – الغزو الفرنسي للجزائر في وثيقة أمريكية معاصرة	د. منصور أبو خمسين
٥٦ – رحلات جلفر الرحلة إلى ليليبوت	د. محمد رجا الدريني

الحولية العاشرة لعام ١٩٨٩ :

٥٧ – التغير الاجتماعي في المدن المنتجة للنفط (مجتمع الكويت)	د. نورة الفلاح
٥٨ – حركة مسيلمة الحنفي	د. إحسان صدقي العمد
٥٩ – الجاحظ والنقد الأدبي	د. وديعة طه النجم
٦٠ – التقليد والتحديث في تعليم اللغات الأجنبية	د. نايف نمر خرما
٦١ – الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ – ٤٦٧هـ/ ١٠٣١ – ١٠٧٥م)	د. محمود عرفة محمود
٦٢ – تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي	د. فوزي حسن الشايب
٦٣ – نجاح الشيخ أحمد الجابر في الإفادة من التنافس الإنجليزية الأمريكي بشأن نفط الكويت	د. ميمونة خليفة العذبي الصباح
٦٤ – المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء الدراسات والاتجاهات الحديثة (في علم اللغة)	د. مصطفى زكي التوني
٦٥ – جغرافية الحضر	د. وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس

الحولية الحادية عشرة لعام ١٩٩٠ :

٦٦ – النظرية الاستبدالية للاستعارة	د. يوسف مسلم أبو العدوس
٦٧ – النفط والنمو الحضري بدولة الكويت	د. [illegible] يوسف [illegible] الصباح
٦٨ – [illegible] بن فارس [illegible]	د. [illegible] مختار [illegible]
٦٩ – الاقطاع في العالم الإسلامي	د. محمود اسماعيل
٧٠ – [illegible] في الشعر العربي حتى العصر الأموي	د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
٧١ – الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية (٤٠ – ٣٣٩هـ/ ٦٦٠ – ٩٥٠م)	د. عبدالرحمن محمد عبد الغني
٧٢ – خبرات الكويت: توزيعها، نشأتها، تصنيفها	د. عبدالحميد أحمد كليو

الحولية الثانية عشرة لعام ١٩٩٢ :

٧٣ – بنو سليمان : حكام المخلاف السليماني وعلاقاتهم بجيرانهم	د. أحمد بن عمر الزيلعي
٧٤ – نهاية الأرب في شرح لأمية العرب للشنفري بن مالك الأزدي	د. عبدالله محمد الغزالي
٧٥ – أفلاطون. . والمرأة	أ. د. إمام عبدالفتاح إمام
٧٦ – الخبز في الحضارة العربية الإسلامية	د. إحسان صدقي العمد
٧٧ – الاتجاه نحو الدين	د. نزار مهدي الطائي
٧٨ – دوار الشعب لم يعد موجوداً	د. شفيقة بستكي
٧٩ – الانثروبولوجيا السياسية	د. سليمان خلف
٨٠ – سدوس وتحصيناتها الدفاعية	د. محمد عبدالستار عثمان

الحولية الثالثة عشرة لعام ١٩٩٣ :

٨١ – الغاء الصفة القانونية للرق في سلطنة زنجبار العربية	د. بنيان سعود تركي
٨٢ – مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية	د. ميمونة خليفة الصباح
٨٣ – جغرافية الحضر عند المدارس الغربية	د. وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس
٨٤ – علل التغيير اللغوي	د. مصطفى زكي التوني
٨٥ – رحلات جلفر	د. محمد رجا عبدالرحمن الدريني
٨٦ – آداب الشعر العربي القديم	د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك
٨٧ – المصريون النوبيون في الكويت	د. السيد أحمد حامد
٨٨ – النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت	د. عبدالغفار مكاوي

الحولية الرابعة عشرة لعام ١٩٩٤ :

٨٩ – الفجوة الزمنية بين الأشعة الشمسية والحرارة في المملكة العربية السعودية	أ. د. محمد بن عبدالله الجراش
٩٠ – الدراسة المنظورية للشفق	د. أحمد محمد عبدالخالق
٩١ – اللباس في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوي الشريف	د. محمد بن فارس الجميل
٩٢ – الأنماط الشائعة لأدوار الرجل والمرأة في الكتب المدرسية وأدب الأطفال	د. سهام الفريح
٩٣ – التحليل العاملي للسلوك الدراسي المرتبط بالتحصيل الأكاديمي	د. العادل أبو علام
٩٤ – الاغتراب في الشعر الكويتي	د. سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن
٩٥ – فنومنولوجية الاتصال الوجاهي	د. عبدالله الطويرقي
٩٦ – سياسات الاتصال في دولة الكويت	د. نبيل عارف الجردي علي دشتي

الحولية الخامسة عشرة لعام ١٩٩٥ :

٩٧ ـ موقف البيزنطيين والفاطميين من ظهور الأتراك السلاجقة بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامي	د. عبدالرحمن محمد العبدالغني
٩٨ ـ موقف المشاهدين في دولة الكويت من القناة الفضائية المصرية بعد التحرير	د. محمد معوض ابراهيم د. ياسين طه الياسين
٩٩ – تبني اللغة القومية	د. محمود الحبيب الذوادي
١٠٠ – شعر العدواني في مرايا بعض معاصريه	د. نسيمة راشد الغيث
١٠١ – المقدمة في تقنيات نظم المعلومات الجغرافية	د. عبدالله علي الصنيع
١٠٢ – رؤية الموت ودلالتها في عالم الطيب صالح الروائي من خلال روايتي «موسم الهجرة إلى الشمال» و«بندر شاه»	د. عبدالرحمن عبدالرؤوف الخانجي
١٠٣ – الشعر ولغة التضاد الرؤية – الميدان – التطبيق	د. مختار أبوغالي
١٠٤ ـ اتجاهات الكويتيين نحو ظاهرة الزواج من غير الكويتية	د. فهد عبد الرحمن الناصر

الحولية السادسة عشرة لعام ١٩٩٦ :

١٠٥ - انتخاب المجلس الوطني الكويتي لعام ١٩٩٠	د . جاسم محمد كرم
١٠٦ - الحسبة على المدن والعمران	د . وليد عبد الله عبد العزيز المنيس
[illegible] تعليم اللغة العربية	أ . د . [illegible] بدوي
١٠٨ - الأعراض الاضطرابية المصاحبة لمشكلة الطلاق في الأسرة الكويتية	د . بشير صالح الرشيدي
١٠٩ - الهوية الأقليمية للبحرين	د . محمد أحمد حسن عبد الله
١١٠ - سيكولوجيا التطرف والارهاب	د . عزت سيد إسماعيل
١١١ - رؤية ابي العلاء المعربي في الشعر	د . أحمد سامي الشيتوي
١١٢ - النظريات الإعلامية المعيارية	د . عثمان محمد الأخضر العربي

الحولية السابعة عشرة لعام ١٩٩٧ :

١١٣ - الجذور التاريخية للأسرة الأموية	د . إحسان صدقي العمد
١١٤ - الأطعمة والأشربة في عصر الرسول (ﷺ)	د . محمد بن فارس الجميل
١١٥ - النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم	د . مصطفى زكي التوني
١١٦ - المهارات الاجتماعية في علاقتها بالقدرات الإبداعية وبعض المتغيرات الديموجرافية لدى طالبات الجامعة .	د . عبداللطيف محمد خليفة
١١٧ - بطولة ابن القارح في رسالة الغفران	د . مرسل فالح العجمي
١١٨ - قياس الحرج الموقفي لدى طلاب المرحلة الجامعية من الجنسين	د. بدر حمد الأنصاري
١١٩ - تجارة السلاح في مستعمرة سيراليون	أ . د تمام همام تمام
١٢٠ - أمين الريحاني فجر صلته بالخارجية الأمريكية ورحلته العربية وغاياتها .	د . محمد ثنيان الثنيان

الحولية الثامنة عشرة لعام ١٩٩٨ :

١٢١ - اتجاهات المواطنين الكويتيين نحو الآثار المترتبة على العمالة الوافدة .	د . نضال حميد الموسوي

قسيمة تقييم آراء القارىء

عزيزي القارىء

أسرة تحرير الحوليات ترحب بك وتتقدم لك بأطيب التحيات شاكرين لك سلفا تعاونك من أجل تطوير هذه الحوليات وذلك من خلال اجابتك عن هذه الاسئلة: -

- عمر القارىء: - ٢٠ ☐ ٢٠ - ٣٥ ☐ ٣٦ - ٤٥ ☐ ٤٥ + ☐

[illegible]

- بلد الاقامه: الكويت ☐ خارج الكويت ☐
- التعليم: ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراه ☐
- طبيعة المهنة: اداري ☐ أكاديمي ☐ مهني ☐ أخرى ☐
- مواضيعك المفضلة: لغوية ☐ اجتماعية ☐ تاريخية ☐ ادبية ☐ متنوعة ☐

١ - كيف تحصل على الحوليات؟

شراء ☐ اشتراك ☐ استعارة ☐

٢ - هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟

نعم ☐ لا ☐

٣ - ما رأيك بحجم الحوليات؟

مناسب ☐ كبير ☐ صغير ☐

٤ - كيف ترى مواضيع الحوليات؟

متنوعة ☐ غير متنوعة ☐

٥ - ما هو الطابع العام للحوليات؟

لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐

٦ - هل تقرأ الحوليات بانتظام؟

نعم ☐ لا ☐ احيانا ☐

٧ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟

نعم ☐ لا ☐

٨ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟

نعم ☐ لا ☐

٩ - هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

١٠ - شعار الحوليات على الغلاف هل يتناسب وطبيعة الحوليات؟

نعم ☐ لا ☐

١١ - ما مقياسك لنوع طباعة الحوليات؟

جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف ☐

١٢ - ما رأيك بسعر الحوليات؟

مرتفع ☐ قليل ☐ مناسب ☐

١٣ - اقتراحات ترى أنها تساعد على تطوير الحوليات وخدماتها للقارىء؟

....

....

....

....

قسم الاشتراكات

حوليات كلية الآداب

ص.ب : ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي

BY AIR MAIL

PAR AVION

قسيمة اشتراك

يرجى اعتماد اشتراكي في المجلة لمدة

☐ سنة واحدة ☐ سنتان ☐ ثلاث سنوات ☐ أربع سنوات

بعدد (   ) نسخة

ارفق طية قيمة الاشتراك .... نقداً/ شيك

☐ رجاء الاشعار بالاستلام و/ أو ☐ ارسال الفاتورة

الاســـــم : ....

المهنة/الوظيفة : ....

العنـــــوان: ....

....

....

التاريخ   /   /   التوقيع

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية . محكمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي
جامعة الكويت

العدد الأول
في يناير ١٩٨١

ـ تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للبحوث الأصيلة في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى الأبواب الأخرى الندوات، المناقشات مراجعات الكتب، التقارير.

على حصول ... المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والغربي، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات.

الاشتراكات

الكويت

٣ دنانير للأفراد
ديناران للطلاب،
١٥ دينارا للمؤسسات.

• • •

الدول العربية،

٤ دنانير كويتية للأفراد ،
١٥ دينارا للمؤسسات .

• • •

الدول الاجنبية ،

١٥ دولارا للأفراد،
٦٠ دولارا للمؤسسات.

رئيسة التحرير

د. شفيقة بستكي

توجه المراسلات الى رئيس التحرير: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت
المقر: كلية الآداب ـ الشويخ
هاتف: ٤٨١٧٦٨٩ ـ ٤٨١٦٢٦١ ـ ٤٨١٥٤٥٣ ـ فاكس: ٤٨١٢٥١٤

مجلة الحقوق

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور عادل الطبطبائي

مجلة فصلية أكاديمية محكّمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٧

الاشتراكات

في الكويت : ٣ دنانير للأفراد ، ١٥ ديناراً للمؤسسات
في الدول العربية : ٤ دنانير للأفراد ، ١٥ ديناراً للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ١٥ دولاراً للأفراد ، ٦٠ دولاراً للمؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:
مجلة الحقوق. جامعة الكويت
ص.ب : ٥٤٧٦ الصفاة 13055 الكويت
تلفون : ٤٨٣٥٧٨٩ . فاكس : ٤٨٣١١٤٣

المجلة العربية للعلوم الادارية

تصدر عن مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت – دولة الكويت
علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث الأصيلة في مجال العلوم الادارية

- صدر العدد الأول في نوفمبر 1993 .
- تهدف المجلة الى المساهمة في تطوير ونشر الفكر الاداري والممارسات الادارية على مستوى الوطن العربي .
- تقبل المجلة الأبحاث الأصيلة والمبتكرة في مجالات الادارة ، المحاسبة ، التمويل والاستثمار ، التسويق، نظم المعلومات الادارية ، الأساليب الكمية في الادارة ، الادارة الصناعية ، الاداره العامة ، الاقتصاد الاداري ، وغيرها من المجالات المرتبطة بتطوير المعرفة والممارسات الادارية .

يسر المجلة دعوتكم للمساهمة في أحد أبوابها التالية :

- الأبحاث
- مراجعات الكتب
- ملخصات الرسائل الجامعية
- الحالات الادارية العملية
- تقارير عن الندوات والمؤتمرات العلمية .

الاشتراكات

الكويـــت : 2 دينار للأفراد – 15 دينار للمؤسسات
الدول العربية : 2.5 دينار للأفراد – 15 دينار للمؤسسات
الدول الأجنبية : 5 دينار للأفراد – 30 دينار للمؤسســات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المجلة العربية للعلوم الادارية – جامعة الكويت
ص.ب : 28558 الصفاة – دولة الكويت
هاتف : 4817028 أو 4846843 داخلي 4415 ، 4416 فاكس 4817028

3) The involvement of Yaghi-Syian of Antioch in the rivality between the Saljuks, and the effects of that involving while he was striving the first Crusade.

4) Yaghi-Siyan's efforts in opposing the First Crusade.

5) Discussion of the reasons of the fall of Antioch by the Crusaders.

6) The position of Yaghi-Siyan in the struggle between the Saljuks and the Fatimids in Syria, and the effects of his position on the Fatimids concerning the Crusaders' threat.

7) Studying the argument of the alliance between the Fatimids and the Crusaders of the First Crusade, and the effects of this alliance on Antioch which was besieged by the Crusaders.

8) Studying of the alliance between the Armenians and the Crusaders, and it's effects on Antioch.

9) The position of the independent Syrian Emirates from the Crusaders' threat, such as Damascus, Aleppo, Jerusalem, Shyzar, and Tirpoli, and the effects of their division on providing help to Antioch.

10) The conclusion : which contains the results of the research.

This study is based on original sources. Which represent different point of views of the both adversaries the Muslims and the Crusaders. One of the main peculiarities of this study that I had consulted mainly the Crusaders' sources more than the Muslims one especially those relevant to the relationship between Yaghi-Siyan and the Crusaders of the First Crusade.

Yaghi - Siyan of Antionch and the First Crusade

1085 - 1098 - 477-491 A.H.

Abstract

Yaghi-Siyan held Antioch in 477 A.H. 1085 as a deputy of Saljuk Sultan "Malik Shah". He ruled the Emirate of Antioch from (479 A.H., 1087) till 491 A.H./1098 when the Crusaders occupied Antioch after nine months of seige. The Crusaders established on the ruins of this city a new Principality, which lasted till 1268. The importance of selecting this character comes out of the city of Antioch as one of the most important cities for all Muslims, Byzantines and the Crusaders. This character had shared in shaping history of Syria (Bilad al Sham) pre the Crusading Period. Studying this character will help us to shape a true picture of Syria during that era, and will help us to reach to true results when we conceive the position of Syria at that time.It seems to me that no historians dealt with this topic.

This character did not acquire attention of both Muslim and Christian historians. This study will try to pay Justice to this character. And it will concentrate on Yaghi-Siyan's effort in opposing the First Crusade. I think this research is the unique study of this character as an example of Muslim leaders who had facing the first Crusade.

This research concentrated on following subjects :

1) The importance of Antioch for Muslims and Christians religiously and economically
2) Syria pre-Crusading Period.

The Author

- Gamal M. Al - Zanki

- Master in History from University of Northern Colorado, 1985.
- Ph.D. in Islamic and Medieval History From University of St. Andrews, Scotland, 1989.
- Lecturer in Islamic and Medieval History in University of Kuwait.

Publications

- Study in "The Social Security of the State of Kuwait, 1995.
-" Emirate of Damascus During the Early Crusading Period (1095-1154), Kuwait,1994. And it was issued in Arabic in 1993.

One Hundred twenty Six Monograph

Yaghi - Siyan of Antionch and the First Crusade 1085 - 1098 - 477 - 491 A.H

Dr. Gamal M. Al - Zanki
Department of History - Kuwait University

Annals of the Faculty of Arts Volume XVIII 1998

Consultants:

Prof. Hassan Hanafi

Prof. Ghanim Hana

Prof. Lutfia A'Shour

Prof. A'bdul Salam Al Masdi

Prof. Mohammed Al - Jarrash

Prof. Mustafa Al - Souwaif

Prof. Mahmoud A'oudah.

ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED SCIENTIFIC PERIODICAL THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCIENTIFIC CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTY OF ARTS

Volume XVIII, 1998

ANNALS OF
THE FACULTY OF ART[illegible]

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait Univ[illegible]

Yaghi - Si[illegible] ach
a[illegible]
[illegible] 491 A.H

[illegible] r. G[illegible] ki
[illegible] ent o[illegible] wait University

Volu[illegible] 418
[illegible] aph [illegible] 1998